روضة العقلاء ونزهة الفضلاء

للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي

المتوفى سنة ٣٥٤ من الهجرة وهو في عشر الثمانين

رحمه الله

قدم لها وخرج أحاديثها

علي بن مشرف العمري

١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م

محمد صالح الحلبي

يطلب من

مكتبة الكليات الأزهرية

حسين محمد إمبابي وأخوه محمد

ش الصنادقية - الأزهر - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد :

فإن الإمام محمد بن حبان البستى من مشاهير علماء الحديث النبوى ، من أهل القرن الرابع الهجرى ، ومن أهل الاختصاص فى علم الجرح والتعديل ويعد كتابه (الصحيح) من الأمهات المعتمدة للسنة النبوية، ويعد كتاباه : كتاب (الثقات)[1] وكتاب المجروحين[2] من المراجع المهمة فى الجرح والتعديل . . وكان له رحمه الله منهج متميز وأسلوب معين يوافقه غيره فى بعضه ويخالفه فى بعض ، وكان منهجه هذا مثاراً للأخذ والرد ، والنقاش والنقد بين علماء هذا الفن . .

ومما يبين مكانة ابن حبان أنه تتلمذ على النسائى[3] وتتلمذ الحاكم عليه[4] فكان تأثير شيخه بارزاً فى أسلوبه ومنهجه فى الحديث ، كما كان لمنهجه وأسلوبه

---

(١) لازال مخطوطا ، وهو أوسع كتاب فى هذا الباب .
(٢) هو ثلاثة أجزاء ، وقد طبع فى سورية .
(٣) الامام النسائى هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على بن سنان بن دينار الحافظ صاحب السنن مات سنة ٣٠٣ هـ .
(٤) هو أبو عبد الله .. الحاكم صاحب المستدرك توفى سنة ٤٠٥ تذكرة الحفاظ للذهبى .

Marfat.com

تأثير على من بعده ، وبالأخص على تلميذه الحاكم أبى عبد الله النيسابورى صاحب كتاب المستدرك على الصحيحين .

ولذا فقد رأيت أن أكتب عنه بحثاً موجزاً مع تخريج أحاديث كتابه (روضة العقلاء ونزهة الفضلاء) .

ولقد وجدته من أنفع الكتب الأدبية ، كما أنه كتاب أخلاق وآداب ويعد من أجود مراجع علم السلوك والآداب الشرعية ، مع كونه من كتب الأدب ومن مميزاته الفريدة جمعه بين أسلوب الأدباء ، ومنهجية علماء الحديث واهتمامهم كعادتهم بتوثيق كل ما يروونه من أخبار .

ولقد تضمن بحثى هذا ما يأتى :

١ ـ ترجمة موجزة لابن حبان: ذكرت فيها مولده ووفاته واقتصرت فى ذلك على القول الراجح عندى، وذكرت طلبه للعلم ورحلته فى الآفاق وسماعه من شيوخه، ومن سمع منهم ، وأشهر من حدث عنه من تلاميذه ، وبعض مصنفاته ، ثم ذيلت بمن ترجم له ومواضع ترجمته فى الكتب . .

٢ ـ دراسة موجزة لمنهج علماء الحديث فى الجرح والتعديل ، واختلاف مسالكهم فى ذلك مع الإشارة إلى الوجه الراجح ثم أتبعته بدراسة لمنهج ابن حبان فى الجرح والتعديل الذى استقى من كتبه وخاصة كتاب الصحيح[1] ، وكتاب الثقات [2] ، ولما كان منهجه هذا موضع نقاش شديد عند علماء الجرح والتعديل

---

(١) طبع منه ٣ مجلدات بترتيبة الاحسان الى تقريب صحيح ابن حبان ، للامير .

(٢) لم يطبع حتى كتابة هذه الاسطر . وهو مخطوط فى مكتبة الجامعة الاسلامية .

Marfat.com

واختلفوا فيه اختلافا بارزاً فقد ذكرت الآراء فى ذلك ، فمنهم من وصفه بالتساهل . وجعله من المتساهلين وقرنه بهم ، ومنهم من وصفه بالتعنت والتشدد وقرنه مع المتشددين ، فناقشت الرأيين وبينت الصواب حسبما ترجح عندى وضربت بعض الأمثلة من كتب ابن حبان تؤيد ما ذهبت إليه . . .

وقد وجدت أن مجموع ماذكره من أحاديث مرفوعة فى كتابه خمسون حديثا، منها واحد وثلاثون حديثا صحيحة ، وتسعة أحاديث حسنة وهى داخلة فى قسم الحديث المحتج به ، وثمانية أحاديث ضعيفة ، وواحد موضوع .

وهو يصدر كل باب من أبواب الكتاب بحديث مرفوع من هذه الأحاديث ثم يذكر بعدها أقوال العلماء ، وأبياتاً من الشعر كل ذاك بالأسانيد .

وقد اكتفيت بتخريج الأحاديث المرفوعة فقط إذ هو مقصودى من البحث والدراسة التى قدمتها على التخريج ، وأفردت هذه الأحاديث وفصلتها عن أصل الكتاب . . فلا يدخل ضمن عملى تحقيق نص الكتاب كله(١) .

ومنهجى فى التخريج : أننى أبدأ بالحكم على الحديث صحة أو ضعفاً ثم أفصل ذلك بأن أفرد لكل رجل من رجال السند ترجمة موجزة أبين فيها منزلته فى الرواية قوة وضعفاً وتعديلا أو تجريحاً ، ثم أذكر من خرج هذا الحديث من الصحاح والسنن والمسانيد والمصنفات والأجزاء ونحوها. واعتبرت الحديث واحداً مهما اختلفت ألفاظه أو اختلفت طرقه وأسانيده ما دام المعنى واحداً ، كما هى طريقة علماء الحديث فى ذكر الشواهد والمتابعات . وقد قمت بتحقيق نص الحديث

---

(١) ثم رأيت طبع هذه الدراسة والتخريج مع كتاب الروضة ليعم به النفع ان شاء الله .

Marfat.com

ومقارنته بالنصوص الواردة فى المصادر الأخرى وكذلك أسماء الرجال الواردة فى الأسانيد .

وقد ترجمت لكل علَم ورد فى الدراسة أو التخريج فى الهامش ترجمة موجزة فأذكر اسمه ونسبه وما اشتهر به ، ومكانته فى الحديث والعلم ، وسنة وفاته وأذكر مرجعاً واحداً معتمداً لترجمته ، وقد فاتنى بعضهم لعدم العثور على من ترجم لهم .

ثم عملت فهارس بلغت أربعة فهارس وهى :

١ ـ فهرس للأحاديث مرتبة حسب الأبواب الفقهية .

٢ ـ فهرس للأحاديث مرتبة على حروف المعجم .

٣ ـ فهرس للأعلام .

٤ ـ فهرس للمراجع ، والمصادر ، مرتبة ترتيباً تاريخياً .

وهناك رموز لابد للقارىء من معرفتها . وهى رموز الحافظ ابن حجر فى تقريبه[1] وهى كالآتى :

خ ـ للبخارى ، م ـ لمسلم ، د ـ لأبى داود ، ت ـ للترمذى ، س ـ للنسائى ، ق ـ لابن ماجه القزوينى ، عم للأربعة ـ أى للسنن الأربعة من أبى داود إلى ابن ماجه . ع لهم مع البخارى ومسلم .

وكذلك ـ الطبقات فقد جعل ابن حجر للتابعين ثلاث طبقات ، ولأتباع التابعين كذلك ، وقد فصل ذلك فى مقدمة التقريب ، ولهذا فأنا أكتفى بذكر الطبقة قائلا من الطبقة ٣ ـ مثلا فهو من التابعين وهذا لايرتبط به توثيق الرجل

---

(١) اذا كان الرجل المترجم له فى التقريب لابن حجر لم أذكر المصدر أما اذا كان الرجل المترجم له فى غير كتاب التقريب ذكرت المصدر .

أو تعديله، وإنما العبرة بما يراه القارىء فى الحكم على الرجل من التوثيق والتجريح فهو المعتبر .

ولا يفوتنى أن أقدم خالص الشكر إلى أخى وصديقى الدكتور عبد العزيز ابن عبد الفتاح القارى لمساعدته لى وملاحظاته القيمة نحو هذا البحث والتى كان لها الأثر الطيب فى نفسى فجزاه الله خيراً وبارك الله فى حياته .

وأسأل الله العلى القدير أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه . وصلى الله وسلم على نبيه وآله وصحبه وسلم .

المدينة المنورة : فى ١ / ١ / ١٤٠٠ هـ

كتبه

على بن مشرف العمرى

Marfat.com

Marfat.com

ابن حبـان

الحافظ الإمام العلامة أبو حاتم محمد بن حبـان بن أحمد بن حبـان بن معاذ ابن معبد بن سعيد بن هدبة بن مرة بن سعد بن يزيد بن مرة بن زيد بن عبد الله ابن دارم بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، التميمى ، البستى ، نسبة إلى (بست) من بلاد سجستان[1] .

مولده ورحلته فى الآفاق ووفاته :

ولد فى (بست) سنة بضع وسبعين ومائتين ، وقيل غير غير ذلك ، وسمع من خلائق بخراسان والعراق والشام ومصر والحجاز والجزيرة .

وفقَّه الناس بسمرقند ، وولى القضاء ببلده ، قدم نيسابور فسمع من عبد الله ابن شيرويه وغيره ، ثم رحل إلى بخارى فلحق بعمر بن محمد بن بجير ، ثم ورد نيسابور سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ثم سار إلى قضاء (نسا) ، ثم انصرف إلى نيسابور مرة أخرى سنة سبع وثلاثين فأقام بها وبنى الخانقاه ، وقرىء عليه جملة من مصنفاته ، ثم خرج منها إلى وطنه سجستان عام أربعين[2] .

شيوخه وتلاميذه وثناء الأئمة عليه :

سمع الحسين بن إدريس الهروى[3] ، وأبا خليفة الجمحى[4] ، وأبا عبد الرحمن

---

(١) اللباب ٢/١٠٥

(٢) تذكرة الحافظ ٣/٩٢٠ ، ٩٢١

(٣) مترجم له ص ٢٩١ .

(٤) هو الفضل بن الحباب الجمحى أبو خليفة وثقة الذهبى فى التذكرة ٢/٦٧٠

النسائى[١] ، وعمران بن موسى بن مجاشع[٢] ، والحسن بن سفيان[٣] ، وأبا يعلى الموصلى[٤] ، وأحمد بن الحسن الصوفى[٥] ، وأبا بكر بن خزيمة[٦] ، وأمما لايحصون من مصر إلى خراسان .

حدث عنه الحاكم[٧] . ومنصور بن عبد الله الخالدى . وأبو معاذ عبد الرحمن ابن محمد بن رزق الله وأبو الحسن محمد بن أحمد بن هارون الزوزنى ومحمد بن أحمد ابن منصور النوقانى وغيرهم[٨] .

---

(١) تقدم ص ٣

(٢) عمران بن موسى بن مجاشع السختيانى أبو اسحاق الجرجانى محدثها الذهبى فى تذكرة الحفاظ ٢/٧٦٢

(٣) الحسن بن سفيان النسائى صاحب المسند والاربعين حافظ ثقة أنظر الميزان توفى ٣٠٣

(٤) هـو احمد بن على بن المثنى صاحب المسند له تصانيف وثقـه الذهبى فى التذكره ٢/٧٠٧ .

(٥) هو أحمد بن الحسن بن عبد الجبار بن راشد أبو عبد الله الصوفى قال الذهبى فى الميزان ١/٩١ وثقه الدار قطنى

(٦) الحافظ الكبير امام الامة ابو بكر محمد بن اسـحاق بن خزيمة صاحب الصحيح مات ٣١١ تذكرة ٢/٧٢٠ ـ ٧٣١

(٧) أنظر ترجمته ص ٣

(٨) تذكرة الحفاظ ٣/٩٢٠ ، ٩٢١

Marfat.com

ترجم له الذهبي فى تذكرة الحفاظ وعده فى الطبقة الثانية عشرة وقال : وكانت الرحلة إليه لسماع كتبه .

وقال الخطيب البغدادى : كان ثقة نبيلا فهماً[١] .

وقال الحافظ ابن كثير : أحد الحفاظ الكبار المصنفين المجتهدين ورحل إلى البلدان وسمع الكثير من المشايخ[٢] .

مات ابن حبان رحمه الله فى شوال من سنة أربع وخمسين وثلاثمائة[٣] .

مصنفاته :

أعظمها كتاب (الأنواع والتقاسيم) قال فيه ابن حبان : لعلنا كتبنا عن أكثر من ألفى شيخ[٤] .

وله كتاب التاريخ ، وكتاب الضعفاء والمجروحين ، والثقات .

وذكر البغدادى من مؤلفاته[٥] ما يأتى :

١ ـ كتاب آداب الرحالة .

٢ ـ « تفسير القرآن .

٣ ـ « التقاسيم والأنواع . وهو كتاب صحيح ابن حبان . كما ذكر ذلك جمع من العلماء .

---

(١) تذكرة الحفاظ ٣/٩٢٠ ، ٩٢١

(٢) البداية ١١/٢٥٩

(٣) تذكرة الحفاظ ٣/٩٢٢

(٤) نفس المصدر .

(٥) هدية العارفين للبغدادى ٢/٤٤ ـ ٤٥

Marfat.com

٤ ـ كتاب التمييز بين حديث النضر الحرانى ونصر الخراز[١] .

٥ ـ « ثواب الأعمال .

٦ ـ « الجرح والتعديل ـ ولعله يعنى بذلك كتاب المجروحين .

٧ ـ « الجمع بين الأخبار المتضادة .

٨ ـ « روضة العقلاء ونزهة الفضلاء .

٩ ـ « السنن فى الحديث .

١٠ـ « شعب الإيمان .

١١ـ « صفة الصلاة .

١٢ـ « طبقات الأصبهانيين .

١٣ـ « علل أوهام أصحاب التواريخ .

١٤ـ « علل حديث الزهرى[٢] .

١٥ـ « علل حديث مالك .

١٦ـ « ما أسند إلى أبى حنيفة .

١٧ـ « علل مناقب أبى حنيفة ومثالبه .

١٨ـ « الفصل بين حدثنا وأخبرنا .

١٩ـ « الفصل بين حديث أشعث بن مالك وأشعث بن سوار[٣] .

---

(١) النضر بن عربى الباهلى مولاهم أبو روح الحرانى لا بأس به من ٦/د ت . ونضر بن عبد الرحمن أبو عمر الخزاز متروك من ٦/ت .

(٢) الزهـــرى محمد بن مســـلم .. بن شـــهاب القرشى أبو بكر الفقيه الحافظ من الطبقة ٤/ع .

(٣) أشـــعث بن ســـوار الكندى النجـــار الأثرم قاضى الأهواز ضـــعيف من ٦/ع م ت س ق .

Marfat.com

٢٠ ـ كتاب الفصل بين مكحول الشامى ، ومكحول الأزدى[١] .

٢١ ـ « « بين منصور بن المعتمر ومنصور بن رذاز[٢]

٢٢ ـ « « بين الغفلة .

٢٣ ـ « « بين ثور بن يزيد وثور بن زيد[٣] .

٢٤ ـ « « والوصل .

٢٥ ـ « الأبواب المتفرقة ثلاثون جزءاً .

٢٦ ـ « الأسامى ممن يعرف بالكنى .

٢٧ ـ « التابعين خمسة عشر جزءاً .

٢٨ ـ « التاريخ .

٢٩ ـ « نبع الأنباع عشرون جزءاً .

٣٠ ـ « تباع التبع فى سبعة عشر جزءاً .

٣١ ـ « الثقات .

٣٢ ـ « الضعفاء .

٣٣ ـ « الصحابة .

٣٤ ـ « كنى من يعرف بأسامى .

---

(١) مكحول الشامى أبو عبد الله : ثقة فقيه مشهور كثير الارسال من ٢/م عم ومكحول الأزدى البصرى أبو عبد الله : صدوق من ٤/بخ .

(٢) منصور بن المعتمر بن عبد الله السلمى أبو عتاب الكوفى : ثقة ثبت . كان يدلس مات سنة ١٣٢/ع . ومنصور بن زاذان الواسطى ابو المغيرة الثقفى ثقة ثبت عابد من ٦/ع .

(٣) ثور بن يزيد ابو خالد الحمصى : ثقة ثبت من ٧/خ عم . وثور بن زيد الديلمى المدنى ثقة من ٦/ع .

Marfat.com

٣٥ ـ كتاب ما أسنده جنادة عن عبادة[١] .

٣٦ ـ « ما أغرب البصريون عن الكوفيين .

٣٧ ـ « ما أغرب الكوفيون عن البصريين .

٣٧ ـ « ما انفرد به أهل المدينة من السنن .

٣٩ ـ « ما انفرد به أهل مكة من السنن .

٤٠ ـ « ما خالف فيه الثورى شعبة .

٤١ ـ « من جعل شيبان سفيان أو سفيان شيبان .

٤٢ ـ « ما جعل عبد الله بن عمر . عبيد الله بن عمر .

٤٣ ـ « ما عند شعبة عن قتادة وليس عن سعيد عن قتادة .

٤٤ ـ « المسند فى الحديث .

٤٥ ـ « المعجم على المدن .

٤٦ ـ « المقلين من الحجازيين .

٤٧ ـ « المقلين من العراقيين .

٤٨ ـ « موقوف ما رفع .

٤٩ ـ « وصايا الاتباع وبيان الابتداع فى الحديث .

٥٠ ـ « وصف العلوم وأنواعها .

٥١ ـ « وصف المعدل والمعدول .

---

(١) جنادة بن أبى أميمة الأزدى أبو عبد الله الشامى : تابعى ثقة . روى عن عبادة بن الصامت الصحابى المشهور . روى عنه فى الكتب السنة/٤

Marfat.com

٥٢ ـ كتاب الهداية إلى علم السنن .

٥٣ ـ « مناقب الشافعى .

٥٤ ـ « مناقب مالك .

هذه مصنفاته ذكرها البغدادى ، ولم يطبع منها إلا القليل جدًّا .

ومصنفاته هذه تعطينا قيمة ابن حبان العلمية ومدى اتساعه فى العلوم الإسلامية كما تشير إلى ذلك مؤلفاته . فرحم الله ابن حبان رحمة الأبرار[١] .

---

(١) ترجمة ابن حبان فى :

١ ـ تذكرة الحفاظ للذهبى ٣/٩٢٠
٢ ـ الميزان للذهبى ٣/٥٠٦ ـ ٥٠٨
٣ ـ ابن كثير فى البداية ١١/٢٥٩
٤ ـ اللسان لابن حجر العسقلانى ٥/١١٢ ـ ١١٥
٥ ـ معجم البلدان لياقوت الحموى ١/٤١٥
٦ ـ الزركلى فى الاعلام ٦/٣٠٦ ـ ٣٠٧
٧ ـ معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة/١٧٣ ـ ١٧٤
٨ ـ طبقات الشافعية للسبكى ٣/١٣١ ـ ١٣٥

Marfat.com

تمهيـــد

قاعدة الجرح والتعديل عند المحدثين

معنى الجرح والتعديل فى اللغة :

التعديل : من باب عدل يعدل عدلا ، فهو عادل وعدل ـ وهو اسم الجمع ـ وهم عدول ، والعدل ضد الجور ، وما قام فى النفوس أنه مستقيم كالعدالة ، وعدل فلانا زكاه ، والعدلة المزكون ، والاعتدال توسط حال بين حالين فى كم أو كيف وكل ما تناسب فقد اعتدل(١) .

وأما الجرح فمن : جرح يجرح جرحاً من باب نفع ، وجرحه بلسانه جرحاً عابه وتنقصه ، ومنه جرحت الشاهد إذا أظهرت فيه ما ترد به شهادته ، ويقال : جرحه بلسانه إذا سبه ، وجرحوه بأنياب وأضراس إذا شتموه وعابوه ، وما جرحت يداك واجترحت يداك أى عملتا وأثرتا ، وهو مستقى من تأثير الجارح ويقال للمشهود عليه : هل معك جرحة وهى ما تجرح به الشهادة ، واستجرح فلان استحق أن يجرح ، وعن ابن عون : استجرحت هذه الأحاديث أى استحقت أن ترد لكثرتها وقلة الصحيح منها(٢) .

وأما من ناحية الاصطلاح فالجرح والتعديل من علوم الحديث الهامة، ويتعلق بمعرفة أحوال رواة الحديث ورجاله وسبرها ونقدها على ضوء قواعد دقيقة اصطلح عليها ، وبواسطة هذا العلم يميز بين من تقوم الحجة بروايته وتستحق القبول ومن

---

(١) القاموس باب اللام فصل العين .

(٢) أساس البلاغة ١/١١٧ ، والمصباح المنير ١/١١٦

لاتقوم بروايته حجة فيكون نصيبها الرد ، ويتم هذا النقد والفحص لرجال السند كلهم من أوله إلى آخر رجلا رجلا ولا بد حينئذ من اتصال هـذا السند إلى الرسول ﷺ ، وهذا أمر يعد بشقيه من خصائص هذه الأمة ومميزات هذا الدين العظيم إذ أن السنة النبوية هى المصدر الثانى بعد القرآن الكريم للتشريع فكان لابد من التمحيص والتدقيق فى رواياتها حتى ننفى مايمكن أن يشوبها من مدسوسات الوضاعين والكائدين من أهل الأهواء وخصوم الإسلام .

ومن قواعد ديننا وآداب قرآننا التثبت فى قبول الأخبار ، بمعرفة حال الناقلين وحال المنقول ، دل على ذلك قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة . . » الآية[1].

فقوله « إن جاءكم فاسق بنبأ » إشارة إلى وجوب معرفة الناقلين والتمييز بين الفاسق والعدل منهم ، وقوله « فتبينوا » أى تثبتوا من صحة النبأ وهذا أمر بفحص المنقول ونقده وسبر حقيقته . وهذان الأمران هما دعامتا علم المصطلح الذى يتضمن : نقد السند ، ونقد المتن .

ومن نقد السند معرفة حال رواته والتمييز بينهم بالجرح والتعديل كما سبق[2].

---

(١) الحجرات : ٦

(٢) أول من جمع كلامه فى الجرح والتعديل هو يحيى بن سعيد القطان (المتوفى سنة ٢٩٨) وهو الذى قال فيه الامام أحمد : ما رأيت بعينى مثل يحيى بن سعيد القطان . وتكلم بعده فى الجرح والتعديل تلامذته مثل : يحيى بن معين ، وعلى بن المدينى . وأحمد بن حنبل ، وعمرو ابن الفلاس ، وأبو خيثمة ، وتلامذتهم : كأبى زرعة ، وأبى حاتم ، والبخارى ، ومسلم ، وأبى اسحاق الجوزجانى ، وبعدهم النسائى . وابن خزيمة ، وابن حبان ، والدارقطنى ، والترمذى ، والدولابى وغيرهم كثير .

(انظر مقدمة الميزان للذهبى ١/٢) .

Marfat.com

إن جماهير أئمة الحديث والفقه أجمعوا على أنه يشترط فيمن يحتج بروايته أن يكون عدلا ضابطا لما يرويه ، وذلك بأن يكون مسلما بالغا عاقلا سالما من أسباب الفسق وخوارم المروءة متيقظا غير مغفل ، حافظاً إن حدث من حفظه ، ضابطا لكتابه إن حدث من كتابه ، وإن كان يحدث بالمعنى اشترط مع ذلك أن يكون عالماً بما يحيل المعانى[1].

فإذن هناك جانبان لقاعدة الجرح والتعديل يجرى عليهما السبر والفحص ، ويتوجه إليهما النقد هما جانب العدالة فى الراوى أى ما يتعلق بديانته وورعه وتقواه وصدقه ، وجانب الضبط : أى الحفظ لما يروى سواء كان حافظ صدر أم حافظ كتاب .

وقد اختلفت بعد ذلك مسالك علماء هذا الفن سواء فى التعديل أم فى الجرح كما تختلف عادة شروط من صنف منهم فى الحديث ، فيتفقون فى شروط ، وينفرد بعضهم بشروط ، وفى كل ذلك يمتاز كل مصنف منهم بخصائص قوة أو ضعفا ، وتشدداً أو تساهلا .

فمثلا فى التعديل : يشترط بعضهم أن ينص اثنان من أهل الاختصاص على عدالته ، وبعضهم يعتبر الاستفاضة فمن اشتهرت عدالته بين أهل النقل أو نحوهم من أهل العلم وشاع الثناء عليه بالثقة والأمانة استغنى بذلك فيه عن بينة شاهدة

---

(١) مقدمة ابن الصلاح مع محاسن الاصطلاح ٢١٨

Marfat.com

بعدالته تنصيصا[١]، وذلك مثل مالك[٢]، وشعبة[٣]، والسفيانين[٤] والأوزاعى[٥]، والليث[٦] وابن المبارك[٧]، ووكيع[٨]، وأحمد بن حنبل[٩]، ونحوهم، فلا يسأل عن عدالة مثل هؤلاء، وإنما يسأل عن عدالة من خفى أمره على الطالبين وبعضهم يتوسع فى هذا الأمر فيعتبر الأصل فى كل مسلم العدالة فكيف بمن هو حامل للعلم معروف العناية به فهو محمول على العدالة مالم يتبين جرحه، وعلى هذا تقبل رواية كثير من المجاهيل عندهم وقد يكون منهم ضعفاء ووضاعون، ودليلهم فى هذه القاعدة عندهم أن الأصل فى المسلم العدالة وبعضهم يورد حديثاً لفظه «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله» لكنه لم يصح، قال الدارقطنى: لم يصح مرفوعا[١٠].

---

(١) مقدمة ابن الصلاح مع محاسن الاصطلاح ٢١٨

(٢) مالك بن انس امام دار الهجرة ثقة ثبت حافظ توفى سنة ١٧٩ التذكرة ١/٢٠٧ ـ ٢١٣

(٣) شعبة بن الحجاج العتكى أبو بسطام الواسطى ثقة حافظ متقن كان الثورى يقول هو أمير المؤمنين فى الحديث وهو أول من فتش بالعراق عن الرجال وذب عن السنة وكان عابدا من ٧/ع ٠

(٤) سفيان بن عيينة ميمون أبو محمد الهلالى الكوفى الامام الحافظ العلامة شيخ الاسلام مات سنة ١٩٨ هـ التذكرة ٢٦٢ ـ ٢٦٥ ٠

(٥) أما الثورى فهو سفيان بن سعيد بن مسروق أبو عبد الله الكوفى ثقة حافظ فقيه عابد حجة أمام من ٧/ع ٠

(٦) هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى أبو الحارث المصرى ثقة ثبت فقيه امام مشهور من ٧ مات فى شعبان سنة ١٧٥ روى له/ع ٠

(٧) عبد الله بن المبارك المروزى مولى بنى حنظلة ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد جمعت فيه خصال الخير ٠ مات سنة ١٨١ هـ وله ٦٣ سنة روى له/ع ٠

(٨) وكيع بن الجراح بن حليج أبو سفيان الكوفى أحد الاعلام مات سنة ١٩٧ التذكرة ١/٣٠٦ ـ ٣٠٩

(٩) أحمد بن محمد بن حنبل هلال الشيبانى المروزى الحافظ الحجة امام السنة فى عصره توفى سنة ٢٤١ التذكرة ٢/٤٣١ ـ ٤٣٢

(١٠) محاسن الاصطلاح ٢١٩ ٠

Marfat.com

ومن حملة لواء هذا المسلك ابن حبان ، يقول الحافظ ابن عبد البر ، وهذا لاشك مذهب فيه اتساع غير مقبول وتساهل غير مرضى ، فإنه وإن كان الأصل فى المسلم العدالة ، لكن ذلك لايمنع من التثبت من عدالته والتحقق من حاله فى بعض الأحيان ، وعدم الاكتفاء بالظاهر ، ومن هذه الأحيان الشهادة فى القضاء فإنه لا يكتفى فيها بالظاهر حتى يزكى الشاهد على خلاف فى قبول شهادة مستور الحال ، ومنها الرواية . فإنها مجال خطير يتضمن عزو قول أو فعل أو تقرير إلى النبى ﷺ وقد يكون فى ذلك تشريع أو لا يكون فهو فى كلا الحالين ادعاء هام لايتساهل فى شأنه ، ولذلك عد النبى ﷺ تحديث الرجل بكل ما يسمع كذبا ، ومن روى الحديث المكذوب دون أن يتثبت عده أحد الكذابين فى قوله ﷺ :

« كفى بالمرء كذبا ـ وفى رواية إثما ـ أن يحدث بكل ما سمع »[1] .

وقوله : « من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين»[2] .

---

(١) اخرجه مسلم وأبو داود والحاكم وابن المبارك فى الزهد . والبيهقى فى السنن ، والقضاعى فى مسنده عن ابى هريرة ، واخرجه أيضا القضاعى فى مسنده عن أبى أمامه .

(٢) أخرجه مسلم فى مقدمة صحيحة ١/٦١ بشرح النووى وقال النووى قال مسلم قال حدثنا ابو بكر ابن ابى شيبة حدثنا وكيع ، عن شعبة عن الحكم ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن سمرة بن جندب ، وحدثنا ابو بكر بن أبى شيبة حدثنا وكيع عن شعبة وسفيان عن حبيب عن ميمون ابن ابى شبيب عن المغيرة ابن شعبة قالا الحديث .. وقد ذكر الامام مسلم فى مقدمة صحيحه بعض الآيات الدالة على عدم جواز الرواية عن الفسقه واطال البحث فى رد الحديث الضعيف وشنع على رواته .

Marfat.com

ثم إن علماء هذا الفن اتفقوا على أن التعديل أو الجرح إذا كان مفسرا مبين السبب ، وكان سبب التزكية موجباً لعدالة أو سبب الجرح موجبا لفسق أو عدم العدالة وكان المعدل أو الجارح من أهل الاختصاص فهو مقبول ولكن اختلفت مذاهبهم فى التعديل المبهم أو الجرح المبهم على أربعة أقوال :

الأول : لايقبلان إلا مفسرين .

الثانى : يقبلان من غير تفسير من أهل هذا العلم .

الثالث : يقبل التعديل المبهم ، ولا يقبل الجرح المبهم .

الرابع : يقبل الجرح المجمل ، ولا يقبل التعديل المبهم .

أما الأول فنسبه السيوطى[١] إلى الخطيب[٢] والأصوليين[٣] وأما الثانى : فهو قول القاضى أبى بكر البافلانى ونقله عن الجمهور ، وهو اختيار إمام الحرمين[٤] والغزالى[٥] والرازى[٦] ، وصححه الحافظ العراقى[٧] ،

---

(١) الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر الأسيوطى له مصنفات فى كل فن ٩١١ هـ مقدمة طبقات الحفاظ له ١٠ ـ ١٣

(٢) الحافظ الكبير محدث العراق والشام أبو بكر أحمد بن على بن ثابت البغدادى صاحب التاريخ وعلوم الحديث مات ٤٦٣ التذكرة ٢/١١٣٥ ـ ١١٤٦ .

(٣) محاسن الاصطلاح/ ٢٢٠

(٤) هو شيخ الاسلام عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينى أبو المعالى امام الحرمين طبقات الشافعية ١٦٥ ـ ٢٢٢

(٥) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسى أبو حامد الغزالى طبقات الشافعية للسبكى ١٩١ ـ ٣٨٩

(٦) أبو بكر أحمد بن على بن الحسين بن شهريار الحافظ الامام مصنف توفى ٣١٥ هـ طبقات الحفاظ ٣٣٠ ـ ٣٣١

(٧) الحافظ الكبير أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى توفى ٨٠٦ طبقات الحفاظ ٥٣٩ ـ ٥٤٠

Marfat.com

والبلقينى[1] فى محاسن الاصطلاح[2] .

وأما الثالث فقال النووى إنه الصحيح المشهور ، وأما الرابع : فنقله إمام الحرمين ، والغزالى ، والرازى فى المحصول .

والصحيح من هذه الأقوال هو أن التعديل يقبل ولو كان مجملا غير مبين السبب إذا كان صادراً من عالم بهذا الشأن فحينئذ يجب قبول قوله والاعتماد على تزكيته لأنه إنما عدل وهو عارف بأسباب التعديل والجرح ، وذلك لأن الأسباب التى بها يصير الرجل عدلا كثيرة لايصير عدلا إلا بمجموعها ، فلو طولب المزكى ببيانها لوقع فى الحرج ، ومهما عدد من تلك الأسباب فإنه تبقى عليه بعض أشياء أخرى ينبغى أن يذكرها .

بينما الجرح يقع بذكر سبب واحد من أسبابه ، فلا يلزم ذكر جميع الأسباب . . .

ثم إنما نرد الجرح المجمل لأن آراء الناس تختلف فيما يعد به الرجل مجروحا ، فقد يجرحه بأمر يراه هو سبباً للجرح ولا يوافقه غيره على ذلك ، فإذا بين وفسر علمنا إما أن السبب جارح فنقبل جرحه حينئذ ، أو اكتشفنا أنه غير جارح فلا نعتد بجرحه . .

وبعض الأئمة يشدد فى الاعتبارات التى يبنى عليها جرحه ، فقد قيل لشعبة :

---

(١) البلقينى — هو الامام الحافظ الفقيه الشافعى سراج الدين أبو حفص عمر بن رسلان الكنانى توفى ٨٠٥ طبقات ٣٥٨ .

(٢) ٢١٩ ، ٢٢١ وانظر تنقيح الأفكار ٢/١٣٤

131461

لم تركت حديث فلان ؟ قال : رأيته يركض على برذون فتركت حديثه ، وذكر عن مسلم بن إبراهيم أنه سئل عن حديث لصالح المرى فقال : مايصنع بصالح ، ذكروه يوما عند حماد بن سلمة فامتخط حماد[١].

وعلى هذا القول بعدم قبول الجرح المبهم كثير من أئمة الحديث وحفاظه ونقاده ، كالبخارى ومسلم ، فإن البخارى احتج بجماعة سبق من غيره الطعن فيهم والجرح لهم كعكرمة مولى ابن عباس من التابعين[٢] وإسماعيل بن أبى أويس[٣]، وعاصم بن على[٤] وعمرو بن مرزوق[٥] من المتأخرين ، واحتج مسلم بسويد بن سعيد[٦] وغيره . .

وهذا هو أيضا مسلك أبى داود السجستانى[٧] وغير واحد من بعده . .

قال الحافظ ابن عبد البر :

« هذا باب قد غلط فيه كثير من الناس وضلت فيه نابتة جاهلة لاتدرى ماعلمها فى ذلك ، والصحيح فى هذا الباب : أن من صحت عدالته وثبتت فى العلم

---

(١) مقدمة ابن الصلاح مع محاسن الاصطلاح / ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٢) عكرمة بن عبد الله مولى ابن عباس أصله بربرى ثقة ثبت عالم بالتفسير لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر ولا ثبت عنه بدعة من ٣/ع

(٣) اسماعيل ابن أبى أويس هو ابن عبد الله الأصبحى أبو عبد الله المدنى صدوق أخطأ فى أحاديث من حفظه من ١٠/خ م ت ق .

(٤) عاصم بن على بن عاصم صيهب الواسطى أبو الحسن التيمى ، مولاهم ، صدوق . ربما أخطأ . من ٩ / خ ت ق .

(٥) عمرو بن مرزوق الباهلى أبو عثمان البصرى ثقة له أوهام من ٩/خ د .

(٦) سويد بن سعيد بن سهل الهروى الأصل ثم الحرنانى الأنبارى أبو محمد صدوق فى نفسه الا أنه عمى فصار يتلقى ما ليس من حديثه . ق ١٠/م ق

(٧) سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير بن شداد الأزدى السجستانى أبو داود ثقة حافظ مصنف السنن وغيرها من كبار العلماء من ١١ مات سنة ٢٧٥/ت س .

Marfat.com

أمانته وبانت ثقته وعنايته بالعلم لم يلتفت فيه إلى قول أحد ، إلا أن يأتى فى جرحته ببينة عادلة تصح بها جرحته على طريق الشهادات والعمل فيها من المشاهدة والمعاينة لذلك بما يوجب قوله من جهة الفقه والنظر ، وأما من لم تثبت إمامته ولا عرفت عدالته ولا صحت لعدم الحفظ والإتقان روايته فإنه ينظر فيه إلى ما اتفق أهل العلم عليه ويجتهد فى قبول ما جاء به على حسب مايؤدى النظر إليه »[1].

وقال ابن الصلاح :

وأما الجرح فلا يقبل إلا مفسراً مبين السبب لأن الناس يختلفون فيما يجرح وما لايجرح فيطلق أحدهم الجرح بناء على أمر اعتقده جرحا وليس بجرح فى نفس الأمر فلا بد من بيان سببه لينظر فيما هو جرح أم لا ، وهذا ظاهر مقرر فى الفقه وأصوله ، وذكر الخطيب أنه مذهب الأئمة من حفاظ الحديث ونقاده مثل البخارى ومسلم وغيرهما »[2].

* * *

(١) جامع بيان العلم ٢/١٥٢

(٢) محاسن الاصطلاح /٢٢٠

Marfat.com

منزلة ابن حبان فى الجرح والتعديل

إن الغالب على أئمة الحديث السابقين عدم وضع شروط وموازين خاصة بهم يذكرونها ويلتزمون بها لايخرجون عنها .

وإن كان البعض قد يشترط فى ما يكتب شروطا قد يلتزم بها فلا يخرج عنها وإنما عرفت للكثير منهم شروط وموازين ، بالاستقراء التام فى كتبهم فمثلا البخارى يشترط فى قبول الرواية المعاصرة ، واللقاء ، وهذا الشرط لم ينص عليه هو وإنما عرفه العلماء بالاستقراء لرجال الصحيح . فحكموا بأن هذا شرطه .

وهكذا مسلم يشترط المعاصرة فقط كل ذلك بالاستقراء .

فابن حبان وإن كان قد اشترط فى مقدمة الثقات أنه لايذكر فيه إلا من كان عدلا ، ثم وجدناه لايلتزم بهذا الشرط ويذكر الرجل فى الثقات ويذكره فى المجروحين . ووجدنا أنه قد ذكر فى كتابه الثقات خلقاً كثيراً ، من مجاهيل العين والحال . وهذا الصنيع من ابن حبان جعل العلماء يختلفون فى حكمهم على منهجه فيصفه بعضهم بالتساهل نظراً لتناقضه فى هذا الباب . والبعض الآخر يصفه بالتشدد حيث وجده فى كتاب المجروحين يذكر أقواماً ربما كانوا ثقات عند غيره فأخذ عليهم بعض الغلطات المسهلة ويذكرهم بأقسى العبارات .

وهذا ما سنحاول بحثه وتمحيصه والوصول فيه إلى نتيجة نراها مرضية من حيث النظر والدليل إن شاء الله .

لقد درست منهج ابن حبان فوجدت العلماء ينقسمون فى تحليل منهجه إلى قسمين : فمنهم من وصفه بالتشدد والتعنت ـ بل حمل عليه بعضهم حملات قاسية كما سنرى من كلام الذهبى :

قال الذهبي فى ميزانه فى ترجمة سويد بن عمرو الكلبي : وثقه ابن معين وغيره وأما ابن حبان فأسرف واجترأ فقال : كان يقلب الأسانيد على الثقات ويضع الأسانيد الصحاح المتون الواهية(١).

وقال فى ترجمة عثمان بن عبد الرحمن الطوائفى بعد أن ذكر من وثقه : وأما ابن حبان فإنه يقعقع كعادته فقال فيه يروى عن قوم ضعفاء أشياء يدلسها عن الثقات حتى إذا سمعها المستمع لم يشك فى وضعها فلما كثر ذلك فى أخباره ألزقت به تلك الموضوعات وحمل الناس عليه فى الجرح فلا يجوز عندى الاحتجاج بروايته كلها بحال . . .

ثم قال الذهبي معقباً على ذلك : والكلام فى الرجال لايجوز إلا لتامّ المعرفة تام الورع(٢) . .

وكأنه يلمز بذلك ابن حبان ؛ وهى قسوة منه رحمه الله لايقاربها إلا ما سيأتى من كلامه فإنه أشد .

ففى ترجمة محمد بن الفضل السدوسى عارم شيخ البخارى : ذكر أنه تغير بأخرة وأن الدارقطنى وثقه ثم قال : فهذا قول حافظ العصر الذى لم يأت بعد النسائى مثله ، فأين هذا القول من قول ابن حبان الخشاف المتهور فى عارم فقال اختلط فى آخر عمره وتغير حتى قال لايدرى ما يحدث به فوقع فى حديثه المناكير الكثيرة فيجب التنكب عن حديثه فيما رواه المتأخرون فإذا لم يعرف هذا من هذا ترك

---

(١) الميزان ٢/٢٥٣

(٢) نفس المصدر ٣/٤٥

Marfat.com

الـكل ولا يحتج بشيء منها ، ثم قال : ولم يقـــدر ابن حبان أن يسوق له حديثاً منـكراً فأين مازعم ؟[١].

وقال فى ترجمة أفلح بن سعيد المدنى : ابن حبان ربما جرح الثقة حتى لايدرى مايخرجه من رأسه[٢].

ومن المتأخرين ، قال عبد الحى اللـكنوى ، ومنها أن يكون الجارح من المتعنتين المشددين فإن هناك جمعاً من أئمة الجرح والتعديل لهم تشدد فى هذا الباب فيجرحون الراوى بأدنى جرح ، ويطلقون عليه مالا ينبغى إطلاقه عند أولى الألباب ثم عد منهم : أبا حاتم والنسائى وابن معين ، ويحيى القطان ، وابن حبان ، وقال فإنهم معروفون بالإسراف فى الجرح والتعنت فيه فليتثبت العاقل فى الرواة الذين تفردوا بجرحهم والتفـكير فيه[٣].

ثم وجدناهم مع هذا يصفون ابن حبان بالتساهل . فـكان هـــذا فى ظاهره تناقضاً عجيبا .

حيث قال الهيثمى فى مجمع الزوائد بعد ذكر حديث موت فاطمة بنت الأسد أم على بن أبى طالب : وفيه روح بن الصلاح وثقه ابن حبان والحاكم ، وفيه ضعف

وقال الذهبى فى ميزان الاعتدال فى ترجمة ثابت بن آل ثابت شيخ لعوف : مجهولان بينما ذكر ابن حبان ثابتاً فى الثقات .

وبين ابن حجر العسقلانى فى مقدمة اللسان : أن ابن حبان له مسلك متسع

---

(١) الميزان ٣/١٢١

(٢) نفس المصدر ١/١٢٧

(٣) الرفع والتكميل .

Marfat.com

فى توثيق الرجال وأنه قال : من كان منكر الحديث على قلته لايجوز تعديله إلا بعد السبر . ولو كان ممن يروى المناكير ووافق الثقات فى الأخبار لكان عدلا مقبول الرواية إذ الناس فى أقوالهم على الصلاح والعدالة حتى يتبين منهم مايوجب القدح ، هذا حكم المشاهير من الرواة فأما المجاهيل الذين لم يرو عنهم إلا الضعفاء منهم فإنهم متروكون على الأحوال كلها .

قال ابن حجر تعقيباً على ذلك : وهذا الذى ذهب إليه ابن حبان من أن الرجل إذا انتفت جهالة عينه كان على العدالة إلى أن يستبين جرحه مذهب عجيب والجمهور على خلافه ، وهذا مسلك ابن حبان فى كتاب الثقات الذى ألفه فإنه يذكر خلقا ممن نص عليهم أبو حاتم وغيره على أنهم مجهولون عند ابن حبان أن جهالة العين ترتفع برواية واحد مشهور ، وهو مذهب شيخه ابن خزيمة ، ولكن جهالة حاله باقية عند غيره . وقد أفصح ابن حبان بقاعدته فقال العدل من لم يعرف فيه الجرح ، إذ التجريح ضد التعديل فمن لم يجرح فهو عدل حتى يتبين جرحه إذ لم يكلف الناس ما غاب عنهم ، وقال فى ضابط الحديث الذى يحتج به : إذا تعرى راويه من أن يكون مجروحا أو فوقه مجروحاً أو دونه مجروحاً أو كان سنده مرسلا أو منقطعاً ، أو كان المتن منكراً ، هكذا نقله الحافظ شمس الدين بن عبد الباقى فى (الصارم المنكى) من تصنيفه ، وقد تصرف فى عبارة ابن حبان لكنه أتى بمقصده[1] . اهـ

قلت : وعبارة ابن عبد الهادى التى يشير إليها ابن حجر هى فى (الصارم المنكى فى الرد على السبكى) كما يأتى : ـ

---

(١) اللسان ١/٤

قال فى الكلام عن الحديث السابع « من زارنى متعمداً كان فى جوارى يوم القيامة » : وقوله ـ أى السبكى ـ إن هارون بن قزعة ذكره ابن حبان فى الثقات ليس فيه مايقتضى صحة الحديث الذى رواه ولا قوته ، وقد علم أن ابن حبان ذكر فى هذا الكتاب الذى جمعه فى الثقات عدداً كثيراً وخلقا عظيما من المجهولين الذين لايعرف هو ولا غيره أحوالهم وقد صرح ابن حبان بذلك فى غير موضع من هذا الكتاب ، فقال فى الطبقة الثالثة : سهل يروى عن شداد بن الهاد ، روى عنه أبو يعقوب ولست أعرفه ولا أدرى من أبوه ، هكذا ذكر الرجل فى كتاب الثقات ونص على أنه لايعرفه ، وقال أيضا : حنظلة شيخ يروى المراسيل لا أدرى من هو روى ابن المبارك عن إبراهيم بن حنظلة عن أبيه ، هكذا ذكره ولم يزد . وقال أيضا : الحسن أبو عبد الله شيخ يروى المراسيل ، روى عنه أيوب النجار لا أدرى من هو ولا ابن من هو وقال أيضا : جميع شيخ يروى عن أبى المليح ابن أسامة روى عنه عبد الله بن عون لا أدرى من هو ولا ابن من هو ، وقد ذكر ابن حبان فى هذا الكتاب خلقاً كثيراً من هذا النمط وطريقته فيه أنه ذكر من لم يعرفه يجرح وإن كان مجهولا لم يعرف حاله[1].

وكرر ابن حجر ذكر تساهل ابن حبان فى التوثيق فى ترجمة أيوب (آخر اسم فى هذا الباب) من اللسان ، فقال :

مجهول ، وذكره ابن حبان فى الثقات وقال روى عنه مهدى بن ميمون لا أدرى من هو ولا ابن من هو ، وهذا القول من ابن حبان يؤيد ما ذهبنا إليه

---

(١) الصارم المنكى /٨٤

Marfat.com

من أنه يذكر فى كتاب الثقات كل مجهول روى عنه ثقة ولم يجرح ، ولم يكن الحديث الذى يرويه منكراً ، هذه قاعدته وقد نبه على ذلك الحافظ صلاح الدين العلائى ، والحافظ شمس الدين ابن عبد الهادى وغيرهما[1] . اهـ

ولقد أحصيت أربعين راويا يقول ابن حجر فى تهذيبه : ذكرهم ابن حبان فى الثقات ، ثم يحكم هو فى تقريبه بأنهم ضعفاء أو مجاهيل ، ولا يعتد بتوثيق ابن حبان لهم ، ومنهم على سبيل المثال :

أحمد بن جعفر المعقرى ، قال فى التهذيب : قال ابن حبان فى الثقات : مستقيم الحديث ، وقال فى التقريب : مقبول ، أى ضعيف لايحتج به إلا إذا توبع كما هى قاعدة ابن حجر وقد شرحها فى المقدمة .

إبراهيم بن عبد الله بن عبد القارى ، قال فى التهذيب : ذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال فى التقريب : مقبول .

وذكر المعلمى أيضا فى التنكيل هذه المسألة فقال فى كيفية البحث عن أحوال الرواة :

ينبغى أن يبحث عن معرفة الجارح أو المعدل بمن جرحه أو عدله فإن أئمة الحديث لايقتصرون على الكلام فيمن طالت مجالستهم له وتمكنت معرفتهم به بل قد يتكلم أحدهم فيمن لقيه ولو مرة واحدة وسمع منه مجلسا واحداً أو حديثاً واحداً أو فيمن عاصره ولم يلقه ولكنه بلغه شىء من حديثه وفيمن كان قبله بعدة قد تبلغ مئات السنين إذا بلغه شىء من حديثه ، ومنهم من يجاوز ذلك ، فابن حبان قد يذكر فى الثقات من يجد البخارى سماه فى تاريخه من القدماء وإن لم يعرف

(١) اللسان ١/٤٩٢

ما روى ومن روى عنه ، ولكن ابن حبان يشدد وربما تعنت فيمن وجد فى روايته ما استنكره وإن كان الرجل معروفاً مكثراً . والعجلى قريب منه فى توثيق المجاهيل من القدماء وكذلك ابن سعد ، وابن معين ، والنسائى ، وآخرون غيرهم، ويوثقون من كان من التابعين أو أتباعهم إذا وجدوا رواية أحدهم مستقيمة بأن يكون له فيما يروى متابع أو شاهد ، وإن لم يرو عنه إلا واحد ولم يبلغهم عنه إلا حديث واحد(١) .

قلت فلما رأيت علماء الحديث اختلفت أقوالهم فى هذا الإمام على مسلكين فى الظاهر هما متناقضان . إذ بعضهم وصفه بالتعنت وبعضهم وصفه بالتساهل ، أردت أن أحقق هذا الأمر فوجدت ما يأتى :

كل فريق من هؤلاء ذهب إلى مذهب له فيه وجهة نظر يرى أنه قد أصاب فيها ، فمن وصفه بالتشدد والتعنت نظر إلى حاله فى الجرح ، ومن وصفه بالتساهل نظر إلى حاله فى التوثيق أو التعديل . . .

والحق : أنه يشدد فى الجرح ، ويتساهل فى التوثيق ، وهذا فى بادىء الأمر غريب يوهم بالتناقض ، فكيف يوصف بالتشدد فى الجرح وبالتساهل فى التوثيق .

ولكن إذا رجعنا إلى ما كتبه وحكم به نجد أن تساهله فى التوثيق مبنى عنده على أن الأصل فى المسلمين العدالة ، وعلى أن الرجل إذا انتفضت جهالة عينه كان على العدالة إلى أن يتبين جرحه ، وكان مذهب ابن حبان كما فصله ابن حجر أن جهالة العين ترتفع برواية واحد مشهور عنه ، فأدى ذلك إلى أن يعدل ابن حبان

---

(١) التنكيل ١/٦٦

Marfat.com

كثيراً من المجاهيل والضعفاء بناء على هذه القاعدة ، ويروى عنهم ويخرج فى كتابه الصحيح لهم .

والقاعدة عند علماء الحديث فى هذا الباب أن من يروى عنه راو واحد ولو كان مشهوراً لم ترتفع جهالة عينه فهو مجهول العين، فإذا روى عنه راويان ارتفعت جهالة العين وبقيت جهالة الحال حتى يروى عنه ثلاثة فأكثر ، أو ينص على توثيقه واحد من أهل الاختصاص أو أكثر على خلاف فى ذلك ، هذا هو مسلك الجمهور من المحدثين .

ووجدنا أنه فى الجرح إلى درجة لم يشترطها حقاً أحد ، فبمجرد أن يجد على الراوى ولو شيئاً يسيراً شدد فى جرحه ووصفه بالعبارات القاسية وترك حديثه .

ولكن الأمر فى الجرح بالنسبة له ليس بتلك الحال التى صورها من نعتوه بالتعنت ، فإن فى كلامهم شىء من المبالغة يتبين عند تتبعه كما سيأتى ، وخاصة عبارات الذهبى . .

وقد رجعت إلى صحيح ابن حبان فوجدت فيه أحاديث تدل على تساهله فى التوثيق ، ولا تستقيم على شرطه منها :ـ

١ ـ الحديث الأول فى صحيحه ـ الإحسان ترتيب الأمير علاء الدين ـ كل أمر ذى بال لايبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع ١٠/١٠٣ فى سنده قرة بن عبد الرحمن ضعيف قال فيه أحمد : منكر الحديث جداً وقال ابن معين ضعيف الحديث ، وقال أبو زرعة : الأحاديث التى يرويها مناكير ، وقال أبو حاتم والنسائى ليس بقوى ٨/٣٧٢ ـ ٣٧٤ التهذيب .

٢ ـ حديث من طريق زيد القارى فى قرن الأنفال وبراءة من المئين وزيد ضعيف .

Marfat.com

وأما كلام الذهبي فى ترجمة عثمان بن عبد الرحمن الطرائفى وتوثيقه له مع حملته القاسية على ابن حبان لجرحه له فقال : فأما ابن حبان فإنه يقعقع كعادته . . فهو مبالغة منه رحمه الله ، فإن عثمان هذا قال عنه محمد بن عبد الله بن نمير [1] . كذاب ، وقال أبو عروبة[2]: يأتى عن قوم مجهولين بالمناكير ، وقال ابن عدى: عنده عجائب عن المجاهيل ، وعده البخارى فى الضعفاء وقال : كان يحدث عن قوم ضعفاء ، وقال عبد الله بن الإمام أحمد عن أبيه : لا أجيزه ، وقال الأزدى : متروك ، فبهذا تبين أن ابن حبان لم ينفرد بجرح عثمان الطرائفى بل سبق بهؤلاء فلم تكن جرحته قعقعة .

وكذلك حملته رحمه الله على ابن حبان لجرحه لعارم شيخ البخارى فهى غلطة منه ، فقد جرحه العلماء غيره ، فقال أبو حاتم : اختلط عارم فى آخر عمره وزال عقله فمن سمع منه قبل العشرين ومائتين فسماعه جيد ، وقال البخارى : تغير عارم فى آخر عمره ، وقال أبو داود : بلغنى أن عارما أنكر سنة (٢١٣) وراجعه عقله ثم استحكم به الاختلاط سنة (٢١٦) ، وقال الدارقطنى : تغير بأخرة وما ظهر له بعد اختلاطه حديث منكر وهو ثقة ، نقل ذلك كله الذهبى نفسه فى الميزان[3].

هذا مع أننا نجد الذهبى أحياناً يعتقد بتوثيق ابن حبان ، فقد قال فى ترجمة

---

(١) محمد بن عبد الله بن نمير الهمدانى الكوفى ابو عبد الرحمن ثقة حافظ فاضل ١٠/ع .

(٢) ابو عوانة هو وضاح بن عبد الله اليشكرى الواسطى البزاز مشهور بكنيته ثقة فاضل من ٧/ع .

(٣) الميزان ٧/٤ .

Marfat.com

خالد بن ميسرة فى الميزان : ماضعفه أحد . وقال ابن عدى : هو عندى صدوق . قلت : فلماذا ذكرته فى الضعفاء، وقد ذكره ابن حبان فى الثقات[١].

وأحياناً لايعتد به ، فقد قال فى ترجمة حكيم بن شريك الهذلى فى المغنى : مجهول ، ووثقه ابن حبان[٢].

وفى ترجمة يزيد أبو سليمان أو ابن سليمان ، مجهول من الميزان . وقال ابن حجر فى اللسان: وذكره ابن حبان فى الثقات . وفى ترجمة يزيد بن يعقوب ، من الميزان ـ ليس بحجة ، وقال ابن حجر: ذكره ابن حبان فى الثقات .

وابن حجر يتفق مع الذهبي فى هذا المذهب فلا يعتد بتوثيق ابن حبان ، وقد وجدت له فى التهذيب خلقاً كثيراً يقول عنهم:ذكرهم ابن حبان فى الثقات ثم لايرتقى هذا الحكم كما مر . وهذه بعض الأمثلة على ذلك :

فى ترجمة غيلان بن عبد الله العامر فى التهذيب قال : ذكره ابن حبان فى الثقات. وقال ابن حجر عنه فى التقريب ، وهو كتابه الذى اشترط فى مقدمته أن يذكر حكمه الذى يرتضيه على الرجال قال عن غيلان ـ إنه لين .

وفى ترجمة القاسم بن فياض الصنعانى من التهذيب قال : ذكره ابن حبان فى الثقات ، وفى التقريب: مجهول .

وكذلك القاسم بن محمد بن عبد الرحمن ، وقدامة بن وبرة العجلى البصرى وكعب بن المدينى أبو عامر ، كلهم ذكر فى التهذيب أن ابن حبان ذكرهم فى الثقات وحكم هو عليهم فى التقريب بالجهالة .

ولو أردنا الاستقصاء فى هذا الباب لطال بنا ولخرجنا من مقصودنا فى الاختصار الذى التزمنا به والله ولى التوفيق .

---

(١) نفس المصدر ١/٦٤٣ . (٢) المغنى فى الضعفاء ١/١٨٧ .

Marfat.com

مسند الكتاب إلى المؤلف

أخبرنا الشيخ الإمام الحافظ أبو محمد عبد القادر بن عبد الله الرُّهاوى أدام الله تأييده ، وأجزل من كل خير مَزِيدَهُ ، فى شهور سنة اثنتين وستمائة .

قال : حدثنا الأمير القاضى الإمام عمدة الدين مُعين الإسلام ناصر السنة أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحسين بن محمد بن سعيد بن محمد بن سعيد بن محمد البُوسَنْجِىُّ من لفظه ببوسَنْج[1] فى شهور سنة اثنتين وستين وخمسمائة .

قال : أخبرنا الشيخ الإمام العالم الزاهد عفيف الدين أبو جعفرٍ حنبلُ بن علىّ ابن الحسين البخارىّ الصوفى السُّنّىّ رحمه الله .

قال : أخبرنا الشيخ أبو محمد أحمد بن محمد بن أحمد التونى[2] سنة تسع وسبعين وأربعمائة .

قال : أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله الشُّرُطىّ .

قال : أخبرنا أبو حاتم محمد بن حبان البُسْتىّ رضى الله عنه قال :

---

(١) بالسين المهملة من قرى ترمذ ، والشين المعجمة بليدة من نواحى هراة .

(٢) التونى : نسبة الى تون ، مدينة من ناحية قهستان قرب قائن ، حكاه ياقوت ونسب اليها أبا محمد هذا ، وذكر روايته عن شيخه الشروطى .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتفرد بوحدانية الألوهية ، المتعزز بعظمة الربوبية ، القائم على نفوس العالم بآجالها ، والعالم بتقلبها وأحوالها ، المانّ عليهم بتواتر آلائه ، المتفضل عليهم بسوابغ نَعْمَائه، الذى أنشأ الخلق حين أراد بلا مُعين ولا مشير ، وخلق البشر كما أراد بلا شبيه ولا نظير ، فمضت فيهم بقدرته مشيئتُهُ ، ونفذت فيهم بعزته إرادته ، فألهمهم حسن الإطلاق، وركَّبَ فيهم تشعُّبَ الأخلاق ، فهم على طبقاتِ أقدارهم يمشون ، وعلى تشعب أخلاقهم يدورون ، وفيما قضى وقدر عليهم يهيمون و (٢٣ : ٥٣ كل حزب بما لديهم فرحون)[1] .

وأشهد أن لا إله إلا اللهُ فاطر السموات العلا ، ومنشىء الأرضين والثرى ، لا مُعَقِّبَ لحكمه ولا راد لقضائه (٢١ : ٢٣ لا يُسْأَلُ عمَّا يفعل وهم يسألون) .

وأشهد أن محمداً عبده المُجْتَبى ، ورسوله المرتضى ، بعثه بالنور المضىّ ، والأمر المرضىّ ، على حين فترة من الرسل . ودروس من السُّبُل ، فدمغ به الطاغيان ، وأكمل به الإيمان ، وأظهره على كل الأديان ، وقمع به أهل الأوثان ، فصلى الله عليه وسلم ما دار فى السماء فَلَك ، وما سبح فى الملكوت مَلَك ، وعلى آله أجمعين !

أما بعد ، فإن الزمان قد تبيَّن للعاقل تغيرُهُ ، ولاح اللبيب تبدلهُ ، حيث يبِسَ ضَرْعُهُ بعد الغَزَارة، وذبَلَ فرعُهُ بعد النَّضَارة، ونَحِلَ عُوده بعد الرطوبة، وبَشِعَ مذاقه بعد العذوبة ، فنبغ فيه أقوام يَدَّعُون التمكن من العقل باستعمال ضد ما يوجب العقل من شهوات صدورهم ، وترك ما يوجبه نفس العقل بهَجَسَات

---

(١) الرقم الاول للسورة والثانى للآية .

قلوبهم ، جعلوا أساس العقل الذى يعقدون عليه عند المعضلات : النفاقَ والمداهنة ، وفروعَه عند ورود النائبات: حُسْن اللباس والفصاحة، وزعموا أنَّ مَنْ أحكم هذه الأشياء الأربعَ فهو العاقل ، الذى يجب الاقتداء به ، ومن تخلف عن إحكامها فهو الأنوك الذى يجب الازورار عنه .

فلما رأيت الرَّعاع من العـــالم يغترون بأفعالهم ، والهمجَ من الناس يقتدون بأمثالهم ، دعانى ذلك إلى تصنيف كتاب خفيف ، يشتمل متضمنه على معنى لطيف ، مما يحتاج إليه العقلاء فى أيامهم ، من معرفة الأحوال فى أوقاتهم ، ليكون كالتذكرة لذوى الحجى عنـــد حضرتهم ، وكالمعينِ لأولى النُّهَى عند غيبتهم ، يفوق العالِمُ به أقرانه ، والحافظ له أترابه ، يكون النديمَ الصادق للعاقل فى الخلوات ، والمؤنسَ الحافظَ له فى الفلوات ، إن خَصَّ به من يحب من إخوانه ، لم يفتقده من ديوانه ، وإن استبد به دون أوليائه ، فاق به على نظرائه .

أُبَيِّنُ فيه ما يَحْسُنُ للعاقل استعماله من الخصال المحمودة ، ويقبح به إتيانه من الخلال المذمومة ، مع القصد فى لزوم الاقتصار ، وترك الإمعان فى الإكثار ، ليخِفَّ على حامله ، وتَعِيَه أذن مستمعه ، لأن فنون الأخبار وأنواع الأشعار ، إذا استقصى المجتهد فى إطالتها ، فليس يرجو النهاية إلى غايتها ، ومن لم يرجَّ التمكن من الكمال فى الإكثار ، كان حقيقاً أن يقنع بالاختصار .

والله الموفق للسداد ، والهادى إلى الرشاد ، وإياه أسأل إصلاحَ الأسرار ، وترك العاقبة على الأوزار ، إنه جواد كريم ، رءوف رحيم .

* * *

ذكر الحث على لزوم العقل
وصفة العاقل اللبيب

حدثنا محمد بن يوسف[١] بن مطر حدثنا عبد الله بن أحمد بن شَبُّويه[٢] حدثنا أحمد بن يونس[٣] حدثنا فُضَيْل[٤] بن عياض عن محمد بن ثور[٥] عن مَعْمَر[٦] عن أبى حازم[٧] عن سهل بن سعد[٨] قال : قال النبى ﷺ : « إن الله يحب مكارم الأخلاق ، ويكره سفسافها » .

رجال السند :

(١) محمد بن يوسف : وثقه الذهبى فى تذكرة الحفاظ ٣/٧٩٨ .
(٢) عبد الله بن شبويه : وثقه الخطيب البغدادى فى تاريخه ٩/٣٧١ .
(٣) ابن يونس هو ـ عبد الله اليربوعى . وثقه ابن حجر فى التقريب .
(٤) فضيل ـ ثقة عابد . وثقة ابن حجر فى التقريب .
(٥) محمد بن ثور الصنعانى : ثقة . وثقه ابن حجر فى التقريب .
(٦) معمر ـ هو ابن راشد الأزدى . ثقة ثبت . وثقه ابن حجر فى التقريب .
(٧) أبو حازم ـ هو سلمة بن دينار الأعرج . ثقة عابد . وثقة ابن حجر فى التقريب .
(٨) سهل بن سعد الساعدى صحابى جليل . (الاصابة لابن حجر) .

تخريج الحديث :

واخرجه الحاكم فى المستدرك ١/٤٨ وأبو نعيم فى حلية الأولياء ٨/١٣٣ ، ٣/٢٥٥ ـ والخرائطى فى مكارم الأخلاق ص ٣ .

وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٨/١٨٨ : رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط ورجال الكبير ثقات وقال : ورواه الطبرانى فى الأوسط بلفظ : « ان الله جميل يحب الجمال ويحب معالى الأخلاق ويكره سفسافها » قال : وفيه من لم اعرفه ، وجاء من طريق اخرى عن الحسين بن على ـ وفيه خالد بن الياس ضعيف .

Marfat.com

قال أبو حاتم : لست أحفظ عن النبي ﷺ خبراً صحيحاً فى العقل ؛ لأن أبانَ بن أبى عياش ، وسلمَة بن وَرْدَانَ ، وعُمَيْر بن عمران ، وعلىّ بن زيد ، والحسن بن دينار ، وعبّاد بن كثير ، وميسرة بن عبد ربه ؛ وداود بن المحبر ، ومنصور بن صفر وذويهم ، ليسوا ممن احتج بأخبارهم ، فأخرّج ما عندهم من الأحاديث فى العقل .

وإن محبة المرء المكارمَ من الأخلاق وكراهته سفسافها هو نفس العقل فالعقل به يكون الحظ ، ويؤنس الغربة ، ويَنْفِى الفاقة ، ولا مال أفضلَ منه ، ولا يتمُّ دين أحد حتى يتم عقله .

والعقل : اسم يقع على المعرفة بسلوك الصواب ، والعلم باجتناب الخطأ ، فإذا كان المرء فى أول درجته يسمى أديباً ، ثم أريباً ، ثم لبيباً ، ثم عاقلا ، كما أن الرجل إذا دخل فى أول حد الدهاء قيل له : شيطان ، فإذا عتا فى الطغيان قيل : مارِد فإذا زاد على ذلك قيل : عَبْقَرىّ ، فإذا جمع إلى خُبثه شِدّة شرٍّ قيل : عِفْريت وكذلك الجاهل ، يقال له فى أول درجته : المائق ، ثم الرقيع ، ثم الأنْوَكُ ، ثم الأحمق .

وأفضلُ مواهِب الله لعباده العقلُ ، ولقد أحسن الذى يقول :

وأفضل قَسْم الله للمرءِ عقلُه فليسَ من الخيرات شىء يقاربه

= وبهذا اللفظ أخرجه ابو نعيم فى الحلية ٥/٢٩ عن ابن عباس . وفيه أبو عصمة نوح بن ابى مريم كذاب . ونقل السيوطى فى الجامع الصغير أن البيهقى اخرجه فى الشعب عن طلحة بن عبيد الله وصححه شيخنا فى صحيح الجامع رقم ١٧٤٠ وذكر أنه اخرجه ايضا ابو الشيخ وابن عساكر وابن النجار عن سعد بن ابى وقاص . وابن عدى عن الحسين بن على ؛ انظر رقم الحديث ١٨٨٥ ، ١٨٨٦ من صحيح الجامع .

إذا أكملَ الرحمنُ للمرءِ عقلَه فقد كملتْ أخلاقهُ ومآربه
يعيشُ الفتى فى الناس بالعقل ، إنه على العقل يَجْرِى علمهُ وتجَارِبُهْ
يزيد الفتى فى الناس جَوْدةُ عقلِه وإن كانَ محظوراً عليه مكاسِبُهْ

أخبرنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا أحمد بن سَيَّار حدثنا حَبيب الجلّاب قال : قيل لابن المبارك « ما خير ما أُعطِىَ الرجل ؟ قال : غريزة عقل ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : أدب حسن ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : أخ صالح يستشيره ، قيل: فإن لم يكن ؟ قال : صَمْتٌ طويل ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : موت عاجل » .

أخبرنا محمد بن داود الرازى حدثنا محمد بن حُمَيْدٍ حدثنا ابن المبارك قال « سئل عقيل : ما أفضل ما أُعطى العبد ؟ قال : غريزة عقل . قال : فإن لم يكن ؟ قال : فأدب حسن ، قال : فإن لم يكن ؟ قال : فأخ شقيق يستشيره ، قال : فإن لم يكن ؟ قال : فطولُ صَمْت ، قال . فإن لم يكن ؟ قال : فموت عاجل » .

قال أبو حاتم : العقل نوعان : مطبوع ومسموع ، فالمطبوع منهما كالأرض ، والمسموع كالبذر والماء . ولا سبيل للعقل المطبوع أن يخلص له حمل محصول دون أن يرد عليه العقل المسموع ، فينبهه من رَقْدَته ، ويعلقه من مكامنه ، يستخرج البذر والماء ما فى تعور الأرض من كثرة الرَّبْع .

فالعقل الطبيعى من باطن الإنسان بموضع عروق الشجرة من الأرض، والعقل المسموع من ظاهره كتدلِّى ثمرة الشجرة من فروعها .

أنشدنى محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطى :

رأيت العقـــل نوعين فطبـــوع ومسموع

Marfat.com

ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

أخبرنا القطان بالرقة حدثنا موسى بن مروان حدثنا بقية عن عبد الله بن حسان حدثنى ابن عامر ، قال : قلت لعطاء بن أبى رباح « يا أبا محمد ، ما أفضل ما أعطى العبد ؟ قال : العقل عن الله » .

أنشدنى أحمد بن عبد الله الصنعانى لعبد الله بن عكراش :

يَزين الفتى فى الناس صحة عقله وإن كان محظوراً عليه مكاسبه
يَشينُ الفتى فى الناس خفةُ عقله وإن كرمت أعراقه ومَنَاسبه

قال أبو حاتم : فالواجب على العاقل أن يكون بما أحيا عقلَه من الحكمة أكلَفَ منه بما أحيا جسده من القوت ، لأن قوت الأجساد المطاعم ، وقوت العقل الحكم ، فكما أن الأجساد تموت عند فقد الطعام والشراب ، وكذلك العقول إذا فقدت قُوتَها من الحكمة ماتت .

والتقلب فى الأمصار والاعتبار بخلق الله مما يزيد المرء عقلا ، وإن عَدم المال فى تقلبه .

أنشدنى عبد الرحمن بن محمد المقاتلى :

إن ذا العَقْلِ يرى غنما له عَدَمَ المال ، إذا ما العقلُ صح
ما على المرء بِعُدْم شُبَّةٌ إنْ وَفَا العقلُ ، وإنْ دينٌ صلح

أخبرنا محمد بن المسيب حدثنا أحمد بن إسماعيل المدنى قال : سمعت حاتم ابن إسماعيل يقول « ما استودع الله عقلا عبداً إلا استنقذه به يوماً ما » .

Marfat.com

قال أبو حاتم : العقل دواء القلوب ، ومَطِية المجتهدين ، وبذر حرانة الآخرة ، وتاج المؤمن فى الدنيا ، وعُدَّته فى وقوع النوائب، ومن عدم العقل لم يزده السلطان عزاً ، ولا المال يرفعه قدراً ، ولا عَقْلَ لمن أغفله عن أخراه ما يجد من لذة دنياه فكما أن أشد الزَّمانة الجهل ، كذلك أشد الفاقة عدم العقل .

والعقل والهوى متعاديان ، فالواجب على المرء : أن يكون لرأيه مُسْعِفاً ، ولهواه مسوّفا . فإذا اشتبه عليه أمران اجتنب أقربهما من هواه ؛ لأن فى مجانبته الهوى إصلاح السرائر ، وبالعقل تصلح الضمائر .

أخبرنا عمرو بن محمد الأنصارى حدثنا محمد بن عبيد الله الجشمى حدثنا المدايني ، قال : قال معاوية بن أبى سفيان لرجل من العرب عُمِّر دهراً « أخبرنى بأحسن شىء رأيته ، قال : عقل طُلِب به مروءة مع تقوى الله وطلب الآخرة » .

وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

إذا تم عقل المرء تمت أموره ... وتمت أياديه ، وتم بناؤه

فإن لم يكن عقل تبين نقصه ... ولو كان ذا مال كثيراً عطاؤه

أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو كامل الجحدرى حدثنا عمران بن خالد الخزاعى قال : سمعت الحسن يقول « ما تم دينُ عبد قطُّ حتى يتم عقله » .

قال أبو حاتم : أفضل ذوى العقول منزلَةً أدومُهم لنفسه محاسبة ، وأقلهم عنها فترة .

فبالعقل تعمر القلوب ، كما أن بالعلم تستخرج الأحلام ، وعمود السعادة العقل ، ورأس العقل الاختيار ، ولو صور العقل صورة لأظلمت معه الشمس لنوره ،

Marfat.com

فقرب العاقل مَرجُو خيره على كل حال ، كما أن قرب الجاهل مَخُوف شره على كل حال .

ولا يجب للعاقل أن يغتم ؛ لأن الغم لاينفع . وكثرته تُزْرِى بالعقل ، ولا أن يحزن ؛ لأن الحزن لايردُّ الْمَرْزِئَةَ . ودوامه ينقص العقل .

والعاقل يحسم الداء قبل أن يبتلى به ، ويدفع الأمر قبل أن يقع فيه ، فإذا وقع فيه رضى وصبر ، والعاقل لايخيف أحداً أبداً ما استطاع، ولا يقيم على خوف وهو يجد منه مَذْهَباً ، وإذا خاف على نفسه الهوان طابت نفسه عما يملك من الطارف والتالد ، مع لزوم العفاف ، إذ هو قُطْب شُعَب العقل .

أنشدنى المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصارى :

أولستَ تأمر بالعفاف وبالتقى ... وإليه آل الأمر حين يؤول ؟

فإن استطعت فخذ بعقلك فضلة ... إن العقول يُرى لها تفضيل

أخبرنا الحسين بن إسحاق الأصبهانى بالكرج حدثنا محمد بن على الطاحى حدثنا عمرو بن عثمان الخزاز الحرانى حدثنا مفضل بن صالح قال علىّ : « لما أهبط الله آدم من الجنة أتاه جبريل ، فقال : إنى أمرت أن أخيرك فى ثلاثة ، فاختر واحدة ، ودع اثنين. فقال آدم : وما الثلاث ؟ قال : الحياء والدين والعقل ، قال آدم : فإنى قد اخترت العقل . قال : فقال جبريل للحياء والدين : انصرفا ودَعاه ، فقالا : إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان . ثم عرج جبريل وقال : شأنكم » .

قال أبو حاتم : من حَسُنَ عقله وقبح وجهه فقد أفقد فضائل نفسه قبائح

Marfat.com

وجهه ، ومن حسن وجهه وذل عقله فقد أذهب مَحَاسِن وجهه نقائص نفسه ، فلا يجب للعاقل أن يغتم إذا كان معدماً ، لأن العاقل قد يرجى له الغنى ، [ولا] يوثق للجاهل المكثر ببقاء ماله ؛ ومال العاقل عقله وما قدم من صالح عمله .

وآفة العقل الصَّلَف والبلاء المُرْدِى ، والرخاء المفرط ؛ لأن البلايا إذا تواترت عليه أهلكت عقله ، والرخاء إذا تواتر عليه أبطره ، والعدو العاقل خير للمرء من الصديق الجاهل .

أنشدنى على بن محمد البَسَّامى :

عدوك ذو العقل أبقى عليك ... من الجاهل الوَامِق الأحمق
وذو العقل يأتى جميل الأمور ... ويقصد للأرشد الأرفق

أخبرنا محمد بن الحسين بن قتيبة بعسقلان حدثنا ابن أبى السرى حدثنا داود بن الجراح وضمرة بن ربيعة عن خايد بن دعلج قال : سمعت معاوية بن قرة يقول « إن القوم ليحجون ويعتمرون ، ويجاهدون ويصلون ، ويصومون ، وما يُعْطَوْنَ يوم القيامة إلا على قدر عقولهم » .

سمعت محمد بن محمود بن عدى النسائى يقول : سمعت على بن خشرم يقول : سمعت حفص بن حميد الأكَّاف يقول : « العاقل لا يغبَن ، والورع لا يغبِن » .

قال أبو حاتم : هذه لفظة جامعة ، تشتمل على معان شتى ، فكما لاينفع الاجتهاد بغير توفيق ، ولا الجمال بغير حلاوة ، ولا السرور بغير أمن ، كذلك لاينفع العقل بغير ورع ، ولا الحفظ بغير عمل ، وكما أن السرور تبع للأمن ، والقرابة تبع للمودة ، كذلك المروءات كلها تبع للعقل .

وعقول كل قوم قدر زمانهم ، فالعاقل يختار من العمر أحسنه وإن قل ، فإنه

خير من الحياة النكدة وإن طالت ، والعقل الموعَى ـ غير المنتفع به ـ كالأرض الطيبة الخراب .

والعاقل لايبتدىء الكلام إلا أن يُسْأَل ، ولا يكثر التمارى إلا عند القبول ، ولا يسرع الجواب إلا عند التثبت .

والعاقل لايستحقر أحداً ؛ لأن من استحقر السلطان أفسد دنياه ، ومن استحقر الأتقياء أهلك دينه ، ومن استحقر الإخوان أفنى مروءته ، ومن استحقر العام أذهب صيانته .

والعاقل لايخفى عليه عيب نفسه؛ لأن من خفى عليه عَيبُ نفسه خفِيتْ عليه محاسن غيره ، وإن من أشد العقوبة للمرء أن يخفى عليه عيبه ؛ لأنه ليس بمقلع عن عيبه من لم يعرفه ، وليس بنائل محاسن الناس من لم يعرفها ، وما أنفع التجارب للمبتدى .

أنشدنى المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصارى :

ألم تر أن العقل زين لأهله ... وأن كمال العقل طولُ التجارب
وقدوعظ الماضى من الدهر ذا النهى ... ويزداد فى أيامه بالتجارب

أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا جرير عن الحكم ابن عبد الله قال « كانت العرب تقول : العقل التجارب ، والحزم سوء الظن » .

قال أبو حاتم : لا يكون المرء بالمصيب فى الأشياء حتى تكون له خبرة بالتجارب .

والعاقل يكون حَسَنَ المأخذ فى صغره ، صحيح الاعتبار فى صباه ، حسن العفة عند إدراكه ، رضى الشمائل فى شبابه ، ذا الرأى والحزم فى كهولته ، يضع نفسه

دون غايته برتوة . ثم يجعل لنفسه غاية يقف عندها ، لأن من جاوز الغاية فى كل شىء صار إلى النقص .

ولا ينفع العقل إلا بالاستعمال، كما لاتنفع الأعوان إلا عند الفرصة ، ولا ينفع الرأى إلا بالانتخال ، كما لاتتم الفرصة إلا بحضور الأعوان .

ومن لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه ، أخاف أن يكون حتفه فى أقرب الأشياء إليه .

ورأس العقل : المعرفة بما يمكن كونه قبل أن يكون .

والواجب على العاقل أن يجتنب أشياء ثلاثة ، فإنها أسرع فى إفساد العقل من النار فى يَبِيس العَوْسَج : الاستغراق فى الضحك ، وكثرة التمنى ، وسوء التثبت ؛ لأن العاقل لايتكلف ما لا يطيق ، ولا يسعى إلا لما يدرك ، ولا يَعِدُ إلا بما يقدر عليه ، ولا ينفق إلا بقدر مايستفيد ، ولا يطلب من الجزاء إلا بقدر ما عنده من الغَناء ، ولا يفرح بما نال إلا بما أجدى عليه نفعه منه .

والعاقل يبذل لصديقه نفسَه ومالَه ، ولمعرفته رِفْدَه ومحضره ، ولعدوه عدله وبره ، وللعامة بِشْره وتحيته ، ولا يستعين إلا بمن يحب أن يظفر بحاجته ، ولا يحدث إلا من يرى حديثه مغنما ، إلا أن يغلبه الاضطرار عليه، ولا يدعى مايحسن من العلم لأن فضائل الرجال ليست ما ادَّعَوْها ولكن ما نسبها الناسُ إليهم ، ولا يبالى ما فاته من حُطَام الدنيا ، مع ما رزق من الحظ فى العقل .

أنشدنى عبد الرحمن بن محمد المقاتلى :

فمن كان ذا عقل ، ولم يك ذا غنى ... يكون كذى رِجْلٍ ، وليست له نَعْلُ
ومن كان ذا مال ، ولم يك ذا حِجَى ... يكون كذى نعل، وليست له رجل

Marfat.com

قال أبو حاتم : كفى بالعاقل فضلا وإن عدم المال : بأن تُصْرَف مساوى أعماله إلى المحاسن ، فتجعل البلادة منه حلماً ، والمكر عقلا ، والهذر بلاغة ، والجدة ذكاء ، والعى صمتاً ، والعقوبة تأديباً ، والجرأة عزماً ، والجبن تأنياً ، والإسراف جوداً ، والإمساك تقديراً ، فلا تكاد ترى عاقلا إلا موقراً للرؤساء ، ناصحاً للأقران ، مواتياً للإخوان ، متحرزاً من الأعداء ، غير حاسد للأصحاب ، ولا مخادع للأحباب ، ولا يتحرش بالأشرار ، ولا يبخل فى الغنى ، ولا يَشْرَهُ فى الفاقة ، ولا ينقاد للهوى ، ولا يجمح فى الغضب ، ولا يمرح فى الولاية ، ولا يتمنى ما لا يجد ، ولا يكتنز إذا وجد ، ولا يدخل فى دعوى ، ولا يشارك فى مِرَاء ، ولا يُدْلِى بحجة حتى يُرى قاضياً ، ولا يشكو الوجع إلا عند من يرجو عنده البر ، ولا يمدح أحداً إلا بما فيه ؛ لأن من مدح رجلا بما ليس فيه فقد بالغ فى هجائه ، ومن قبل المدح بما لم يفعله فقد استهدف للسخرية .

والعاقل يكرم على غير مال ، كالأسد يُهاب وإن كان رابضاً .

وكلام العاقل يعتدل كاعتدال جسد الصحيح ، وكلام الجاهل يتناقض كاختلاط جسد المريض .

وكلام العاقل وإن كان نَزْراً حظوة عظيمة ، كما أن مقارفة المأثم وإن كان نزراً مصيبة جليلة .

ومن العقل التثبت فى كل عمل قبل الدخول فيه .

وآفة العقل العجب ، بل على العاقل أن يوطِّن نفسه على الصبر على جار السوء ، وعشير السوء ، وجليس السوء ، فإن ذلك مما لا يخطيه على ممر الأيام .

ولا يحب للعاقل أن يحب أن يسمَّى به ، لأن من عرف بالدهاء حذر ، ومِنْ

عقل العاقل دفن عقله ما استطاع ، لأن البذر وإن خفى فى الأرض أياماً فإنه لابد ظاهر فى أوانه ، وكذلك العاقل لايخفى عقلُه وإن أخفى ذلك جهده .

وأول تمكن المرء من مكارم الأخلاق هو لزوم العقل .

أنشدنى على بن محمد البسامى :

إن المكارم أبوابٌ مُصَنَّفة فالعقل أولُها والصمت ثانيها
والعلم ثالثها ، والحلم رابعها ، والجود خامسها ، والصدق ساديها
والصبر سابعها ، والشكر ثامنها واللين تاسعها ، والصدق عاشيها

أخبرنا عمر بن عبد الله بن عمر الهجرى بالأبلة حدثنا عبد الله بن خبيق حدثنا موسى بن طريف قال شعيب بن حرب : قال لى شعبة « عقولنا قليلة ، فإذا جلسنا مع من هو أقل عقلا منا ذهب ذلك القليل ، وإنى لأرى الرجل يجلس مع من هو أقل عقلا منه فأمقته » .

قال أبو حاتم : أول خصال الخير للمرء فى الدنيا العقل ، وهو من أفضل ما وهب الله لعباده ، فلا يجب أن يدنس نعمة الله بمجالسة من هو بضدها قائم .

والواجب على العاقل : أن يكون حسن السَّمْت طويل الصمت ، فإن ذلك من أخلاق الأنبياء ، كما أن سوء السَّمْت وترك الصمت من شِيَم الأشقياء .

والعاقل لايطول أمله ؛ لأن من قوى أمله ضعف عمله ، ومن أتاه أجله لم ينفعه أمله .

والعاقل لا يقاتل من غير عُدة ، ولا يخاصم بغير حجة ، ولا يصارع بغير قوة ، لأن بالعقل تحيا النفوس ، وتنور القلوب ، وتمضى الأمور ، وتعمر الدنيا .

والعاقل يقيس ما لم ير من الدنيا بما قد رأى ، ويضيف ما لم يسمع منها إلى

Marfat.com

ما قد سمع ، وما لم يصِب منها إلى ما قد أصاب ، وما بقى من عمره بما فنى ، وما لم ينل منها بما قد أوتى ، ولا يتكل على المال وإن كان فى تمام الحال ، لأن المال يحل ويرتحل ، والعقل يقيم ولا يبرح ، ولو أن العقل شجرة لكانت من أحسن الشجر ، كما أن الصبر لو كان ثمرة لكان من أكرم الثمر .

والذى يزداد به العاقل من نماء عقله ، هو التقرب من أشكاله ، والتباعد من أضداده .

ولقد أخبرنا محمد بن المهاجر المعدل، حدثنا أبو جعفر ابن ابنة أبى سعيد الثعلبى حدثنا محمد بن أبى مالك الغزى ، قال: سمعت أبى يقول « جالسوا الألباء، أصدقاء كانوا أو أعداء ؛ فإن العقول تلقح العقول » .

قال أبو حاتم : مجالسة العقلاء لا تخلو من أحد معنيين : إما تذكر الحالة التى يحتاج العاقل إلى الانتباه لها ، أو الإفادة بالشىء الخطير الذى يحتاج الجاهل إلى معرفتها .

فقرب العاقل غُنْم لأشكاله وعِبْرة لأضداده ، على الأحوال كلها .

ولا يجب لمن تسمى به أن يتدلل إلا على من يحتمل دلاله ، ويقبل إلا على من يحب إقباله ، ولو كان للعقل أبوان لكان أحدهما الصبر والآخر التثبت .

جعلنا الله ممن رُكِّبَ فيه حسن وجود العقل ، فسلك بتمام النعم مسلك الخصال التى تقربه إلى ربه ، فى دارى الأمد والأبد ، إنه الفعال لما يريد .

* * *

Marfat.com

ذكر إصلاح السرائر بلزوم تقوى الله

أخبرنا أحمد بن محمد [١] بن يحيى بن زهير ـ بتُسْتَر ـ حدثنا عمر بن شَبَّة[٢] حدثنا مؤمل بن إسماعيل[٣] حدثنا شعبة[٤] عن زياد بن علاقة[٥] عن أسامة ابن شريك[٦] قال : قال رسول الله ﷺ : « ما كَرِهَ اللهُ منك شيئاً فلا تفعله إذا خلوتَ » .

قال أبو حاتم: الواجب على العاقل الحازم أن يعلم أن للعقل شُعَباً من المأمورات والمزجورات ، لابد له من معرفتها ، واستعمالها فى أوقاتها ، لمباينة العامِّ ، وأوباش الناس بها .

وإنى ذاكر فى هذا الكتاب ـ إنِ اللهُ قضى ذلك وشاءه ـ خمسين شُعبة من شعَب العقل من المأمورات والمزجورات، ليكون الكتاب مشتملا على خمسين

رجال السند :

(١) أحمد بن محمد بن يحيى بن زهير ، وثقه الذهبى فى تذكرة الحفاظ ٢/٧٥٧ .

(٢) عمر بن شبة بن عبيدة بن يزيد النميرى ابو زيد . صدوق له تصانيف منها تاريخ المدينة من ١٠/ق .

(٣) مؤمل بن اسماعيل البصرى صدوق سيىء الحفظ من ٩/خت ت س ق .

(٤) تقدمت ترجمته .

(٥) زياد بن علاقة الثعلبى أبو مالك الكوفى ثقة /ع .

(٦) اسامة بن شريك الثعلبى صحابى تفرد بالرواية عنه زياد بن علاقة روى له / عم .

تخريج الحديث :

أخرجه المصنف فى صحيحه ١/٣٧٥ بهذا الاسناد . وفيه مؤمل سيىء الحفظ . وقد حسنه شيخنا الألبانى فى السلسلة الصحيحة رقم ١٠٥٥ وصحيح الجامع رقم ٥٥٣٥ .

Marfat.com

باباً ، بناء كل باب منها على سُنَّة رسول الله ﷺ ، ثم نتكلم فى عقيب كل سُنَّة منها بحسب ما يَمُنُّ الله به من التوفيق لذلك إن شاء الله .

فأول شعب العقل هو لزوم تقوى الله ، وإصلاح السريرة ، لأن من صَلُح جُوّانيه أصلح الله بَرّانيه ، ومن فَسَد جُوّانيه أفسد الله برانيه .

ولقد أحسن الذى يقول :

إذا ما خلوتَ الدهر يوماً فلا تَقُلْ خلوتُ ، ولكن قُل : علىّ رقيبُ
ولا تحسبنَّ الله يغفلُ ساعة ولا أنَّ ما يَخْفَى عليه يغيبُ
ألم تر أنَّ اليوم أسرعُ ذاهبٍ وأنَّ غداً للناظرين قريبُ ؟

أخبرنا عبد الله بن محمود بن سليمان السعدىّ حدثنا شعبة بن هبيرة حدثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال « اتخذْ طاعةَ الله تجارة تأتك الأرباح من غير بضاعة » .

قال أبو حاتم : قطبُ الطاعات للمرء فى الدنيا : هو إصلاح السرائر ، وترك إفساد الضمائر .

والواجب على العاقل الاهتمام بإصلاح سريرته ، والقيامُ بحراسة قلبه عند إقباله وإدباره ، وحركته وسكونه ؛ لأن تكدُّر الأوقات وتنغُّص اللذات لا يكون إلا عند فساده .

ولو لم يكن لإصلاح السرائر سبب يؤدى العاقلَ إلى استعماله إلا إظهار الله عليه كيفية سريرته ، خيراً كان أو شراً ، لكان الواجبُ عليه قِلةَ الإغضاء عن تعاهدها .

أنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

يُلبس اللهُ فى العلانية العبدَ الذى كان يَخْتفِى فى السريره

حسناً كان ، أو قبيحاً سَيُبْدَى كلُّ ما كان ثَمَّ من كلِّ سِيره
فاستحِ اللهَ أن تُرَائِىَ للناس فإنَّ الرياء بئسَ الذَّخيره

أخبرنا أبو يَعْلى حدثنا شُريح بن يونس حدثنا عُبَيْدَة بن حُمَيْد عن منصور عن عطاء بن أبى رباح عن أبيه قال : قال كعب « والذى فلقَ البحر لبنى إسرائيل ، إنى لأجد فى التوراة مكتوباً : يا ابن آدم ، اتَّقِ ربَّكَ ، وصِلْ رحمك ؛ وبِرَّ والديك ؛ يُمِدَّ لك فى عُمُرِك ، ويُيَسِّر لك يُسرك . ويَصْرِفْ عنك عُسْرك » .

حدثنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا محمد بن على الشقيق حدثنا أبى حدثنا جعفر بن سليمان الضبعى عن مالك بن دينار قال « إن القلب إذا لم يكن فيه حزن خَرِبَ ، كما يخرب البيت إذا لم يكن فيه ساكن ، وإن قلوب الأبرار تَغْلى بأعمال البِرِّ ، وإن قلوب الفُجَّار تغلى بأعمال الفجور . والله يرى همومكم ، فانظروا ماهمومكم ؟ رحمكم الله » .

أنشدنى محمد بن عبد الله بن زنجى البغدادى :

وإذا أعلنتَ أمراً حَسَنا فليكنْ أحسنَ منه ما تُسر
فسرُّ الخير مُوسومٌ به ومِسرُّ الشرِّ موسوم بشرّْ

أخبرنا أبو يعلى حدثنا شريح بن يونس حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم قال « إن الرجل ليتكلم بالكلام ينوى فيه الخير ، فيلقى الله فى قلوب العباد ، حتى يقولوا : ما أراد بكلامه هذا إلا الخير ، وإن الرجل ليتكلم بالكلام الشر لاينوى فيه الخير ، فيلقى الله فى قلوب الناس حتى يقولوا : ما أراد بكلامه هذا إلا الشر » .

Marfat.com

حدثنا محمد بن عمر الهَمْدانى حدثنا القَطَوانى حدثنا سَيّار حدثنا حماد بن زيد عن أيوب قال : سمعت الحسن يقول « إنكم وقوفٌ هاهنا تنتظرون آجالكم وعند الموت تَلْقَوْنَ الخير ، فخذوا مما عندكم لما بعدكم » .

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن يأخذ مما عنده لما بعده من التقوى والعمل الصالح : بإصلاح السريرة ، ونَفْى الفساد عن خَلَل الطاعات عند إجابة القلب وإبائه . فإذا كان صحة السبيل فى إقباله موجوداً أنفذه بأعضائه ، وإن كان عدم وجوده موجوداً كبحه عنها ، لأن بصفاء القلب تصفو الأعضاء .

وأنشدنى المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصارى :

وإنَّ امرأ لم يَصْفُ لله قلبه ... لَفى وَحْشَةٍ من كُلِّ نظرة ناظر
وإنَّ امرأً لم يرتحـــل ببضاعة ... إلى داره الأخرى فليس بتاجر
وإن امرأ ابتاع دنيا بدينه ... لمنقلِبٌ منها بصَفْقَةِ خاسر

أخبرنا أحمد بن الحسين بن عبد الجبار الصوفى ببغداد حدثنا أبو نصر التمار حدثنا أبو الأشهب عن خالد الربعى قال « كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً ، فأمره سيده أن يذبح شاة ، فذبح شاة ، فقال : ائتنى بأطيب مُضْغتَين فى الشاة ، فأتاه باللسان والقلب ، ثم مكث أياما ، فقال : اذبح شاة ، فذبح ، فقال : ائتنى بأخبث مضغتين فى الشاة ، فألقى إليه اللسان والقلب ، فقال له سيده : قلت لك حين ذبحت : ائتنى بأطيب مضغتين فى الشاة ، فأتيتنى باللسان والقلب ، ثم قلت لك الآن حين ذبحتَ الشاة : ائتنى بأخبث مضغتين فى الشاة ، فألقيت اللسان والقلب؟ فقال : إنه لا أطيب منهما إذا طابا ، ولا أخبث منهما إذا خَبُثا » .

Marfat.com

وأنشدنى منصور بن محمد الكُرَيْزى :

وما المرء إلا قلبُه ولسانُه إذا حصلت أخبارُهُ ومَدَاخله
إذا ما رِداءُ المرء لم يَكُ طاهراً فهيهات أن يُنقيه بالماء غاسلُه
وما كلّ من تخشى ينالُك شرّه وما كلُّ ما أمَّلْتَه أنتَ نائله

أخبرنا أحمد بن عيسى بن السُّكَيْن ـ بو اسط ـ حدثنا عبد الحميد بن محمد ابن مُسْتام حدثنا مَخْلد بن يزيد حدثنا صالح بن حسان المؤذن قال « دخلت على عمر بن عبد العزيز ، فسمعته يقول : لايتقى الله عبدٌ حتى يجدَ طعم الذل » .

قال أبو حاتم : العاقل يفتش قلبه فى ورود الأوقات ، ويكبح نفسه عن جميع المزجورات ، ويأخذها بالقيام فى أنواع المأمورات ، ولزوم الانتباه عند ورود الفترة فى الحالات ، ولا يكون المرء يشاهد ماقلنا قائماً حتى يوجد منه صحة التثبت فى الأفعال .

أنشدنى على بن محمد البسامى :

وإذا بحثتَ عن التَّقِىِّ وجدته رجلًا يصدّق قوله بفعال
وإذا اتّقى اللهَ امرؤ وأطاعه فيداهُ بين مكارمٍ ومَعَال
وعلى التقىِّ إذا تراسخ فى التُّقَى تاجان : تاجُ سكينة ، وجمال
وإذا تناسبت الرجالُ ، فما أرى نسباً يكون كصالح الأعمال

أخبرنا القطان بالرقة حدثنا عبد الله بن رومى البزاز عن أبيه قال : قلّما دخلت على إسحاق بن أبى ربعى الرافقى إلا وهو يتمثل بهذا البيت :

خيرٌ من المال والأيامُ مقبلةٌ جَيْبٌ نَقِىٌّ من الآثام والدَّنَس

أخبرنا محمد بن عبد الله بن الجنيد حدثنا عبدالوارث بن عبيدالله عن عبدالله أخبرنا الربيع عن الحسن قال « أفضلِ العمل الورَعُ والتفكر » .

Marfat.com

قال أبو حاتم : العاقل يدبر أحواله بصحة الورع ، ويمضى لسانه بلزوم التقوى ، لأن ذلك أول شُعَب العقل ، وليس إليه سبيل إلا بصلاح القلب .

ومثل قلب العاقل إذا لزم رعاية العقلِ ـ على ما نذكرها فى كتابنا هذا إن الله قضى ذلك وشاءه ـ كأنَّ قلبه شُرِّح بسكاكين التُقْيَة ، ثم مُلِّح بِملْح الخَشْية ، ثم جُفِّف برياح العظَمة ، ثم أحيي بماء القُربة ، فلايوجد فيه إلاّ مايُرضى المولى جل وعلا ، ولا يبالى المرء إذا كان بهذا النعت أن يَتّضع عند الناس ، ومحالٌ أن يكون ذلك أبداً .

سمعت أحمد بن موسى بواسط يقول « وجد [ت] على خف عطاء السُّلمى مكتوبا ، وكان حائكا » :

ألا إنما التقوى هو العز والكرمْ ونخرُك بالدنيا هو الذلّ والعَدمْ
وليس على عبد تقىٍّ نقيصةٌ إذاصحح التقوى،وإن حاك أوحجَمْ

أخبرنا محمد بن زنجويه القشيرى حدثنا عمرو بن على حدثنا طريف بن سعيد حدثنا القاسم بن عبد الله الأنصارى عن محمد بن علىّ بن حسين قال « إذا بلغ الرجل أربعين سنة ناداه مناد من السماء : دنا الرحيلُ ، فأعدّ زاداً » .

وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

إذا انتسب الناسُ كان التقىُّ بتقواه أفضلَ من ينتسب
ومن يتق الله يَكْسِب به من الحظّ أفضلَ ما يكتسب
ومن يتخذ سبباً للنجاة فإنّ تُقَى الله خيرُ السبب

وأنشدنى أحمد بن محمد بن عبد الله الصنعانى لابن عِكراش :

ومهما يُسِرّ المرء يَبْدُ لربِّه وما يَنْسَه الإنسان لايَنْسَ كاتبهْ
ومن كان غَلّابا بجهد ونَجْدَة فذو الحظّ فى أمر المعيشة غالبه

Marfat.com

وأنشدنى أبو بدر أحمد بن خالد بن عبيد الله بن عبد الملك بِحرّان :

يا نفسُ ، ما هو إلا صبرُ أيامِ كأنّ لَذّاتِها أضغاثُ أحلام

يانفس جُوزى عن الدنيا مبادِرَةً وخَلِّ عنها ، فإن العيش قُدّامى

أخبرنا الحسين بن إدريس الأنصارىّ أخبرنا سويد بن نصر أخبرنا عبد الله أخبرنا سفيان عن معن قال : قال عبد الله « إن لهذه القلوب شهوة وإقبالا ، وإن لها فَتْرَةً وإدباراً ، فخذوها عند شهوتها وإقبالها ، ودَعُوها عند فترتها وإدبارها»

قال أبو حاتم: الواجب على العاقل ألا ينسى تعاهد قلبه بترك ورود السبب الذى يُورث القساوة له عليه ؛ لأن بصلاح الملك تصلح الجنود ، وبفساده تفسد الجنود ، فإذا اهتم بإحدى الخصلتين تجنَّب أقربهما من هواه ، وتَوَخَّى أبعدهما من الردى .

ولقد أحسن الذى يقول :

وإذا تشاجر فى فؤادك مَرّةً أمران ، فاعْمَدْ للأعفِّ الأجمل

وإذا هممت بأمر سوء ، فاتَّئِدْ وإذا هممتَ بأمر خير فافْعَل

أخبرنا بَكر بن أحمد بن سعيد الطاحى بالبصرة ، حدثنا إبراهيم بن عَزْرة الشامى عن مِسْعر بن كُدام عن عَوْن بن عبد الله قال : قال عمر بن الخطاب « جالسوا التَّوابين ، فإنهم أرقّ أفئدة » .

أخبرنا أبو يعلى حدثنا محمد بن عمرو بن جَبَلَة حدثنا محمد بن مروان حدثنا عطاء الأزرق قال : قال رجل للحسن « يا أبا سعيد ، كيف أنت ؟ وكيف حالك؟ قال : كيف حال مَنْ أمسى وأصبح ينتظر الموت ، ولا يدرى ما يُصْنَع به » .

وأنشدنى منصور بن محمد الكريْزى :

تخيَّر قريناً من فِعالك ، إنما يَزينُ الفتى فى القبر ما كان يفعل

Marfat.com

فإن كنتَ مشغولا بشيء، فلا تكن بغير الذى يَرْضَى به الله تُشْغَل
فلا بدّ بعدَ القبرِ من أن تُعِدَّه ليوم ينادَى المرء فيه ، فيسألُ
فلن يصحب الإنسان مِنْ قبل موته ولا بعده إلا الذى كان يَعْمل
ألا إنما الإنسان ضيفٌ لأهله يُقِيم قليلا بينهم ثم يرحَل

أخبرنا على بن سعيد العسكرى حدثنا إبراهيم بن الجنيد حدثنا محمد بن الحسين حدثنا إسماعيل بن زياد قال « قدم علينا عبد العزيز بن سليمان عَبَّادَانَ فى بعض قَدَماته ، فأتيناه نُسَلِّم عليه ، فقال لنا : صَفوا للمنعِمِ قلوبكم ، يَكفِكمُ المؤنَ عند همِّكم » ثم قال « لو خدمت مخلوقاً فأطلْتَ خِدْمته ، ألم يكنْ يَرْعى لخدمتك حُرمَةً ؟ فكيف بمن يُنعِم عليك وأنت مُسِيء إلى نفسك ، تتقلَّب فى نِعمِه ، وتتعرَّض لغضبه ؟ هيهات هيهات ، همّة البطالين ، ليس لهذا خلقتم ، ولا بذا أُمرتم ، الكَيْسَ الكَيْسَ رحمكم الله » وكان يفطر على ماء البحر .

قال أبو حاتم : لن تصفو القلوب من وجود الدَّرن فيها حتى تكون الهمم فى الله همّا واحداً ، فإذا كان كذلك كُفِىَ الهمّ فى الهموم إلا الهم الذى يؤول مُتَعَقَّبُه إلى رضا البارى جل وعز ، بلزوم تقوى الله فى الخلوة والملأ ، إذ هو أفضل زادِ العقلاء فى دارَيْهِمْ ، وأجلُّ مَطِيَّة الحكماء فى حالَيْهم .

وأنشدنى محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطى :

عليك بتقوى الله فى كل أمره تجد غِبَّه يوم الحساب المطوَّل
ألا إن تقوى الله خيرُ مغَبةٍ وأفضل زادِ الظاعن المترحِّل

قال أبو حاتم : قد ذكرت هذا الباب بكماله بالعلل والحكايات فى كتاب مَحَجّة المبتدئين بما أرجو الغُنْيَة للناظر إذا ما تأملها ، فأغنى ذلك عن تكراره فى هذا الكتاب .

Marfat.com

ذكر الحث على لزوم العلم والمداومة على طلبه

أخبرنا محمد بن إسحاق[١] بن خزيمة حدثنا محمد[٢] بن يحيى ومحمد بن رافع[٣] قالا : حدثنا عبد الرزاق[٤] أخبرنا معمر[٥] عن عاصم[٦] بن أبى النجود عن زِرّ[٧]

رجال السند :

(١) محمد بن اسحاق بن خزيمة · صاحب الصحيح مشهور · امام الائمة ابو بكر السلمى النيسابورى وتوفى ٣١١ هـ التذكرة للذهبى ٢/٧٢٠ ·

(٢) محمد بن يحيى بن خالد الذهلى النيسابورى ، ثقة حافظ جليل من ١١ روى عنه خ عم · التقريب ·

(٣) محمد بن رافع القشيرى النيسابورى ثقة عابد من ١١ روى خ م د ت ى · التقريب ·

(٤) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميرى مولاهم ابو بكر الصنعانى · ثقة حافظ مصنف من ٩/ع · التقريب ·

(٥) معمر بن راشد الأزدى مولاهم أبو عروة نزيل اليمن ثقة ثبت من ٧/ روى له ع · التقريب ·

(٦) عاصم بن ابى النجود ابن بهدلة وبعضهم يعكس ويقدم بهدلة على ابى النجود · المقرى المشهور · صدوق له أوهام ٦/ع ·

(٧) زر بن حبيش بن حباشة الأسدى الكوفى ابو مريم · ثقة جليل مخضرم /ع ·

تخريج الحديث :

وأخرجه أحمد ٢٣٩ ، ٤/٢٤١ وابن ماجه فى المقدمة ١/٨٢ وابن حبان فى صحيحه ١/١٦٣ وابو داود الطيالسى فى مسنده (المنحة كتاب العلم) ١/٣٤ كلهم عن طريق عاصم عن صفوان بن عسال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تابع عاصما عند الحاكم فى كتاب العلم ١٠٠ ـ ١/١٠١ عبد الوهاب بن بخت والمنهال بن عمرو وطلحة بن مصرف · وكلهم ثقات عن زر بن حبيش عن صفوان بن عسال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ·

وله شاهد اخرجه احمد ٥/١٩٦ وابو داود فى كتاب العلم ٢/٢٨٥ والترمذى فى العلم ٥/٤٨ وابن حبان فى صحيحه ١/١٦٩ عن ابى الدرداء · وهو اطول من حديث الباب · وفى سنده عندهم دواد بن جميل وكثير بن قيس وهما ضعيفان ·

Marfat.com

ابن حُبَيش قال : « أتيت صفوان بن عَسَّال المرادى ، فقال : ما جاء بك ؟ قلتُ : جئت أنبُط العلم قال : فإنى سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مامن خارج يخرج من بيته يطلب العلم إلا وضعت له الملائكةُ أجنحتها رِضاً بما يَصنع » .

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل إذا فرغ من إصلاح سريرته : أن يُدَنِّى بطلب العلم والمداومة عليه ، إذ لا وصول للمرء إلى صفاء شىء من أسباب الدنيا إلا بصفاء العلم فيه ، وحكم العاقل ألا يُقَصِّرَ فى سلوك حالة توجب له بَسْطَ الملائكة أجنحتها رضاً بَصنيعه ذلك .

ولا يجب أن يكون متأملا فى سعيه الدنو من السلاطين ، أو نوال الدنيا به ، فما أقبح بالعالم التذللَ لأهل الدنيا ! .

حدثنا محمد بن إبراهيم الخالدى حدثنا داود بن أحمد الدمياطى حدثنا عبد الرحمن بن سَفَّان قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول « ما أقبح بالعالم يؤتى إلى منزله ، فيقال : أين العالم ؟ فيقال : عند الأمير ، أين العالم ؟ فيقال عند القاضى ما للعالم وما للقاضى ؟ وما للعالم وما للأمير ؟ ينبغى للعالم أن يكون فى مسجده يقرأ فى مُصْحَفِه » .

حدثنا أبو يعلى حدثنا غسان بن الربيع حدثنا سليم مولى الشعبى عن الشعبى قال « ياطلابَ العلم ، لاتطلبوا العلم بسفاهة وطَيْش ، اطلبوه بسَكِينة ووقارٍ وتُؤَدَة » .

وأنشدنى محمد بن عبد الله بن زنجى البغدادى :

وفى العلم والإسلام للمرء وازع ... وفى ترك طاعاتِ الفؤاد المتيّم
بصائرُ رُشْدٍ للفتى مُسْتَبِينة ... وإخلاص صدق علمها بالتعلم

أخبرنا إبراهيم بن نصر حدثنا عبد بن حميد حدثنا سعيد بن عامر عن حميد بن الأسود عن عيسى بن أبى عيسى الخياط قال : قال الشعبى « إنما كان يطلب هذا العلم من اجتمعت فيه خَصلتان : العقل ، والنسك ، فإن كان عاقلا ولم يك ناسكا قيل : هذا أمر لايناله إلا النساك ، فلم يطلبه ، وإن كان ناسكا ولم يكن عاقلا قيل : هذا أمرٌ لايناله إلا العقلاء ، فلم يطلبه » قال الشعبى : « فلقد رهبت أن يكون يطلبه اليومَ من ليس فيه واحدة منهما ، لاعقلٌ ولا نسك » .

قال أبو حاتم : العاقل لايبيع حظ آخرته بما قصد فى العلم لما يناله من حُطام هذه الدنيا ؛ لأن العلم ليس القصد فيه نفسه دون غيره ؛ لأن المبتَغَى من الأشياء كلِّها نفعُها لانفسها ، والعلم ونفس العلم شيئان ، فمن أغضَى عن نفعه لم ينتفع بنفسه ، وكان كالذى يأكل ولا يشبع ، والعلم له أول وآخر .

كما حدثنا أحمد بن على بن المثنى حدثنا عمرو الناقد حدثنا يحيى بن اليمان قال: سمعت سفيان يقول « أول العلم الإنصات ، ثم الاستماع ، ثم الحفظ ، ثم العمل به ، ثم النشر » وأنشدنى الأبرش :

تعلَّم فليس المرءُ يولد عالماً ... وليس أخو علم كمن هو جاهلُ
وإنَّ كبير القوم لاعِلمَ عنده ... صَغيرٌ إذا التفَّت عليه المحافِلُ

أخبرنا أبو يعلى حدثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقانى حدثنا جرير عن بُرْدِ ابن سنان عن سليمان بن موسى قال : قال أبو الدرداء « لا تكونُ عالماً حتى تكون متعلماً ، ولا تكون بالعلم عالماً حتى تكون به عاملا » .

قال أبو حاتم : العاقل لايشتغل فى طلب العلم إلا وقصدُه العملُ به ؛ لأن من

Marfat.com

سعى فيه لغير ما وصفنا ازداد فخراً وتجبراً وللعمل تركا وتضييعاً ، فيكون فساده في المتأسِّين به فيه أكثرَ من فساده في نفسه ويكون مَثَله كما قال الله تعالى (١٦ : ٢٥ وَمِنْ أوزار الذين يُضِلونهم بغير عِلم ألا ساء ما يَزِرون) .

أخبرنا محمد بن إبراهيم الخالدى حدثنا داود بن أحمد حدثنا عبد الرحمن ابن عفان قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول « فى جهنم أرْحِيةٌ تَطْحن العلماء طَحْناً ، فقيل : من هؤلاء ؟ قال : قوم علموا فلم يعملوا » .

أخبرنا عبد الله بن محمد السعدى حدثنا محمد بن النضر بن مساور حدثنا جعفر ابن سليمان عن مالك بن دينار قال « إذا طلب الرجل العلم ليعمل به سَرّه علمه ، وإذا طلب العلم لغير أن يعمل به زاده علمه فخراً » .

أخبرنا محمد بن عمر بن سليمان حدثنا محمد بن رافع حدثنا محمد بن بشر حدثنى سلمة بن الخطاب عن عبد الحميد بن أبى جعفر الفراء قال: قال الحسن « مَنْ أحَب الدنيا وسرته ذهب خوفُ الآخرة من قلبه ، ومن أراد علماً ثم ازداد على الدنيا حرصاً لم يزدد من الله إلا بعداً ، ولم يزدد من الله إلا بغضاً » .

أخبرنا محمد بن المنذر بن سعيد حدثنى أحمد بن إبراهيم الحدثى حدثنى إسماعيل ابن الحارث حدثنى محمد بن الحسن المدينى حدثنا أبو العوام أن ابراهيم سمع صوت هاتف ، وهو يقول :

يا طالب العلم بإشرِ الورعا ... وباين النوم ، واهجر الشِّبَعا
ما ضر عبداً صحت إرادته ... أجاع يوماً فى الله أو شبعا
ما ضر عبداً صحت عزائمه ... أين من الأرض ، أينما صقعا

Marfat.com

ما طمعت نفس عابد فنوى سؤال قوم إلا لهم خضعا
يا أيها الناس ، ما لعالمكم في بحر ماء الملوك قد كرعا
يا أيها الناس ، أنتم زرع يحصده الموت كلما طلعا

أخبرنا ابن سالم حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الاحتياطى حدثنا يحيى بن اليمان العجلى عن سفيان الثورى قال « العالم طبيب الدين ، والدرهم داء الدين ، فإذا اجتر الطبيب الداء إلى نفسه ، فمتى يداوى غيره ؟ » .

أنشدنى أحمد بن محمد الصنعانى أنشدنى محمد بن عبد الله العراقى :

عُنوا يطلبون العلم فى كلِّ بلدة شباباً ، فلما حَصَّلوه وحَشَّروا
وصحَّ لهم إسناده وأصوله وصَاروا شيوخاً ضَيَّعوه وأدبروا
ومالوا على الدنيا ، فهم يحلبونها بأخلافها مفتوحُها لا يُصَرَّرُ
فيا علماء السوء أين عقولكم ؟ وأين الحديثُ المسند المتخيَّرُ ؟

أخبرنا جعفر بن محمد الهمدانى ـ بصُورَ ـ حدثنا محمد بن عبد الله البعلبكى قال : سمعت عمى محمد بن زيد قال : كنت مع ابن المبارك ببغداد . فرأى إسماعيل ابن عُلَيَّة راكباً بَغْلَةً على باب السلطان ، فأنشأ يقول :

يا جاعل الدين له بازياً يصطاد أموال السلاطين
لا تبع الدين بدنيا ، كما يفعل ضُلَّال الرَّهابين
احتلْت للدنيا ولَذاتها بحيلة تذهب بالدين
وصرت مجنوناً بها بعد ما كنتَ دواء للمجانين
ففكر الناسُ جميعاً بأن زَلَّ حمار العلم فى الطِّين

أخبرنا عبدُ العزيز بن الحسن البرذعى حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا أحمد

Marfat.com

ابن عبد الله التسترى قال « لما ولى ابنُ عُلَيَّة صدقات الإبل والغنم بالبصرة ، كتب إليه ابن المبارك كتاباً، وكتب فى أسفله :

يا جاعل الدين له بازياً يصطاد أمـــوال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها بحيـــلة تذهب بالدين
يا فاضح العلم ومن كان ذا لبٍّ ومن عاب السلاطين
أين رواياتُك فى سَرْدها عن ابن عون وابن سيرين؟

وزاد غير أحمد بن عبد الله :

إن قلتَ : أكرهتُ ، فماذا كذا زلَّ حمار العلم فى الطين

فلما قرأ ابن عُلَيَّةَ الكتاب بكى ، ثم كتب جوابه ، وكتب فى أسفله :

أفٍّ لدنيا أبتْ تواتينى إلا بنقضى لها عُرَى دينى
عَيْنى لِحَيْنِى تدير مقلتها عتطلب ما سَرَّها لتردينى

أخبرنا محمد بن على الصيرفى بالبصرة حدثنا العباس بن الوليد النَّرْسى حدثنا وهيب عن أيوب عن أبى قلابة عن ابن مسعود قال « عليكم بالعلم قبل أن يقبَضَ وَقَبْضه أن يذهب أصحابُه ، وإنكم ستجدون أقواماً يزعمون أنهم يدعونكم إلى كتاب الله ، وقد نبذوه وراء ظهورهم ، وعليكم بالعلم ، فإن أحدكم لايدرى متى يفتقِر ، أو يُفْتَقر إليه عنده؟ وعليكم بالعلم ، وإياكم والبدع ، وعليكم بالعتيق » .

حدثنا محمد بن زنجُوَيَةَ القشيرى حدثنا عمرو بن على حدثنا أبو قتيبة حدثنا قرة بن خالد عن عون بن عبد الله قال: قال ابن مسعود « ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم الخشية » .

حدثنى إسحاق بن إبراهيم القاضى ، حدثنا الحارث بن مسكين حدثنا

ابن القاسم قال: سمعت مالكا يقول «ليس العلم بكثرة الرواية ، إنما العلم الخشية ».

قال أبو حاتم: الواجب على العاقل: مجانبة ما يدنس علمه من أسباب هذه الدنيا ، مع القصد فى لزوم العمل بما قَدَرَ عليه ، ولو استعمال خمسة أحاديث من كل مائتى حديث ، فيكون كأنه قد أدى زكاة العلم ، فمن عجز عن العمل بما جمع من العلم فلا يجب أن يَعْجِزَ عن حفظه .

ولقد أنبأنا ابن قحطبة حدثنا حسين محمد الكوفى قال : سمعت محمد بن بشير الخزاعى يقول :

أما لو أعِى كلَّ ما أسمَعُ ... وأحفظ من ذاك ما أجمع
ولم أستفد غير ما قد جمعـ ... ـت لقيل : هو العالم المقنع
ولكنَّ نفسى إلى كل شىء ... من العلم تسمعه تنْزَعُ
وأحضرُ بالجهل فى مجلسى ... وعلمى فى الكتب مُستودَع
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت ... ولا أنا من جَمْعه أشْبَعُ
ومَنْ يكُ فى علمه هكذا ... يكن دَهْرَهُ القَهْقَرى يرجع
إذا لم تكن حافظاً واعياً ... فجمْعُك للكتْب لا ينفع

وأنشدنى محمد بن عبد الله المؤدب :

جامع العلم تراه أبداً ... غيرَ ذى حفظ ولكن ذا غَلط
وتراه حسَنَ الخطِّ إذا ... كتب الخط بصيراً بالنُّقط
فإذا فتشته عن علمه ... قال : علمى يا خليلى فى السفَط
فى كراريس جياد أُحكمتْ ... وبخط أىّ خط أى خط

Marfat.com

فإذا قلت له : هاتِ لنا حَكَّ لَحْيَيْه جميعاً وامْتَخَط

أخبرنا محمد بن يعقوب الخطيب بالأهواز حدثنا حفص بن عمرو الرَّبالى حدثنا الحجاج بن نصير حدثنا عبد القدوس قال : سمعت وهب بن منبه يقول « من تعلم علماً فى حق وسُنَّة : لم يذهب الله بعقله أبداً » .

حدثنا عبد الله بن قحطبة حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعتمر بن سليمان قال « كتب إلىَّ أبى ، وأنا بالكوفة : اشتر الصحف، واكتب العلم ؛ فإن المال يفنى ، والعلم يبقى » .

حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى أنبأنا عبد الله بن المبارك قال « كتب حكيم من الحكماء ثلاثين صحيفة حِكَم ، فأوحى الله إليه : إنك قد ملأت الأرض نفاقاً ، وإن الله لم يتقبل شيئاً من نفاقك » .

قال أبو حاتم : اقتناء المرء صحفه لكثرة الأسفار ، ومباينة الأهل والأوطان فى طلب العلم دون العمل به ، أو الحفظ له ، ليس من شِيَم العقلاء ، ولا من زىّ الألباء ، وإن من أجود ما يستعين المرء به على الحفظ : الطبع الجيِّدَ ، مع الهِمَّة واجتناب المعاصى ، وأنشدنى الأبرش :

نِعمَ عون الفتى الطَّلوب لعلم أو لبعض العقول صحةُ طبع
فإذا الطبعُ فاته بَطَلَ العلـ ـم وصار العناء فى غير نفع

سمعت إبراهيم بن نصر العنبرى يقول : سمعت على بن خشرم يقول : سمعت وكيعاً يقول « استعينوا على الحفظ بترك المعصية » .

قال أبو حاتم : يجب على العاقل ألا يطلب من العلم إلا أفضله ، لأن الازدياد من العلم آثَرُ عند العاقل من الذكر بالعلم ، والعلم زين فى الرخاء ، ومنجاة فى الشدة

ومن تعلم ازداد ، كما أن من حَلُم ساد ، وفضل العلم فى غير خير مهلكة ، كما أن كثرةَ الأدب فى غير رضوان الله مُوبقة ، والعاقل لايسعى فى فنونه إلا بما أجدى عليه نفعاً فى الدارين معاً ، وإذا رزق منه الحظَّ لايبخل بالإفادة ، لأن أولَ بركة العلم الإفادة ، وما رأيتُ أحداً قط بخل بالعلم إلا لم ينتفع بعلمه ، وكما لاينتفع بالماء الساكن تحت الأرض مالم يَنْبَعْ ، ولا بالذهب الأحمر مالم يُستخرج من معدنه ، ولا باللؤلؤ النفيس مالم يخرج من بَحْره ، كذلك لاينتفع بالعلم مادام مكنوناً لاينشر ولا يفاد .

أنبأنا أحمد بن مضر الرباطى حدثنا محمد بن سهيل بن عسكر حدثنا أبو صالح الفراء قال : سمعت ابن المبارك يقول « من بخل بالحديث يبتلى بإحدى ثلاث : إما أن يموت فيذهب علمه ، أو ينسى ، أو يبتلى بالسلطان » .

حدثنا أبو يعلى حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا جرير عن بُرد عن سليمان ابن موسى قال : قال أبو الدرداء « الناس عالم ومتعلم ، ولا خير فيما بين ذلك . »

وأنشدنى الكريزى :

أفِدِ العلمَ ، ولا تبخل به ... وإلى علمك علماً فاستفد
استفد ما استطعت من علم وكن ... عاملا بالعلم والناسَ أفِدْ
مَنْ يُفدهم يَجزِه الله به ... وسيغنى الله عمن لم يُفد
ليس مَنْ نافَس فيه عاجزاً ... إنما العاجز من لايجتهد

حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة حدثنا عمر بن حفص الشيبانى حدثنا حماد ابن واقد عن هشام بن حسان عن الحسن قال « لأن يتعلمَ الرجل باباً من العلم

فيعبدَ به ربه ، فهو خير له من أن لو كانت الدنيا من أولها إلى آخرها له ، فوضعها في الآخرة » .

قال أبو حاتم : قد ذكرت أسباب المتعلمين وأخلاق العلماء بعللها في كتاب « العالم والمتعلم » بما أرجو أن يكون فيه غُنْية لمن أراد الوقوف على معرفتها، فأغنى ذلك عن التكرار ؛ لأنا شرطنا في هذا الكتاب الاختصار ، كراهية سلوك التطويل ، والإشارة إلى قصد نفس التحصيل .

ذكر الحث على لزوم الصمت وحفظ اللسان

أخبرنا حامد [١] بن محمد بن شعيب البلخى ـ ببغداد ـ حدثنا منصور [٢] ابن أبى مزاحم حدثنا أبو الأحوص [٣] عن أبى حصين [٤] عن أبى صالح [٥] عن أبى هريرة [٦] قال : قال رسول الله ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت » .

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل إذا ذكر المطيَّتين ـ اللتين ذكرتهما قبل إصلاح السريرة ولزوم العلم : أن يبلغ مجهوده حينئذ فى حفظ اللسان حتى يستقيم

رجال السند :

(١) حامد بن محمد بن شعيب البلخى : وثقه الدارقطنى كما فى تاريخ بغداد ١٦٩/٢ .

(٢) منصور بن ابى مزاحم بشير التركى ابو نصر البغدادى : ثقة ١٠ م د س .

(٣) ابو الاحوص ـ هو سلام بن سليم الحنفى ثقة متقن من ٧/ع .

(٤) ابو الحصين ـ هو عثمان بن عاصم الاسدى الكوفى ثقة ثبت ربما دلس من ٤/ع .

(٥) ابو صالح هو ذكوان الزيات ثقة ثبت من ٣/ع .

(٦) ابو هريرة . هو عبد الرحمن بن صخر صحابى مشهور اسلم عام خيبر وحفظ ٥٥٠٠ حديثا .

تخريج الحديث :

واخرجه البخارى فى كتاب الادب من صحيحه ٤٤٥ ، ١٠/٥٣١ وفى الرقاق ١١/٣٠٨ ومسلم فى الايمان ١٨ ـ ٢/٢٠ عن ابى هريرة وابى شريح ـ ورواه مسلم فى اللقطة ١٢/٣٠ والترمذى فى البر ٤/٣٤٥ ـ والدارمى فى الاطعمة ٢/٢٤ والحاكم فى مستدركه ٤/١٦٤ عن ابى شريح واحمد فى مسنده ٥/٤١٢ عن علقمة بن عبد الله المزنى عن رجل من قومه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والترمذى فى كتاب القيامة ٤/٦٥٩ وابن ماجه فى الفتن ٢/١٣١٣ وابو داود فى الادب ٢/٦٣٢ عن ابى هريرة .

Marfat.com

له ، إذ اللسان هو المُورِدُ للمرءِ موارد العَطب . والصمتُ يكسب المحبةَ والوقار ، ومن حفظ لسانه أراح نفسه ، والرجُوع من الصمت أحْسنُ من الرجوع عن الكلام ، والصمت منام العقل ، والمنطق يقظته .

حدثنا محمد بن زنجويه حدثنا عبد الأعلى بن حماد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن لقمان قال « إن من الحكمْ الصمتَ ، وقليلٌ فاعله » .

وأنشدنى الكريزى :

أقللْ كلامك واستعذ من شره ... إن البلاء ببعضه مقرون
واحفظ لسانك واحتفظ من غَيّه ... حتى يكون كأنه مسجون
وَكِّل فؤادَك باللسان ، ونل له ... إن الكلام عليكما موزون
فزِنَاهُ وأيكُ مُحْكماً ذا قِلَّةٍ ... إن البلاغة فى القليل تكون

أخبرنا ابن قتيبة حدثنا جعفر بن نوح حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع قال : سمعت مالك بن أنس يقول « كل شىء ينتفع بفضله إلا الكلامَ فإن فَضْله يَضُرُّ » .

أخبرنا القطان حدثنا أحمد بن أبى الحوارى حدثنا مروان بن محمد عن سعيد ابن عبد العزيز قال : قال أبو الدرداء « لاخير فى الحياة إلا لأحد رجلين : مُنْصتٍ واع ، أو متكلم عالم » .

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل ألا يغالب الناس على كلامهم ، ولا يعترضَ عليهم فيه ؛ لأن الكلام وإن كان فى وقته حظوةً جليلة فإن الصمت فى وقته مرتبةٌ عالية ، ومن جُهِّلَ بالصمت عَىَّ بالمنطق ، والإنسان إنما هو صورة

Marfat.com

ممثَّلة أو ضالَّةٌ مهملة ، لولا اللسان ، واللهُ جل وعز رفع جارحةَ اللسان على سائر الجوارح ، فليس منها شيء أعظمُ أجراً منه إذا أطاع ، ولا أعظم ذنباً منه إذا جنى .

وأنشدنى محمد بن عبد الله بن زنجىّ البغدادى :

لئن كان يجنى اللومَ ما أنت قائل ولم يك منه النفع فالصمت أيسرُ
فلا تُبْدِ قولا من لسانك لم يَرْض مواقعَه من قبل ذاك التفكُّرُ

أخبرنا ابن قتيبة حدثنا هارون بن محمد البكار قال : سمعت أبا مسهر ينشد هذا البيت :

قد أرى كثرة الكلامِ قبيحا كلُّ قول يشينه الإكثارُ

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنى محمد بن داود بن سليمان الرملى حدثنا المسيب ابن واضح قال : سمعت ابن المبارك يقول :

تعاهد لسانك إن اللسان سريع إلى المرء فى قتله
وهذا اللسان بَريدُ الفؤاد يدلُّ الرجالَ على عقله

أخبرنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا محمد بن على الشقيق أنبأنا إبراهيم ابن الأشعث قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول « شيئان يقسيان القلب : كثرة الكلام ، وكثرة الأكل » .

أخبرنا أبو يعلى حدثنا عمرو بن محمد الناقد قال : سمعت يحيى بن اليمان يقول : قال سفيان الثورى : « أول العبادة الصمت ، ثم طلب العلم ، ثم العمل به ، ثم حفظه ثم نشره » .

حدثنا عمرو بن محمد الأنصارى حدثنا الغلابى حدثنا العتبى عن على بن جرير عن أبيه قال : قال الأحنف بن قيس « الصمت أمان من تحريف اللفظ ، وعصمة من زيغ المنطق ، وسلامة من فضول القول ، وهيبة لصاحبه » .

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن يلزم الصمت إلى أن يلزمه التكلم ، فما أكثر من ندم إذا نطق ، وأقل من ندم إذا سكت ، وأطول الناس شقاء وأعظمهم بلاء من ابتلى بلسان مطلق ، وفؤاد مطبق .

واللسان فيه عشر خصال يجب على العاقل أن يعرفها ، ويضع كل خصلة منها فى موضعها : هو أداة يظهر بها البيان ، وشاهد يخبر عن الضمير ، وناطق يرد به الجواب ، وحاكم يفصل به الخطاب ، وشافع تدرك به الحاجات ، وواصف تعرف به الأشياء ، وحاصد يذهب الضغينة ، ونازع يجذب المودة ، ومُسَلٍّ يذكى القلوب ومُعَزٍّ تردُّ به الأحزان .

ولقد أحسن الذى يقول :

إن كان يعجبك السكوت فإنه ... قد كان يعجب قبلك الأخيارا
ولئن ندمت على سكوت مرة ... فلقد ندمتَ على الكلام مرارا
إن السكوت سلامة ، ولربما ... زرع الكلام عداوة وضرارا
وإذا تقرّب خاسرٌ من خاسر ... زادا بذاك خسارة وتبارا

أخبرنا محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا كثير بن عبد الله التيمى حدثنا العلاء ابن سعيد الكندى حدثنى أبو حية قال « كنت أماشى إسماعيل بن سَهْل ، وكان أحد الحكماء ، فقال لى : ألا أخبرك ببيت شعر خيرٌ لك من عشرة آلاف درهم؟

Marfat.com

قال : نعم . قال : أيما أحبُّ إليك : نفسك أو عشرة آلاف درهم ؟ قال : قلت : نفسى ، فأنشأ يقول :

اخفض الصوت إن نطقت بليل والتفت بالنهار قبل المقال

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن يكون ناطقاً كَعَيٍّ ، وعالماً كجاهل ، وساكتاً كناطق ؛ لأن الكلام لابد له من الجواب والجواب لو جعل له جواب لم يكن للقول نهاية ، وخرج المرء إلى ما ليس له غاية ، والمتكلم لا يسلم من أن ينسب إليه الصَّلَف والتكلف ، والصامت لا يليق به إلا الوقار وحسن السمت.

ولقد أحسن الذى يقول :

حتف امرىء لسانه فى جِدِّه أو لعبه
بين اللَّهَا مقتلُه رُكِّبَ فى مركبه

أخبرنا عمرو بن محمد الأنصارى حدثنا الغلابى حدثنا ابن عائشة حدثنا دريد ابن مجاشع عن غالب القطان عن مالك بن دينار عن الأحنف بن قيس قال : قال عمر بن الخطاب « يا أحنف ، مَنْ كثر كلامه كثر سَقَطه ، ومن كثر سقطه قَلَّ حياؤه ، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه ، ومن قلّ ورعه مات قلبه » .

وأنشدنى الأبرش :

ما ذَلَّ ذو صمت ، وما من مكثر إلا يَزِلُّ ، وما يُعاب صَمُوتُ
إن كان منطق ناطق من فضّة فالصمتُ دُرٌّ زانه الياقوت

أنبأنا ابن قتيبة حدثنا المسيب بن واضح قال : سمعت علىّ بن بكار يقول « جعل الله لكل شىء بابين ، وجعل للسان أربعة : الشفتين مصراعين ، والأسنان مصراعين » .

Marfat.com

أنبأنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحيّ بالبصرة حدثنا نصر بن عليّ الجهضمى أنبأنا محمد بن يزيد بن خنيس عن وهيب بن الورد « أن شابًّا كان يحضر مجلس عمر بن الخطاب ، ويحسن الاستماع ، ثم ينصرف من قبل أن يتكلّم ، ففطِنَ له عمر ، فقال له : إنك تحضُر مجلسنا ، وتُحسن الاستماع ، ثم تنصرف من قبل أن تتكلم ، فقال الشاب : إنى أحضر فأتوقى وأتنقّى ، وأصمت فأسلم » .

قال أبو حاتم ـ رضى الله عنه ـ الواجب على العاقل أن يُنصف أذنيه من فيه ، ويعلم أنه إنما جعلت له أذنان وفم واحد ليسمع أكثر مما يقول ، لأنه إذا قال ربما ندم ، وإن لم يقل لم يندم ، وهو على رد مالم يقل أقدر منه على رد ما قال والكلمةُ إذا تكلّم بها ملكته ، وإن لم يتكلم بها ملكها . والعجب ممن يتكلم بالكلمة ، إن هى رُفِعَتْ ربما ضرّته ، وإن لم تُرفع لم تضره ، كيف لايصمت ؟ وَرُبَّ كلمة سَلَبَتْ نعمة . ! » .

أخبرنا أحمد بن قريش بن عبد العزيز حدثنا إبراهيم بن عليّ الذُّهلى قال : أنشدنى رجل من ربيعة :

لعمرك ماشىء علمت مكانه ... أحق بسجن من لسان مذلّل
على فيك مما ليس يعنيك شأنُه ... قُفْل وثيق ما استطعت فأقفِل
فربّ كلامٍ قد جرى من مُمازح ... فساق إليه سَهْم حَتْفٍ معجّل
ولَصمتُ خيرٌ من كلام بمأثم ... فكن صامتاً تَسْلَمْ ، وإن قُلْتَ فاعدِل

أخبرنا أبو يعلى حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا جرير عن برد عن سليمان ابن موسى قال : قال أبو الدرداء « كفى بك ظالماً ألا تزال مخاصماً ، وكفى بك

Marfat.com

آثماً ألا تزال مارياً ، وكفى بك كاذبا ألا تزال محدثاً ، إلا حديثاً فى ذات الله تبارك وتعالى » .

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا معروف بن الحسن الكنانى حدثنا كثير ابن هشام عن عيسى بن إبراهيم عن سعيد بن أبى سعيد عن كعب قال « العافية عشرة أجزاء ، تسعة منها فى السكوت » .

أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا أحمد بن إبراهيم الدَّوْرَقى حدثنا يحيى القطان عن شعبة قال « من الناس من عقله بفنائه ، ومنهم من عقله معه ، ومنهم من لاعقل له ، فأما الذى عقله معه فالذى يبصر مايخرج منه قبل أن يتكلم ، وأما الذى عقله بفنائه فالذى يبصر مايخرج بعد أن يتكلم ، ومنهم من لاعقل له . فحدثت به عبد الرحمن بن مهدى بعد مارجعنا من عند يحيى ، فقال : هذه صفتنا ، يعنى الذى عقله بفنائه ، واستحسن الكلام . وقال : لاينبغى أن يكون هذا من كلام شعبة ، لعله سمعه من غيره » .

وأنشدنى البغدادى محمد بن عبد الله بن زنجى :

أنت من الصمت آمِنُ الزَّلَلِ ومن كثير الكلام فى وَجَلِ
لاتقل القول ثم تُتْبِعه ياليتَ ماكنتُ قلتُ لم أقل

سمعت محمد بن المسيب يقول : سمعت العباس بن الوليد بن زيد يقول : سمعت أبى يقول : سمعت الأوزاعى يقول « مابلى أحد فى دينه بلاء أضر عليه من طَلاقة لسانه » .

سمعت محمد بن محمود النسائى يقول : سمعت أبا أحمد بن أبى فايد يقول: سمعت

Marfat.com

العباس بن عبد العظيم يقول : سمعت عارماً يقول : سمعت خالد بن الحارث يقول « السكوت زين للعاقل ، وشين للجاهل » :

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لو لم يكن فى الصمت خصلة تحمد إلا تزيُّنُ العاقل وتَشين الجاهل به لكان الواجب على المرء ألا يفارقه الصمتُ ماوجد إليه سبيلا ، ومَنْ أحب السلامة من الآثام فليقل مايقبل منه ، وليُقِلْ مما يقبل منه ، لأنه لايجترىء على الكلام الكثير إلا فائق أو مائق .

وقد ترك جماعة من أهل العلم حديث أقوام أكثروا الكلام فيما لايليق بهم.

ومن ذلك ماحدثنا به محمد بن الحسن بن مكرم بالبصرة حدثنا عمرو بن على حدثنا أمية بن خالد عن سعيد قال : قلت للحكم : مالكَ لاتكتب عن زاذان ؟ قال : كان كثير الكلام .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لسان العاقل يكون وراء قلبه ، فإذا أراد القول رجع إلى القلب ، فإن كان له قال ، وإلا فلا ، والجاهل قلبه من طرف لسانه ، ما أتى على لسانه تكلم به ، وما عَقلَ دينه من لم يحفظ لسانه .

واللسان إذا صلح تبين ذلك من الأعضاء ، وإذا فسد فكذلك .

أخبرنا محمد بن عبيد الله بن الجنيد حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله عن عبد الله أنبأنا سفيان عن رجل قال « إنى لأكذب الكَذْبة فأعرفها فى عملى » .

أنبأنا أبو عوَانة يعقوب بن إبراهيم بن إسحاق حدثنا الفضل بن عبد الجبار حدثنا أبو إسحاق الطالقانى عن الوليد بن مسلم قال : قال الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير أنه قال « ماصلح منطق رجل إلا عُرف ذلك فى سائر عمله » .

Marfat.com

قال أبو حاتم رضى الله عنه : والعاقل لا يبتدىء الكلام إلا أن يسأل ، ولا يقول إلا لمن يقبل ، ولا يجيب إذا شُوتم ، ولا يجازى إذا أُسمع ؛ لأن الابتداء بالصمت وإن كان حسناً ، فإن السكوت عند القبيح أحسن منه » .

وأنشدنى المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصارى :

الصمت عند القبيح يسمعه ... صاحبُ صدق لكل مصطحبِ
فآثرِ الصمتَ ما استطعت ، فقد ... يُؤْثَرُ قول الحكيم فى الكتب
لو كان بعضُ الكلام من وَرِق ... لكان جُلّ السكوت من ذهب

أخبرنا بكر بن محمد بن عبد الوهاب القزاز حدثنا إسماعيل بن إبراهيم أبو بشر حدثنا أبى حدثنا المبارك بن فُضالة عن المغيرة بن مسلم الهجَيمى عن أسير ابن جابر قال « ما رضعت عنزاً قط ، ولو قلت : لا أرضعها خفت أن يصير بى البلاء إلى أن أرضعها ، إن البلاء مُوَكَّل بالقول » .

وأنشدنى الكريزى :

استر العِيَّ ما استطعت بصمت ... إن فى الصمت راحةً للصَّمُوتِ
واجعل الصمت إن عييتَ جواباً ... رب قول جوابه فى السكوت

وأنبأنا محمد بن المنذر حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور حدثنا عبدالرحمن ابن مهدى حدثنا سفيان عن يزيد بن حيان عن عيسى بن عقبة قال : سمعت ابن مسعود يقول « والله الذى لا إله غيره ، ماشىء أحق بطول سجْن من لسان » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يحفظ أحواله من ورود الخلل عليها فى الأوقات ، وإن من أعظم الخلل المفسد لصحة السرائر والمُذهب لصلاح الضمائر :

الإكثار من الكلام ، وأن أبيح له كثرة النطق ، ولا سبيل للمرء إلى رعاية الصمت إلا بترك ما أبيح له من النطق .

كما أنبأنا الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى حدثنا عبد الله عن سفيان عن نسير بن دعلوق عن إبراهيم التيمى أخبرنى من صحب الربيع بن خَيْثَم عشرين عاماً فلم يسمع منه كلمة تعاب .

أنبأنا الجنيدى حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله عن عبد الله أنبأنا سفيان عن أبى طعمة عن رجل من الحى قال : أتيت الربيع بن خَيْثَم بنعى الحسين . وقالوا : اليوم يتكلم مقالة، فتأوّه ومَدّ بها صوته، ثم قال : «اللهم فاطرَ السموات والأرض عالمَ الغيبِ والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك بالحق فيما كانوا فيه يختلفون » .

أنبأنا عمرو بن محمد الأنصارى حدثنا الغلابى حدثنا إبراهيم بن عمرو بن حبيب حدثنا الأصمعى قال « بينما أنا أطوف بالبادية إذا أنا بأعرابية تمشى وحدها على بعير لها ، فقلت : يا أمَةَ الجبار من تطلبين ؟ فقالت : مَنْ يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، قال : فعلمت أنها قد أضلت أصحابها ، فقلت لها : كأنك قد أضللت أصحابك ؟ قالت : ففهمناها سليمان ، وكُلاً آتينا حكماً وعلماً ، فقلت لها : ياهذه من أين أنت ؟ قالت: سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ، فعلمت أنها مقدسية ، فقلت لها : كيف لا تتكلمين ؟ فقالت : ما يلفِظُ من قولٍ إلا لديه رَقيبٌ عَتيد ، فقال بعض أصحابى : ينبغى أن تكون هذه من الخوارج ، فقالت : ولا تَقْفُ ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كلُّ أولئك كان عنه مسؤولا ، فبينما نحن

تماشيها إذ رُفعت لنا قباب وخيم ، فقالت : وعلامات وبالنجم هم يهتدون ، قال : فلم أفطن لقولها ، فقلت : ما تقولين ؟ فقالت : وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يابشرى هذا غلام ، قلت : بمن أصوت وبمن أدعو ؟ فقالت : ياإيحيى خذ الكتاب بقوة ، يا زكريا إنا نبشرك ، ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض ، قال : فإذا نحن بثلاثة إخوة كاللآلىء ، فقالوا : أمنا ورب الكعبة أضللناها منذ ثلاث ، فقالت : الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور ، فأومأت إلى أحدهم فقالت : فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة ، فلينظر أيُّها أزْكَى طعاماً فليأتكم برزق منه ، فقلت: إنها أمرتهم أن يزودونا ، فجاءوا بخبز وكعك، فقلت : لا حاجه لنا فى ذلك ، فقلت للفتية : من هذه منكم ؟ قالوا : هذه أمنا ما تكلمت منذ أربعين سنة إلا من كتاب الله مخافة الكذب ، فدنوت منها ، فقلت : ياأمة الله ، أوصنى ، فقالت : ما أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى ، فعلمت أنها شيعية ، فانصرفت .

قال أبو حاتم رضى الله عنه: قد ذكرت ماشاكل هذه الحكايات فى كتاب حفظ اللسان ، فأغنى ذلك عن تكرارها فى هذا الكتاب .

فالواجب على العاقل أن يروض نفسه على ترك ما أبيح له من النطق ، لئلا يقع فى المزجورات ، فيكون حَتْفه فيما يخرج منه ؛ لأن الكلام إذا كثر منه أورث صاحبه التلذذ بضد الطاعات ، فإذا لم يوفَّق العبد لاستعمال اللسان فيما يُجْدِى عليه نفعُهُ فى الآخرة ، كان وجودُ الإمساك عن السوء أولى به .

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

ولن يَهْلِكَ الإنسانُ إلا إذا أتى من الأمر مالم يرضهُ نصحاؤه

Marfat.com

وأقلل إذا ما قلتَ قولاً ، فإنه إذا قَلَّ قولُ المرء قَلَّ خطاؤه

أنبأنا محمد بن الحسين بن الخليل حدثنا عبد الله بن أبى زياد القَطْوانى حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا المعلى بن زياد قال : قال مُؤرِّق العِجْلى « أمرٌ أنا فى طلبه منذ عشر سنين ، ولست بتارك طلبه : قال : وما هو يا أبا المعتمر ؟ قال : الصمت عما لا يعنينى » .

أنبأنا إبراهيم بن نصر العنبرى حدثنا على بن الأزهر الرازى حدثنا إبراهيم ابن رستم قال : سمعت خارجة يقول « صحبت عبد الله بن عون خمس عشرة سنة فما أظن الملائكة كتبت عليه شيئاً » .

* * *

ذكر الحث على لزوم الصدق ومجانبة الكذب

أخبرنى أحمد بن محمد بن حبيب الجنيدى[١] قال : حدثنا حميد بن زنجويه[٢] حدثنا محاسن[٣] بن المودع حدثنا الأعمش[٤] عن أبى سفيان[٥] قال : قال عبدالله[٦] قال رسول الله ﷺ « عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدى إلى البرِّ ، وإن البر يهدى إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدُق حتى يُكتَبَ عند الله صِدِّيقاً . وإياكم والكذبَ ، فإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » .

رجال السند :

(١) احمد بن محمد بن حبيب الجنيدى لم اجد له ترجمة فيما توصلت اليه من المراجع .

(٢) حميد بن زنجويه — هو ابن مخلد بن قتيبة الازدى ابو احمد زنجويه : لقب ابيه ثقة ثبت له تصانيف ١١/د س .

(٣) محاضر بن المودع (١) الكوفى صدوق له أوهام من ٩/خت م د س .

(٤) الاعمش — هو سليمان بن مهران الاسدى الكاهلى ابو محمد الكوفى . ثقة حافظ لكنه يدلس ٥/ع .

(٥) ابو سفيان هو — طلحة بن نافع الواسطى الاسكافى . نزل مكة صدوق ٤/ع ولم اجد له رواية عن ابن مسعود .

(٦) عبد الله — هو ابن مسعود احد العبادلة الأربعة . صحابى جليل مشهور ابو عبد الرحمن .

رجال السند :

وأخرجه مالك فى الموطأ ٢/٢٥٤ واحمد فى المسند ٢/٤٣٢ . والبخارى فى كتاب الادب من صحيحه ١٠/٥٠٧ ومسلم فى البر ١٥٩ — ١٦/١٦١ وابو داود فى الأدب ٢/٥٩٣ والترمذى فى البر ٤/٣٤٧ والبخارى فى الادب المفرد ١/٤٧٢ والدارمى فى الرقاق من سننه ٢/٢١٠ وابو داود الطيالسى فى مسنده ٢/٤٢ كلهم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه . ورواه أحمد ٣ — ١/٥ والخطيب فى تاريخه ١١/٨٢ عن ابى بكر رضى الله عنه . والمروزى فى مسند ابى بكر الصديق رقم ٩٢ ص ١٦٣ .

---

(١) الاصل محاسن بن المودع وهو خطأ .

Marfat.com

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن الله جل وعلا فَضَّلَ اللسان على سائر الجوارح ، ورفع درجتَه ، وأبان فضيلته ، بأن أنطقه من بين سائر الجوارح بتوحيده ، فلا يجب للعاقل أن يُعَوِّدَ آلة خَلَقَهَا الله للنطق بتوحيده بالكذب ، بل يجب عليه المداومة برعايته بلزوم الصدق ، وما يعود عليه نفعه فى داريه ، لأن اللسان يقتضى ماعوِّد : إن صدقاً فصدقاً ، وإن كذباً فكذباً .

ولقد أحسن الذى يقول :

عَوِّد لسانك قول الخير تَحْظَ به ... إن اللسان لما عَوَّدْتَ معتاد
موكَّل بتقاضى ماسننت له ... فاختر لنفسك ، وانظر كيف ترتاد

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا الفضل بن العباس البغدادى حدثنا الهيثم ابن خارجة حدثنا الهيثم بن عمران قال : سمعت إسماعيل بن عبيد الله يقول : « كان عبد الملك بن مروان يأمرنى أن أجَنِّب بنيه السِّمن ، وكان يأمرنى ألا أطعم طعاماً حتى يخرجوا إلى البراز ، وكان يقول : عَلِّم بنىَّ الصدق كما تعلمهم القرآن ، وجنبهم الكذب ، وإن فيه كذا وكذا يعنى القتل » .

وأنشدنى الأبرش :

الكِذْبُ مُرديك ، وإن لم تخف ... والصِّدْقُ منجيك على كل حال
فانطق بما شئت تجد غِبَّه ... لم تُبْتَخَسْ وزنه مثقال

أخبرنا أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا سليم ابن حيان عن قتادة عن حميد بن عبد الرحمن الحميرى أن عمر بن الخطاب قال « إن أبا بكر قام فينا عام أول ، فقال : إنه لم يقسم بين الناس شىء أفضل من المعافاة بعد اليقين ، ألا إن الصدق والبرّ فى الجنة ، ألا وإن الكذب والفجور فى النار » .

Marfat.com

أخبرنا أبو خليفة حدثنا أبو الوليد الطيالسى حدثنا عكرمة بن عمار حدثنى طيسلة بن على البهدلى قال « كنت مع ابن عمر يوماً فى أصول الأراك يوم عرفة ، وبين يديه رجل من أهل العراق ، فقال له الرجل : يا ابن المنافق ، قال : المنافق ، ـ ويحك ـ الذى إذا حدث كذب ، وإذا وعد لم ينجز ، وإذا اؤتمن لم يؤدِّ » .

سمعت أحمد بن محمد بن الأزهر يقول : سمعت محمد بن خلف بن أبى الأزهر يقول : سمعت الفضيل بن عياض يقول « مامن مُضْغَةٍ أحبُّ إلى الله من لسان صدوق ، وما من مضغة أبغض إلى الله من لسان كذوب » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : كل شىء يستعار ليتجمَّلَ به سَهلٌ وجودُه ، خلا اللسان ، فإنه لاينبىء إلا عما عُوِّدَ ، والصدق ينجى والكذب يُرْدِى ، ومن غلبَ لسانَه أمّره قومه ، ومن أكثر الكذب لم يترك لنفسه شيئاً يصدق به ، ولا يكذب إلا من هانت عليه نفسه .

حدثنا أحمد بن محمد بن زنجويه حدثنا جعفر بن أبى عثمان الطيالسى حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا أنس بن عياض عن صالح بن حسان عن محمد بن كعب القرظى قال « إنما يكذب الكاذب من مَهَانة نفسه » وأنشدنى الكريزى :

كذبت ، ومن يكذب فإن جزاءه ... إذا ما أتى بالصدق ألا يُصَدَّقا
إذا عرف الكذاب بالكذب لم يزل ... لدى الناس كذاباً ، وإن كان صادقا
ومن آفة الكذاب نسيان كذبه ... وتَلتاهُ ذا فِقْهٍ إذا كان حاذقا

قال أبو حاتم : لو لم يكن للكذب من الشَّين إلا إنزاله صاحبه بحيث إن صَدَقَ لم يُصَدَّق ، لكان الواجب على الخلق كافّة لزوم التثبت بالصدق الدائم ، وإن من آفة الكذب أن يكون صاحبه نسياً ، فإذا كان كذلك كان كالمنادى على نفسه بالخزى فى كل لحظة وطرفة .

Marfat.com

سمعتُ أحمد بن محمد بن الأزهر يقول : سمعت نصر بن على الجهضمى يقول : « إن الله أعاننا على الكذابين بالنسيان » وأنشدنى محمد بن عبد الله البغدادى :

إذا ما المرء أخطأه ثلاث فبعه ، ولو بكفٍّ من رماد
سلامة صدره ، والصدق منه ، وكتمان السرائر فى الفؤاد

أنبأنا بكر بن أحمد الطاحى بالبصرة حدثنا إبراهيم بن عزرة حدثنا سفيان ابن عيينة عن معمر قال : قال الزهرى « لو رأيت طاووساً لعلمت أنه لا يكذب».

قال أبو حاتم رضى الله عنه : اللسان سَبُع عَقُور ، إن ضبطه صاحبه سلم ، وإن خلَى عنه عقره ، وبفمه يفتضح الكذوب ، فالعاقل لايشتغل بالخوض فيما لايعلم فيُتَّهَم فيما يعلم ؛ لأن رأس الذنوب الكذب ، وهو يبدى الفضائح ويكتم المحاسن ولا يجب على المرء إذا سمع شيئاً يعيبه أو يحدث به ، لأن من حدث عن كل شىء أزْرَى برأيه ، وأفسَد صدقه .

وقد أنبأنا أبو خليفة حدثنا ابن كثير أنبأنا سفيان الثورى عن أبى إسحاق عن الأحوص عن عبد الله قال « حَسْبُ المؤمن من الكذب أن يحدث بكل ماسمع » .

أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا حبان بن موسى ، أنبأنا عبد الله ، أنبأنا سفيان عن منصور عن سالم بن الجَعْد قال : قال عيسى بن مريم عليه السلام « طوبَى لمن خَزَنَ لسانه ، ووسِعَه بيته ، وبكى على خطيئته » .

أنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

وإذا الأمور تزوجت فالصدق أكرمها نِتَاجا
الصدق يعقد فوق رأ س حليفه بالصدق تاجا

Marfat.com

والصدق يقدح زَنده في كل ناحية سراجا .

أنبأنا القطان بالرقة حدثنا نوح بن حبيب حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن منصور عن رِبْعِي قالوا « من ذكرت يا أبا سفيان ؟ قال : ذكرت ربعيًّا ، وتَدْرُون مَنْ كان ربعي ؟ كان رجلاً من أشجع زَعَم قومُه أنه لم يكذب قط ، فسعى به ساع إلى الحجاج ، فقال : هاهنا رجل من أشجع ، زعم قومه أنه لم يكذب قط ، وأنه يكذب لك اليوم ، فإنك ضربت على ابنيْه البعث فعَصَيا ، وهما في البيت ، وكان عقوبة الحجاج للعاصي ضرب السيف ، قال : فدعاه فإذا شيخ منحن ، فقال له : أنت ربعي ؟ قال : نعم ، قال : مافعل ابناك ؟ قال : هاهما ذان في البيت ، قال : فحمله وكساه وأوصى به خيراً » .

أنبأنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا عبيد الله بن محمد التميمي عن أبيه قال « كان عمر بن الخطاب بمنًى فعطش، فانتهى إلى عجوز، فاستسقاها ماء، فقالت : ماعندنا ، فقال : لبناً ، فقالت : ماعندنا ، فبدرت جارية ، فقالت لها : تكذبين وما تستحين ؟ ثم قالت لعمر : هذا السقاء فيه لبن « فسأل عمر عن الجارية فإذا أبوها ثقفي فخطبها على عاصم بن عمر ، فزوجها منه ، فولد له منها أم عاصم ، فتزوجها عبد العزيز بن مروان ، فولدت له عمر بن عبد العزيز بن مروان ، رحمة الله عليه ! » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الصدق يرفع المرء في الدارين ، كما أن الكذب يهوى به في الحالين ، ولو لم يكن الصدق خصلة تحمد إلا أن المرء إذا عرف به قُبِل كذبه ، وصار صدقاً عند من يسمعه — لكان الواجب على العاقل أن يبلغ مجهوده في رياضة لسانه ، حتى يستقيم له على الصدق ومجانبة الكذب . والعيّ في

بعض الأوقات خير من النطق، لأن كل كلام أخطأ صاحبه موضعه فالعىّ خير منه.

أنشدنى المنتصر بن بلال :

تحدث بصدق إن تحدثت، وليكن لكل حديث من حديثك حينُ
فما القول إلا كالثياب ، فبعضها عليك ، وبعض فى التخوت مصونُ

وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

كم من حسيب كريم كان ذا شرف
قد شانه الكذب وسط الحىّ إن عمدا
وآخر ، كان صُعْلوكا ، فشَرَّفه
صدقُ الحديث وقولٌ جانب الفنَدَا
فصار هذا شريفاً فوق صاحبه
وصار هذا وضيعاً تحته أبدا

أنبأنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير : أنبأنا سفيان الثورى عن حبيب ابن أبى ثابت ، عن ميمون بن أبى شبيب ، قال : قال عمر « لايجد عبد حقيقة الإيمان حتى يَدعَ المراء وهو مُحقٌّ ؛ ويدع الكذب فى المزاح وهو يرى أنه لو شاء لغلب » .

أنبأنا ابن سعيد القزاز ، حدثنى يوسف بن سعيد بن مسلم حدثنا على بن بكار عن يونس بن عبيد ، عن حميد بن هلال ، عن عبد الله بن عمرو قال : « ذَرْ ما لستَ منه فى شىء ، ولاتنطق فيما لايعنيك ، واخْزُنْ لسانك كما تخزن دراهمك »

وأنشدنى محمد بن سعيد الهروى :

القول كاللبن المحلوب ، ليس له رَدٌّ وكيف يردُّ الحالبُ اللَّبَنَا ؟

Marfat.com

فى ضرعه ، وكذاك القول ليس له فى الجوف ردٌّ قبيحاً كان أو حسنَا

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل ترك الإغضاء عن تعهد اللسان ، لأن من كثر كلامه كثر سَقَطه ، والسقَط ربما تعدى غيره فيهلكه فى ورطة لاحيلة له فى التخلص منها ، لأن اللسان لايندمل جرحه ولا يلتئم ماقطع به ، وكَلْمُ القول إذا وصل إلى القلب لم ينزع إلا بعد مدة طويلة ، ولم يستخرج إلا بعد حيلة شديدة ، ومن الناس من لايُكْرَم إلا للسانه ، ولا يهان إلا به ، فالواجب على العاقل ألا يكون ممن يهان به .

أنبأنا عبد الله بن محمد الأنماطى الهمدانى ، حدثنا محمد بن عمير ، حدثنا عبد الله بن الحسين العقيلى ، حدثنا أبو سلمة الخزاعى ، حدثنا شبيب بن شبة ، قال : سمعت ابن سيرين يقول « الكلام أوسع من أن يكذب فيه ظريف » .

* * *

Marfat.com

ذكر الحث على لزوم الحياء وترك القحة

أنبأنا الفضيل[١] بن الحباب الجُمَحى ، حدثنا القَعْنَبى[٢] عن شعبة[٣] عن منصور[٤]، عن ربعى[٥]، عن ابن مسعود[٦] : أن النبى ﷺ قال «إن مما أدرك الناسُ من كلام النبوة الأولى : إذا لم تَسْتَح فاصنع ما شئت » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الحياء؛ لأنه أصل العقل وبذر الخير ، وتركه أصل الجهل وبذر الشر ، والحياء يدل على العقل كما أن عدمه

رجال السند :

(١) سبقت ترجمته .

(٢) القعنبى ، هو عبد الله بن مسلمة بن قعنب ابو عبد الرحمن البصرى ثقة عابد ٩/خ م د ت س .

(٣) شعبة بن الحجاج بن الورد العتكى مولاهم ابو بسطام الواسطى . ثقة حافظ متقن ٧/ع .

(٤) منصور بن المعتمر بن عبد الله بن ربيعة الكوفى ابو عتاب . ثقة ثبت ٥/ع .

(٥) ربعى بن خراش ابو مريم الكوفى . ثقة عابد مخضرم ٢/خ .

(٦) ابن مسعود ــ هو عبد الله تقدمت ترجمته .

تخريج الحديث :

اخرجه البخارى فى الأنبياء من صحيحه ٦/٥١٥ والادب ١٠/٥٢٣ وفى الادب المفرد رقم الحديث ٥٩٧ ورقم ٢/١٣١٦ ص ٥٤ ، ٧٢٦ .

واحمد فى مسنده ٤/١٢١ ، ٥/٢٧٣ وابو داود فى الادب من سننه ٢/٥٥٢ وابن ماجه فى كتاب الزهد ٢/١٤٠٠ وابو نعيم فى الحلية ٤/٣٧٠ . وابن حبان فى صحيحه فى الرقاق ٢/٣ والخطيب فى تاريخه ٣/١٠٠ ، ٦/١١٥ ، ٣٠٤ ، ١٠/ ٣٥٦ كلهم عن ابى مسعود عقبة بن عمرو البدرى رضى الله عنه .

واخرجه البزار فى مسنده وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد : رجاله رجال الصحيح .

واخرجه ابو نعيم من طريقين ٤/٣٧١ عن حذيفة ، ومالك عن عبد الكريم بن ابى المخارق موقوفا وهو ضعيف ، ١/١٣٣ الموطأ ..

Marfat.com

دال على الجهل ، ومن لم ينصف الناس منه حياؤه ، لم ينصفه منهم قحته ، ولقد أحسن الذى يقول :

وليس بمنسوب إلى العلم والتقى ... فتًى لاترى فيه خلائق أربعة
فواحدة : تقوى الإله التى بها ... ينال جسيمُ الخير والفضل أجمع
وثانية : صدق الحياء فإنه ... طباع عليه ذو المروءة يضبع
وثالثة : حلم إذا الجهل أطلعت ... فيه خبالا من فجور كرعُّ
ورابعة : جود بتلك يتينه ... إذا نابه الحق الذى ليس يدفع

وأنشدنى محمد بن عبد الله البغدادى :

إذا قلَّ ماء الوجه قلَّ حياؤه ... فلا خير فى وجه إذا قلَّ ماؤه
حياءك فاحفظه عليك ، فإنما ... يدل على وجه الكريم حياؤه

أنبأنا أبو خليفة حدثنا ابن كثير حدثنا سفيان الثورى عن أبى إسحاق عن أبى الأحوص عن عبد الله قال « ألأم شىء فى المؤمن الفحشُ » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه: الحياء اسم يشتمل على مجانبة المكروه من الخصال.

والحياء حياءان :

أحدهما : استحياء العبد من الله جل وعلا عند الاهتمام بمباشرة ما خطر عليه .

والثانى : استحياء من المخلوقين عند الدخول فيما يكرهون من القول والفعل معاً .

والحياءان جميعاً محمودان ، إلا أن أحدهما فرض والآخر فضل ، فلزوم الحياء عند مجانبة ما نهى الله عنه فرض ، ولزوم الحياء عند مقارفة ما كره الناس فضل .

Marfat.com

وأنشدنى محمد بن المنذر بن سعيد عن محمد بن خلف التيمى قال : أنشدنى رجل من خزاعة :

إذا لم تخش عاقبةَ الليالى ولم تستحى فاصنع ما تشاءُ
فلا والله ، مافى العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقى اللِّحاء

حدثنا إسحاق بن إبراهيم القاضى حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث بن سعد عن عقيل عن الزهرى : أن أبا بكر الصديق قال يوماً وهو يخطب « أيها الناس ، استحيوا من الله ، فوالله ماخرجتُ لحاجة منذ بايعتُ رسول الله ﷺ أريد الغائط إلا وأنا مُقَنَّع رأسى حياءً من الله » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحياء من الإيمان ، والمؤمن فى الجنة ، والبَذاء من الجفاء ، والجافى فى النار ، إلا أن يتفضل الله عليه برحمته فيخلصه منه .

فإذا لزم المرء الحياء كانت أسباب الخير منه موجودة ، كما أن الواقح إذا لزم البذاء كان وجود الخير منه معدوماً وتواتر الشر منه موجوداً ؛ لأن الحياء هو الحائل بين المرء وبين المزجورات كلها ، فبقوّة الحياء يضعف ارتكابه إياها ، وبضعف الحياء تقوى مباشرته إياها .

ولقد أحسن الذى يقول :

وربَّ قبيحة ما حال بينى وبين ركوبها إلا الحياء
فكان هو الدواءَ لها ، ولكن إذا ذهب الحياء فلا دواء

وأنبأنا محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا عمر بن شبة حدثنا عبد الأعلى بن

عبد الأعلى حدثنا هشام عن محمد عن كثير بن أفلح عن زيد بن ثابت قال : « من لايستحيي من الناس لايستحيي من الله » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يعوِّدَ نفسه لزوم الحياء من الناس ، وإن من أعظم بركته تعويدَ النفس ركوبَ الخصال المحمودة ومجانبتَها الخلالَ المذمومة ، كما أنَّ من أعظم بركة الحياء من الله الفوزَ من النار بلزوم الحياء عند مجانبة ما نهى الله عنه ؛ لأن ابن آدم مطبوع على الكرم واللؤم معاً فى المعاملة بينه وبين الله والعِشْرة بينه وبين المخلوقين ، وإذا قوى حياؤه قوى كرمه ، وضعف لؤمه ، وإذا ضعف حياؤه قوى لؤمه وضعف كرمه ، ولقد أنشدنى على بن محمد البسامى :

إذا رُزق الفتى وجْهاً وَقَاحاً ... تقلَّب فى الأمور كما يشاءُ
ولم يك للدواء ولا لشىء ... يعالجه به فيه غَنَاء
فما لك فى معاتبة الذى لا ... حياء لوجهه إلا المناء

قال أبو حاتم : إن المرء إذا اشتد حياؤه صان عِرضه ، ودفن مساويَه ، ونشر محاسنه، ومن ذهب حياؤه ذهب سروره، ومن ذهب سروره هان على الناس ومُقِتَ ومن مُقِتَ أوذى ، ومن أوذى حزِن ، ومن حزن فقد عقله ، ومن أصيب فى عقله كان أكثرُ قوله عليه لا له ، ولا دواء لمن لاحياء له ، ولا حياء لمن لا وفاء له ، ولا وفاء لمن لا إخاء له ، ومن قلّ حياؤه صنع ما شاء وقال ما أحب .

وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

إذا لم تَصُن عِرضاً ولم تخش خالقاً ... وتستحِى مخلوقاً فما شئت فاصنع

Marfat.com

إذا كنت تأتى المرء تُعظِمُ حَقَّه ويَجهل منك الحقَّ فالصرم أوسع

أنبأنا محمد بن سعيد التزاز حدثنى عبد الله بن مسعود الثعلبى باليمن حدثنا أحمد بن زيد بن السكن الجندى عن سفيان بن عيينة قال : قال يحيى بن جعدة « إذا رأيت الرجلَ قليل الحياء فاعلم أنه مدخول فى نسبه » .

* * *

Marfat.com

ذكر الحث على لزوم التواضع ومجانبة الكبر

أنبأنا أبو خليفة[١] حدثنا موسى[٢] بن إسماعيل التبوذكى حدثنا إسماعيل[٣] ابن جعفر عن العلاء[٤] بن عبد الرحمن[٥] عن أبيه عن أبى هريرة[٦] قال : قال رسول الله ﷺ « مانقصت صدقة من مال ، ولا زاد الله عبداً بعفو إلا عزًّا ولا تواضع أحد لله إلا رفعه الله » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم التواضع ومجانبة التكبر ، ولو لم يكن فى التواضع خَصلة تحمد إلا أن المرء كلما كثر تواضعه ازداد بذلك رفعةً لكان الواجب عليه ألا يتزيَّا بغيره .

والتواضع تواضعان : أحدهما محمود ، والآخر مذموم . والتواضع المحمود :

رجال السند :

(١) أبو خليفة ـ هو الفضل تقدم .

(٢) موسى بن اسماعيل التبوذكى المنقرى أبو سلمة . ثقة ثبت ٩/ع .

(٣) اسماعيل بن جعفر بن ابى كثير الانصارى الزرقى أبو إسحاق القارى ثقة ثبت ٨/ع .

(٤) العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب الخرقى ابو شبل المدنى صدوق ربما وهم من ٥/ز م عم .

(٥) عبد الرحمن بن يعقوب الجهنى المدينى ـ ثقة من ٣/ز م عم .

(٦) أبو هريرة تقدم .

تخريج الحديث :

واخرجه احمد فى مسنده ٢٣٥ ، ٢٨٦ ، ٢/٤٣٨ .

ومسلم فى البر ١٦/١٢١ ومالك ٢/٢٦٠ والترمذى فى البر ٤/٣٧٦ والدارمى فى سننه فى كتاب الزكاة ١/٣٣٣ كلهم عن ابى هريرة رضى الله عنه.

Marfat.com

ترك التطاول على عباد الله ، والإزراء بهم . والتواضع المذموم : هو تواضع المرء لذى الدنيا رغبةً فى دنياه .

فالعاقل يلزم مفارقة التواضع المذموم على الأحوال كلها ، ولا يفارق التواضع المحمود على الجهات كلها .

ولقد أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن ابن عجلان عن بُكير بن عبد الله ، عن عبيد الله بن عدى أن عمر بن الخطاب قال « إن الرجل إذا تواضع لله رفع حَكَمَتهُ ، وقال : انتعش نعشك الله ، فهو فى نفسه صغير ، وفى أعين الناس كبير ، وإذا تكبر العبد وعدا طوْره وهصَه الله إلى الأرض ، وقال : اخسأ ! أخسأك الله ، فهو فى نفسه كبير ،وفى أعين الناس صغير »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : التواضع يرفع المرء قدراً ، ويعظم له خطراً ، ويزيده نُبلا .

والتواضع لله جل وعز على ضربين :

أحدهما : تواضع العبد لربه عند ما يأتى من الطاعات غير معجب بفعله ، ولا راء له عندهُ حالةً يوجب بها أسباب الولاية ، إلا أن يكون المولى جل وعز هو الذى يتفضل عليه بذلك ، وهذا التواضع هو السبب الدافع لنفس المُعجب عن الطاعات .

والتواضع الآخر: هو ازدراء المرء نفسه واستحقاره إياها عند ذكره ماقارف من المآثم حتى لايرى أحداً من العالم إلا ويرى نفسه دونه فى الطاعات وفوقه فى الجنايات .

كما أنبأنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفى ببغداد ، حدثنا يحيى بن

Marfat.com

معين حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن عبد الله بن بكر بن عبد الله المزنى قال : قال أبى « يابنى لو لم أحضر الموسم لرجوت أن يغفر لهم » .

أنبأنا عبد الرحمن بن يحيى بن معاذ البزاز ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا ابن صُميع ، حدثنا زهير بن محمد عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله (كانوا لنا خاشعين) قال « متواضعين » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يلزم مجانبة التكبر ، لما فيه من الخصال المذمومة .

إحداها : أنه لا يتكبر على أحد حتى يعجب بنفسه ، ويرى لها على غيرها الفضل ؟

والثانية: ازدراؤه بالعالم، لأن من لم يستحقر الناس لم يتكبر عليهم ، وكفى بالمستحقر لمن أكرمه الله بالإيمان طغياناً .

والثالثة : منازعة الله جل وعلا فى صفاته ، إذ الكبرياء والعظمة من صفات الله جل وعلا ؛ فمن نازعه إحداهما ألقاه فى النار ، إلا أن يتفضل عليه بعفوه .

ولقد أحسن الذى يقول :

التيهُ مَفْسدة للدين ، منقصة للعقل ، مهتكة للعرض ، فانتبه
لا تَشْرَهَنَّ ؛ فإن الذل فى الشره والعز فى الحلم لا فى البطش والسفه

سمعت محمد بن محمود النسائى يقول:سمعت أباداود السنجى يقول سمعت الأصمعى يقول : سمعت يحيى بن خالد البرمكى يقول « الشريف إذا تقرّأ تواضع ، والدنىء إذا تقرأ تكبر » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لايمتنع من التواضع أحد ، والتواضع يكسب

Marfat.com

السلامة ، ويورث الألفة ، ويرفع الحقد ، ويذهب الصد ، وثمرة التواضع المحبة ، كما أن ثمرة القناعة الراحة ، وإن تواضع الشريف يزيد فى شرفه ، كما أن تكبر الوضيع يزيد فى ضَعته ، وكيف لايتواضع من خُلقَ من نطفة مَذِرَةٍ ، وآخره يعود جيفة قذرة ، وهو بينهما يحمل العذرة ؟

سمعت أبا يعلى يقول : سمعت إسحاق بن أبى إسرائيل يقول: سمعت ابن عيينة يقول : لو قيل : أخرجوا خيار هذه القرية لأخرجوا من لانعرف .

وأنشدنى الكريزى :

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعا ... فكم تحتها قوم هُمُ منك أرفع
فإن كنت فى عز وخير ومَنْعة ... فكم مات من قوم هم منك أمنع ؟

أنشدنا أبو عروبة أو ابن قتيبة ، أنشدنا المسيب بن واضح عن يوسف ابن أسباط :

وكفى بملتمس التواضع رفعةً ... وكفى بملتمس العلو سفالا

أنبأنا ابن خزيمة ، حدثنا محمد بن هشام المروزى ، حدثنا حفص بن غياث عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال « حج الحسين بن على عشر حجج ماشياً ونُجُبُه تقاد إلى جنبه » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أفضل الناس مَنْ تواضع عن رفعة ، وزهد عن قدرة ، وأنصف عن قوة ، ولا يترك المرء التواضع إلا عند استحكام التكبر ، فلا يتكبر على الناس أحد إلا بإعجابه بنفسه ، وعجب المرء بنفسه أحد حساد عقله ، وما رأيت أحداً تكبر على مَنْ دونه إلا ابتلاه الله بالذلة لمن فوقه .

Marfat.com

وأنشدنى محمد بن أبى على الخلادى :

ودَع التيه والعبوس على النا س فإن العبُوس رأس الحماقة
كلما شئت أن تعادىَ عادي ت صديقاً وقد تغر الصداقة

قال أبو حاتم رضى الله عنه: ما استُجلبت البغضة بمثل التكبر، ولا اكتسبت المحبة بمثل التواضع ، ومَن استطال على الإخوان فلا يثقن منهم بالصفاء ولا يجب لصاحب الكبر أن يطمع فى حسن الثناء ، ولا تكاد ترى تائهاً إلا وضيعاً .

فالعاقل إذا رأى من هو أكبر سنًّا منه تواضع له ، وقال: سبقنى إلى الإسلام، وإذا رأى من هو أصغر سنًّا تواضع له ، وقال : سبقته بالذنوب ، وإذا رأى من مثله عده أخا ، فكيف يحسن تكبر المرء على أخيه ، ولا يجب استحقار أحد ، لأن العود المنبوذ ربما انتفع به فحكّ الرجل به أذنه .

أخبرنا محمد بن المسيب بن إسحاق، حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد، قال: سمعت محمد بن شعيب بن شابور يقول « دخل رجل الحمام وزيد بن أبى حبيب فيه ، وكان أسود ، فقال له : يا أسود قم فاغسل رأسى قال : فقام فشد عليه إزاره فغسل رأسه ، ودلك جسده ، فلما فرغَ قال له الرجل: كثر الله فى السودان مثلك ، قال : أحببتَ أن يكثر مَنْ يخدمك » .

أنبأنا محمد بن زنجويه القشيرى ، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الدائنى : حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال « لو بغى جبل على جبل لدك الله الباغى منهما » .

Marfat.com

أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا نصر بن على،حدثنا نوح بن قيس عن أخيه عن قتادة قال : « ما نسيت شيئاً قط » ثم قال لغلامه « ناولنى نَعْلى، قال : نعلك فى رجلك » .

أنبأنا عبد الله بن محمد بن عمر ، أنبأنا على بن خَشْرم ، قال : سمعت الفضل ابن موسى يقول « كان مالك ينسى ، فقال لقهرمانه : اشتر لى غلاماً وسَمِّه باسم خفيف حتى لا أنساه ، قال فاشترى له غلاماً ، وأدخله عليه . فقال : اشتريت لك هذا الغلام ، وسميته باسم خفيف ، قال : ما سميته ؟ قال : قَرْقَد ، قال : فنظر إلى الغلام ، وقال : اجلس يا واقد » .

Marfat.com

ذكر استحباب التحبب إلى الناس من غير مقارفة المأثم

أنبأنا أحمد بن الحسين [١] بن عبد الجبار ببغداد ، حدثنا يحيى [٢] بن معين ، حدثنا عَبدَةُ [٣] بن سليمان عن هشام [٤] بن عروة ، عن موسى [٥] بن عقبة ، عن عبد الله بن عمرو [٦] الأزدى ، عن ابن مسعود [٧] ، عن النبى ﷺ قال : « يحرم على النار كلُّ هيِّن ليِّن قريبٍ سَهل ». رواه الترمذى وقال حديث حسن وابن حبان فى صحيحه ولفظه فى إحدى رواياته « إنما تحرم النار على كل هين لين قريب سهل » الترغيب للمنذرى جـ ٥ ص ٩٠ ضعيف بهذا السند .

رجال السند :

(١) سبقت ترجمته .

(٢) يحيى بن معين بن عون الغطفانى مولاهم أبو زكريا البغدادى ثقة حافظ مشهور امام الجرح والتعديل ١٠/ع .

(٣) عبدة بن سليمان الكلابى ابو محمد الكوفى ثقة ثبت ٨/ع .

(٤) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدى ثقة فقيه ربما دلس من ٥/ع .

(٥) موسى بن عقبة بن ابى عياش الاسدى مولى آل الزبير . ثقة فقيه امام المغازى من ٥/ع .

(٦) عبد الله بن عمرو الأودى (١) الكوفى ضعيف من ٣/ت .

(٧) ابن مسعود ـ تقدم .

تخريج الحديث :

واخرجه احمد فى مسنده ١/٤١٥ والترمذى فى صفة القيامة ٤/٦٥٤ والخرائطى فى مكارم الاخلاق ١١ وابن حبان فى صحيحه رقم ٤٦٢ ص ١/٤٢٢ كلهم عن ابن مسعود وفيه عندهم الأودى ضيعف .

واخرجه الخرائطى عن طريق اخرى وفيها ابو امية بن على ضعيف .

وقد فصل القول فى ذلك وذكر للحديث شواهد يتقوى بها شيخنا الالبانى فى سلسلة الاحاديث الصحيحة رقم ٩٣٨ .

---

(١) الأصل الازدى ـ وهو خطأ .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يتحبب إلى الناس بلزوم حسنِ الخلق : وترك سوء الخلق؛ لأن الخلق الحسن يذيب الخطايا، كما تذيب الشمس الجليد ، وإن الخلق السيء ليفسد العمل ، كما يفسد الخلُّ العسل ، وقد تكون فى الرجل أخلاقٌ كثيرة صالحة كلها، وخلق سيءٌ ، فيفسد الخلق السيءُ الأخلاق الصالحة كلها . وأنشدنى البغدادى :

خالق الناس بخلق حسن ... لا تكنْ كلباً على الناس يَهِرْ
والْقَهُمْ منك ببشر ، ثم صُنْ ... عنهمُ عرضك عن كل قَذِرْ

أنبأنا حامد بن شعيب البلخى ببغداد ، حدثنا سريج بن يونس ، حدثنا سفيان عن إبراهيم عن ميسرة عن طاوس قال : سمعت ابن عباس يقول « إن الرحم تُقْطَع ، وإن النعم تُكْفَر ، ولم أرَ مثل تقارب القلوب » .

أنبأنا الخلادى ، حدثنا محمد بن المغيرة النوفلى ، حدثنا عبد العزيز بن منيب حدثنا إبراهيم بن الأشعث ، قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول «إذا خالطتَ فخالط حَسَن الخلق ، فإنه لايدعو إلا إلى خير ، وصاحبه منه فى راحةٍ ، ولا تخالط سيِّئَ الخلق فإنه لايدعو إلا إلى الشر ، وصاحبه منه فى عناء ، ولأنْ يصحبنى فاجرٌ حَسَنُ الخلُق أحبُّ إلىّ من أن يصحبنى قارىء سيءُ الخلق ، إن الفاسق إذا كان حَسن الخلق عاش بعقله وخف على الناس وأحبوه ، وإن العابد إذا كان سيءُ الخلق ثقل على الناس ومَقَتوه » .

وأنشدنى محمد بن المهاجر المعدل ، أنشدنى محمد بن إبراهيم اليعمرى :

حافظ على الخُلق الجميل ومُرْ به ... ما بالجميل وبالقبيح خفاء
إن ضاق مالُكَ عن صديقك فالقَهُ ... بالبشر منك إذا يحين لقاء

Marfat.com

أنبأنا الحسين بن إسحاق الأصبهانى ، حدثنا يحيى بن حكيم المقومى ، حدثنا الخليل بن عبد العزيز ، قال : سمعت حماد بن سلمة يقول « الصوم فى البستان من الثقل » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : حسن الخلق بَذْر اكتساب المحبة ، كما أن سوء الخلق بَذْر استجلاب البِغْضة ، ومن حسُنَ خُلقه صان عرضه ، ومن ساء خُلُقه هَتك عرضه ؛ لأن سوء الخلق يورث الضغائن ، والضغائن إذا تمكنت فى القلوب أورثت العداوة ، والعداوةَ إذا ظهرت من غير صاحب الدين أهوت صاحبها إلى النار ، إلا أن يتداركه المولى بتفضل منه وعفو .

أنبأنا محمد بن المنذر ، حدثنا أبو حاتم الرازى ، حدثنا أبو عمير النحاس ، حدثنا ضَمُرة ، عن رجاء بن أبى سلمة عن الزهرى قال « وهل يُنتفع من السَّيِّءِ الخلق بشىء ؟ »

وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

للخير أهلٌ لا تزا ... ل وجوههم تدعو إليه
طوبى لمن جرَت الأمو ... ر الصالحات على يديه
ما لَمْ يضق خُلُق الفتى ... فالأرض واسعة عليه

أنبأنا أبو يعلى ، حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء ، حدثنا مهدى بن ميمون عن موسى بن عبيد ، عن ميمون بن مِهْران قال « التودُّد إلى الناس نصفُ العقل ، وحسن المسألة نصفُ العلم ، واقتصادك فى معيشتك يُلْقى عنك نصف المؤونة » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : التحبب إلى الناس أسهل ما يكون وجهاً ،

Marfat.com

وأظهر ما يكون بشراً ، وأحصر ما يكون أمراً، وأرفق ما يكون نهياً، وأحسن ما يكون خُلُقاً ، وألين ما يكون كَنَفاً ، وأوسع ما يكون يداً ، وأدفع ما يكون أذًى ، وأعظم ما يكون احتمالا ، فإذا كان المرء بهذا النعت لايَحْزَنُ من يحبهُ ولا يَفْرَحُ من يحسُده ، لأن من جعل رضاه تبعاً لرضا الناس، وعاشرهم من حيث هم استحق الكمال بالسؤدد .

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

أعاشر مَعْشرى فى كل أمرٍ بأحسن ما أُريتُ وما رأيتُ
وأجتنب المقابح حيث كانت وأترك ما هويتُ وما فَرَيْتُ

قال أبو حاتم رضى الله عنه : حاجة المرء إلى الناس مع محبتهم إياه خير من غناه عنهم مع بغضهم إياه ، والسبب الداعى إلى صَدّ محبتهم له : هو التضايق فى الأخلاق ، وسوءِ الخلق ؛ لأن من ضاق خلقه سئمه أهله وجيرانه ، واستثقله إخوانه ، فحينئذ تمنَّوا الخلاص منه ، ودعوا بالهلاك عليه .

سمعت عمر بن سعيد بن سنان الطائى يقول: سمعت أبا الحسن الرهاوى يقول: سمعت يزيد بن هارون يقول :

فقَدت ثقالَ الناس فى كل بلدةٍ فيارب لا تغفر لكل ثقيل

أنبأنا أحمد بن محمد بن الحسن البلخى حدثنا محمد بن إدريس الحافظ حدثنا محمد بن عبد الله بن إسماعيل قال : سمعت عمرو بن الحارث يقول : تسخين العين النظار إلى من تكره .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الاستثقال من الناس يكون سببه شيئين :

Marfat.com

أحدهما : مقارفة المرء ما نهى الله عنه من المآثم ؛ لأن من تعدى حرمات الله أبغضه الله ، ومن أبغضه الله أبغضته الملائكة ، ثم يوضع له البغض فى الأرض ، فلا يكاد يراه أحد إلا استثقله وأبغضه .

والسبب الآخر : هو استعمال المرء من الخصال ما يكره الناس منه ، فإذا كان كذلك استحق الاستثقال منهم .

وأنشدنى الكريزى :

ليتنى كنت ساعةً ملَكَ الما ... وت ، فأفنى الثقال حتى يبيدوا
وَلَوْ أنى وأنت فى جنة الخـ ... ـلد لقلت : الخروجَ منها أريد
لدخولُ الجحيم أهون من جنـ ... ـة خلدٍ ، أراك فيها ترود

أنبأنا عمر بن حفص البزار بجنديسابور حدثنا إسحاق بن الضيف حدثنا أبو مسهر حدثنا هشام بن يحيى قال « كان نقش خاتم أبيك ـ يعنى أبا أبى مسهر ـ أبْرَمت فقم، قال : فكان إذا جلس إليه الرجل فتثاقل حرك خاتمه، وقال : اقرأ نقش خاتمى ، وكان إذا قرأ قام » .

أنبأنا أحمد بن محمد بن الحسن حدثنا محمد بن إدريس حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا موسى بن رباح قال : سمعت مخلداً أبا أبى عاصم يقول : إذا أبغضت الرجل أبغضت شِقِّى الذى يليه .

سمعت محمد بن السرى البغدادى يقول : سمعت أبا بكر المروزى يقول : سألت أحمد بن حنبل عن الثقلاء ، فقال : سألت عنهم بشراً الحافى ، فقال : النظر إليهم سُخْنة العين ، قلت لأحمد : من الثقلاء ؟ قال : أهل البدع .

قال أبو حاتم رضى الله عنه: هذا الذى قال أحمد بن حنبل رحمة الله عليه هو استثقال الخاص: إذا عرَف أحدهم من بعض الناس ثلماً فى السُّنة أبغضه على بدعته فأما العام فلا يكادون يعادُون ويوالون إلا على المحبوب من الخصال ، والمكروه من الفعال ، ألا ترى المقنَّع الكِندى حيث يقول لبعض من صحبه :

ألا يا مَرْكبَ المقت الـ ـذي أرسَى ، فلا يبرحْ
ويا من سكرات المو ت من طلعته أرْوحْ
لقد صُوِّرت فى فكرى فلا أدرى لما تصلحْ ؟
فلا تصلح أن تُهجَى ولا تصلح أن تمدحْ
بلى ، تصلح أن تُقتـ ـل أو تصلب أو تُذبحْ

سمعت أحمد بن محمد الملخى الذهبى يقول: قال محمد بن أبى الورد قال يحيى ابن ماسويه : النظر إلى الثقيل حُمَّى تعترى بين الجلدين .

حدثنا أحمد بن عمر بن يزيد يقول : سمعت سلمة بن شبيب يقول : سمعت أبا أسامة يقول : ائتونى بمستَمْلٍ خفيف على الفؤاد ، وإياىَ والثقلاءَ ، وإياىَ والثقلاء .

أنبأنا أحمد بن محمد بن الحسن حدثنا عباس بن أبى طالب حدثنا إبراهيم ابن المنذر حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن ابن سيرين قال : سمعت رجلا من أهل البادية يقول : نظرت إلى ثقيل مرة فغُشى علىّ .

وأنشدنى المنتصر بن بلال :

وأنت على مَوَدَّتنا حريص ولكن لا تخفُّ على الفؤاد
وأثقل من رحا بَزْر علينا كأنك من بقايا قوم عاد

Marfat.com

حدثنا إبراهيم بن مضر بن عنبر حدثنا يوسف بن عيسى حدثنا وكيع حدثنا أبو سهل عن إبراهيم بن بكير قال : كان أبو هريرة إذا استثقل جليساً له قال « اللهم اغفر لنا وله ، وأرحنا منه فى عافية » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل مجانبة الخصال التى تورثه استثقال الناس إياه ، وملازمة الخصال التى تؤديه إلى محبتهم إياه .

ومن أعظم ما يُتوسل به إلى الناس ويستجلب به محبتهم: البذلُ لهم مما يملك المرء من حُطام هذه الدنيا ، واحتماله عنهم ما يكون منهم من الأذى .

فلو أن المرء صحبه طائفتان : إحداهما تحبه ، والأخرى تبغضه ، فأحسن إلى التى تبغضه ، وأساء إلى التى تحبه، ثم أصابته نكبة فاحتاج إليهما، لكان أسرعهما إلى خذلانه وأبعدهما عن نصرته الطائفة التى كانت تحبه ، وأسرعهما إلى نصرته وأبعدهما عن خذلانه الطائفة التى كانت تبغضه ، لأن الكلب إذا شبع قوى ، وإذا قوى أمّل ، وإذا أمل تبع المأمول ، وإذا جاع ضعف ، وإذا ضعف أيس ، وإذا أيس ولى عن المتبوع .

فمن عدم المال فليبسُط وجهه للناس . فإن ذلك يقوم مقام بذل المعروف إذ هو أحد طرفيه .

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا هارون بن عبد الخالق المازنى قال : سئل ابن المبارك عن حسن الخلق ، فقال « هو بسط الوجه ، وبذل المعروف » .

أنبأنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث حدثنا محمد بن القاسم الأسدى عن منحة بن عمرو قال « خرج غلام لنا بقمامة الدار ، أو بكناسة الدار عُريان ، وسعيد بن جبير على الباب ، فقال : يا خبيث ارفع إزارك » .

Marfat.com

أنبأنا محمد بن إبراهيم البدورى بالبصرة حدثنا إبراهيم بن بشار الرمادى حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال : إذا لقى المسلم أخاه فصافحه وكَشَرَ فى وجهه تحاتت ذنوبه ، كما تحاتّ العِذق من النخلة . فقال رجل لمجاهد : يا أبا الحجاج ، إن هذا من العمل اليسير. فقال مجاهد: (٨ : ٦٢ هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألَّف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم) أفيسير هذا ؟ .

* * *

ذكر استعمال لزوم المداراة ، وترك المداهنة مع الناس

أنبأنا محمد بن قتيبة اللخمى [١] بعسقلان وعمرو بن [٢] سعيد بن سنان الطائى بمنبج قالا : حدثنا ابن واضح [٣] حدثنا يوسف [٤] بن أسباط حدثنا سفيان [٥] عن محمد بن المنكدر [٦] عن جابر [٧] قال : قال رسول الله ﷺ : « مداراة الناس صدقة » « ضعيف » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يلزم المداراة مع من دفع إليه فى العشرة من غير مقارفة المداهنة ، إذ المداراة من المدارى صدقة له ، والمداهنة

رجال السند :

(١) محمد بن قتيبة اللخمى ـ هو ابن الحسن بن قتيبة العسقلانى محدث فقيه ثقة حافظ ذكره الذهبى فى التذكرة ٢/٧٦٤ .

(٢) عمر بن سعيد (١) بن سنان الطائى بمنبج هكذا فى المجروحين لابن حبان ص ١/٤٠ .

(٣) ابن واضح وهو المسيب السلمى التلمسى الحمصى . قال أبو حاتم . صدوق يخطىء كثيرا ، وضعفه الدارقطنى . اللسان لابن حجر .

(٤) يوسف بن اسباط الشيبانى الزاهد الواعظ أبو محمد . قال أبو حاتم : لا يحتج به ـ وقال ابن حجر : مستقيم الحديث ربما اخطأ . اللسان .

(٥) سفيان ـ هو ابن سعيد بن مسروق الثورى أبو عبد الله الكوفى ثقة حافظ امام ٧/ع .

(٦) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير التيمى المدنى ثقة فاضل ٣/ع .

(٧) جابر ـ هو ابن عبد الله بن عمرو بن حرام الانصارى ، صحابى ابن صحابى غزا ١٩ غزوة ومات بالمدينة بعد السبعين / ع .

تخريج الحديث :

اخرجه ابن حبان فى صحيحه ١/٤٢٣ .

وقال الهيثمى رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر متروك ٨/١٧ وانظر الميزان للذهبى ٤/٤٦٢ .

---

(١) الاصل : عمرو ـ وهو خطأ .

Marfat.com

من المداهن تكون خطيئةً عليه ، والفصل بين المداراة والمداهنة : هو أن يجعل المرء وقته فى الرياضة لإصلاح الوقت الذى هو له مقيم بلزوم المداراة من غير ثَلْم فى الدين من جهة من الجهات ، فمتى ما تخلَّق المرء بخلق شابهُ بعض ما كره الله منه فى تخلقه ، فهذا هو المداهنة ، لأن عاقبتها تصير إلى قُلٍّ ويلازم المداراة ؛ لأنها تدعو إلى صلاح أحواله ، ومن لم يدار الناس مَلُّوه كما أنشدنى على بن محمد البسّامى :

دار من الناس مَلالاتهم مَنْ لم يدارِ الناسَ مَلوه
وَمُكرِمُ الناس حبيب لهم من أكرم الناس أحبوه

أنبأنا محمد بن أحمد بن أبى عون المرياني حدثنا أحمد بن منيع حدثنا ابن المبارك عن الحسن بن عمرو عن منذر الثورى عن ابن الحنفية قال « ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بُدًّا حتى يأتيه الله منه بالفرج أو المخرج » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يدارى الناس مداراةَ الرجل السابح فى الماء الجارى ، ومن ذهب إلى عِشرة الناس من حيث هو كَدَّر على نفسه عيشه ، ولم تصفُ مَودَّته ؛ لأن وداد الناس لا يستجلب إلا بمساعدتهم على ما هُمْ عليه إلا أن يكون مأثمًا ، فإذا كانت حالة معصية فلا سمع ولا طاعة ، والبَشَر قد رُكِّب فيهم أهواء مختلفة وطبائع متباينة ، فكما يَشُقُّ عليك ترك ما جُبِلت عليه ، فكذلك يَشُقُّ على غيرك مجانبة مثله ، فليس إلى صفو ودادهم سبيل ، إلا بمعاشرتهم من حيث هم ، والإغضاء عن مخالفتهم فى الأوقات . أنشدنى الأبرش :

وقالت وهزت رأسها وتضاحكت على الود تُجْفَى، أم على العهد تُوصَلُ؟

Marfat.com

فقلت : فلم أفعل ، فقالت : تُريده فقلت : فلم أفعل ، فقالت : ستفعل

أنبأنا ابن قحطبة حدثنا أحمد بن المقدام حدثنا حرم قال : سمعت حبيب ابن الشهيد يقول : سمعت الحسن يقول « يا ابن آدم ، اصحب الناس بأى خُلق شئت يَصحبوك عليه » وأنشدنى الكريزى :

تجنَّى علىَّ بما قد جنى ويُغْلِظ فى القول إن لِنتُ له
ويسبق بالعذل لى ظالماً كأنَّ الصواب له لا لِيَهْ
كما قال فى مَثَلٍ عالمٌ خذِ اللص بالذنب لا تُغْفِله

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من التمس رضا جميع الناس التمس مالا يُدْرَك ، ولكن يقصد العاقل رضا من لا يجد من معاشرته بُدًّا ، وإن دفعه الوقت إلى استحسان أشياء من العادات كان يستقبحها ، واستقباح أشياء كان يستحسنها ، مالم يكن مأثماً ؛ فإن ذلك من المداراة ، وما أكثرَ من دارى فلم يسلم ، فكيف توجد السلامة لمن لا يدارى ؟ أنشدنى محمد بن عبد الله البغدادى :

ياذا الذى أصبح لا والدٌ له على الأرض ولا والده
قد مات من قبلهما آدم فأى نفس بعده خالده ؟
إن جئت أرضاً أهلها كلهم عُورٌ فغمض عينكَ الواحده

أنبأنا أبو يعلى ، حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء ، حدثنا مهدى بن ميمون ، حدثنا معاذ بن سعد الأعور قال « كنت جالساً عند عطاء بن أبى رباح فحدث رجل بحديث ، فعرَّض رجل من القوم فى حديثه ، قال : فغضب ، وقال : ما هذه الطباع ؟ إنى لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به ، فأُريه كأنِّى لا أحسن منه شيئاً » .

أنبأنا محمد بن المهاجر حدثنا محمد بن محمد الصيداوى حدثنا حماد بن إسحاق عن المدائنى ، قال : قال معاوية « لو أن بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت ، قيل : وكيف ؟ قال : لأنهم إن مَدُّوا خَلَّيتُها ، وإن خَلَّوْا مددتها » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من لم يعاشر الناس على لزوم الإغضاء عما يأتون من المكروه ، وترك التوقُّع لما يأتون من المحبوب ، كان إلى تكدير عيشه أقربَ منه إلى صفائه ، وإلى أن يدفعه الوقت إلى العداوة والبغضاء أقرب منه إلى أن ينال منهم الوداد ، وترك الشَّحناء ، ومن لم يدارِ صديق السوء كما يدارى صديق الصِّدق ليس بحازم ، ولقد أحسن الذى يقول :

تجنب صديق السوء واصرمْ حباله ... وإن لم تجد عنه محيصاً فدارِهِ
وأحبب حبيب الصدق واحذر مراءه ... تَنَلْ منه صَفْو الوُدِّ مالم تماره

أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا إبراهيم الحورانى ، حدثنا أبو مسهر ، حدثنا سهل بن هاشم عن إبراهيم بن أدهم قال : قال أبو الدرداء لأم الدرداء « إذا غضبتُ فرضِّينى ، وإذا غضبتِ رضّيتك ، فإذا لم نكن هكذا ما أسرعَ ما نفترق »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل إذا دفعه الوقت إلى صحبة من لا يثق بصداقته أو صداقة من يثق بأخوته ، فرأى من أحدهما زَلَّةً فَرَفَضَه لزلته ، بقى وحيداً لا يجد مَن يعاشر ، فريداً لا يجد من يخادن ، بل يُغضِى على الأخ الصادق زلاته ، ولا يناقش الصديق السيء على عثراته ؛ لأن المناقشة تلزمه فى تصحيح أصل الوداد أكثر مما تلزمه فى فرعه .

ومن أنواع المداراة : ما حدثنى الحسن بن سفيان ، حدثنا عبد الله بن أحمد ابن شَبّويه ، حدثنا الحسن بن واقع ، حدثنا ضمرة عن ابن شَوْذَب قال « كانت

Marfat.com

لرجل جارية ، فوطئها سرًّا ، فقال لأهله : إن مريم كانت تغتسل فى هذه الليلة ، فاغتسلوا ، فاغتسل هو واغتسل أهله ، قال ابن شوذب : وكانت مريم تغتسل فى كل ليلة » .

وأنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

أُغَمِّضُ عينى عن صديقى ، كأننى ... لديه بما يأتى من القبح جاهلُ
وما بىَ جهل ، غير أن خليقتى ... تطيق احتمال الكُره فيما أحاول
متى ما يَرَينى مَفْصِل فقطعتُه ... بقيت ومالى فى نهوضى مفاصل
ولكن أداريه ، وإن صَحَّ شدُّنى ... فإن هو أعيا كان فيه تحامل

أنبأنا محمد بن أبى على الخلادى ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلى عن أبى السائب قال : قال على « لا تعامل بالخديعة ، فإنها خُلق اللئام ، والمحض أخاك النصيحة حسنة كانت أم قبيحة ، وساعده على كل حال ، وزُل معه حيث زال »

* * *

Marfat.com

ذكر استحباب إفشاء السلام ، وإظهار البشر والتبسم

أنبأنا أحمد بن صالح الطبرى[١] حدثنا الفضل[٢] بن سهل الأعرج ، حدثنا محمد بن جعفر المداثنى[٣] ، حدثنا وَرْقاء[٤] عن الأعمش[٥] عن زيد بن وهب[٦] عن ابن مسعود[٧] قال : قال رسول الله ﷺ « إن السلام اسم من أسماء الله ، وضعه فى الأرض ، فأفشوه بينكم ؛ فإن الرجل المسلم إذا مَرَّ بالقوم فسلَّم عليهم فردُّوا عليه كان له عليهم فَضْل درجة بتذكيره إياهم بالسلام ، فإن لم يردوا عليه رَدَّ عليه

رجال السند :

(١) محمد (١) بن صالح الطبرى ، الضمرى قال الحاكم فيه نظر انظر الميزان للذهبى .

(٢) الفضل بن سهل الاعرج البغدادى صدوق ١١/ج م د ت س .

(٣) محمد بن جعفر المداثنى البزاز ابو جعفر . صدوق فيه لين ٩/م ت .

(٤) ورقاء — هو ابن عمر اليشكرى أبو بشر الكوفى نزيل المدينة صدوق فى حديثه عن منصور لين ٧/ع .

(٥) الاعمش . تقدم .

(٦) زيد بن وهب الجهنى ابو سليمان الكوفى مخضرم ثقة جليل /ع .

(٧) ابن مسعود — تقدم .

تخريج الحديث :

واخرجه البخارى فى الادب المفرد رقم ٨٨٩ ص ٢/٤٦٢ عن انس ورجاله رجال الصحيحين الاحمادا فمن رجال مسلم وحده .

وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب الأدب ٨/٢٩ رواه البزار باسنادين . والطبرانى باسانيد واحدها رجاله رجال الصحيح عند البزار والطبرانى وذكر شيخنا الالبانى فى السلسلة رقم ١٨٤ ان له شواهد اخرى عند أبى الشيخ فى الطبقات والعقيلى وغيرهما كلهم عن ابن مسعود . وذكره الشوكانى فى الموضوعات فاخطأ ٢٣٥ وتكلم عليه وعلى جميع طرقه عبد الرحمن المعلى اليمانى فى تعليقه على الموضوعات للشوكانى .

---

(١) بالاصل أحمد وهو خطأ .

Marfat.com

مَنْ هو خير منهم وأطيب » . صحيح أخرجه أبو الشيخ فى الطبقات ١٤٧و٢٩٥ وكذلك أورد المنذرى فى الترغيب وقال : رواه البزار والطبرانى وأحد إسنادى البزار جيد قوى وله شاهد من حديث أنس عند البخارى فى الأدب المفرد ٩٨٩ ـ انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة لشيخنا رقم ١٨٤ ص ١١٨ .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يلزم إفشاء السلام على العام ؛ لأن من سَلَّم على عشرة كان له عِتق رقبة ، والسلام مما يَذْهبُ إفشاؤه بالمكتنِ من الشحناء .وما فى الخلد من البغضاء .ويقطع الهجران ويصافى الإخوان.

والبادى. بالسلام بين حسنتين : إحداهما : تفضيل الله عز وجل إياه على المسلم عليه بفضل درجة ، لتذكيره إياهم بالسلام ، وبين رَدّ الملائكة عليه عند غفلتهم عن الرد .

ولقد أنبأنا عمرو بن محمد الأنصارى: حدثنا الغلابى ، حدثنا شعيب بن واقد حدثنا جرير ، قال : قال زبيد اليامى « إن أجود الناس من أعطى مالا لايريد جزاءه ؛ وإن أحسن الناس عفواً من عفا بعد قدرة ، وإن أفضل الناس من وصل من قطعه ، وإن أبخل الناس من بخل بالسلام » .

أخبرنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير أنبأنا سفيان عن أبى إسحاق عن صلةَ بن زُفر العَبْسى ، قال : حدثنا عمار بن ياسر قال « ثلاثٌ من جمعهن جمع الإيمان : الإنفاق من الإقتار ، والإنصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالم » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على المسلم إذا لقى أخاه المسلم أن يسلم عليه متبسما إليه فإنَّ من فعل ذلك تحاتَّ عنهما خطاياهما كما تحاتَّ وَرَقُ الشجر فى الشتاء إذا يَبِسَ ، وقد استحق المحبة من أعطاهم بشر وجهه .

Marfat.com

ولقد أخبرنى محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا إبراهيم بن عبد السلام العنبرى، حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى حدثنا إسماعيل بن حماد عن سعيد بن الخمس قال : قيل له « ما أبشّك ؟ قال : إنه يقوم علىّ برخيص » وأنشدنى الأبرش :

أخو البشر محبوب على حسن بشره ولن يَعدِم البغضاء من كان عابسا
ويسرع بُخلُ المرء فى هَتْك عِرْضه ولم أرَ مثل الجود للمرء حارسا

قال أبو حاتم : البشاشة إدام العلماء وسَجِية الحكماء ، لأن البشر يطفىء نار المعاندة ، ويخرق هيجان المباغضة ، وفيه تحصينٌ من الباغى ، ومَنجاة من الساعى، ومن بَشّ للناس وجهاً لم يكن عندهم بدون الباذل لهم ما يملك .

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا إبراهيم بن محمد العبادى حدثنا سُويد عن على بن مسْهر عن هشام بن عروة عن أبيه قال « أخبرت أنه مكتوب فى الحكمة : يابنى لِيَكُنْ وجهك بَسْطاً ، ولْتَكُنْ كلمتك طَيِّبَةً - تكن أحبّ إلى الناس من أن تعطيهم العطاء .

وأنشدنى الخلادى أنشدنا أحمد بن بكر بن خالد اليزيدى لسعيد بن عبيد الطائى :

إلقَ بالبشر من لقيت من النا س جميعاً ولاقِهِمْ بالطلاقَهْ
بجنِ منهمُ جَنَى ثمارٍ ، فخذها طيباً طَعمُه لذيذَ المذاقَهْ

أخبرنا محمد بن صالح الطبرى حدثنا محمد بن حميد حدثنا حَكّام بن مسلم عن سعيد بن عبد الرحمن الزبيدى قال « يعجبنى من القراء كل سَهْلٍ طَلْقٍ مِضْحاكٍ فأما من تلقاه ببشر ويلقاك بعُبوس يَمُنُّ عليك بعمله ، فلا أكثر الله فى القراء ضربَ هذا» .

Marfat.com

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لايجب على العاقل إذا رزق السلوك فى ميدان طاعة من الطاعات إذا رأى من قَصَّر فى سلوك قَصْدِه أن يُعبِّس عليه بعمله وجهَه ، بل يُظهر البِشْر والبشاشة له ، فلعله فى سابق علم الله أن يرجع إلى صحة الأوبة إلى قصده مع ما يجب عليه من الحمد لله والشكر له على ما وفقه لخدمته ، وحرَمَ غيره مثله .

أخبرنا محمد بن أبى على الخلادى أخبرنى محمد بن موسى السمرى أن حماد ابن إسحاق أنشدهم :

فتًى مثل صفو الماء ، أما لقاؤه فبِشرٌ ، وأما وَعْدُه فجميلُ
يسرُّك مُفْتَرًّا ، ويشرق وجهُه إذا اعتلَّ مذموم الفعال بخيل
عَيِىٌّ عن الفحشاء ، أما لسانه فعفٌّ ، وأما طَرْفُه فكليل

وأنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

لن تستتم جميلاً أنت فاعِلُه إلا وأنت طليقُ الوجه بهلولُ
ما أوسط الخيرَ فابُسطْ راحتيك به وكن كأنك دون الشَّرِّ مغلول

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا الدارمى حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن إسماعيل بن سالم عن حبيب بن أبى ثابت قال « من حسن خلق الرجل أن يحدث صاحبه وهو يتبسم » .

* * *

Marfat.com

ذكر ما أبيح من المزاح للمرء ، وما كره له منه

أنبأنا أحمد بن[١] على بن المثنى حدثنا هدبة بن[٢] خالد حدثنا همام[٣] بن يحيى حدثنا قتادة[٤] عن أنس[٥] أن النبي ﷺ « كان له خادم يقال له : أنجشة ، وكان حَسَنَ الصوت ، فقال النبي ﷺ : يا أنجشة لاتكسر القوارير » قال قتادة: يعنى ضَعَفَةَ النساء . أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما من أصحاب السنن والحديث صحيح .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يستميل قلوب الناس إليه بالمزاح ، وترك التعبس .

والمزاح على ضربين : فمزاح محمود ، ومزاح مذموم .

رجال السند :

(١) سبقت ترجمته .

(٢) هدبة بن خالد بن الأسود القيسى أبو خالد البصرى . ثقة عابد ٩/خ م د .

(٣) همام بن يحيى — بن دينار العوذى أبو عبد الله البصرى ثقة وربما وهم ٧/ع .

(٤) قتادة — هو ابن دعامة السدوسى بن قتادة أبو الخطاب البصرى ثقة ثبت ولد اكمه ٤/ع .

(٥) انس — هو ابن مالك بن النضر الأنصارى الخزرجى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم خدمه ١٠ سنين صحابى مشهور مات ٩٣ هـ/ع .

تخريج الحديث :

واخرجه البخارى فى الادب ٥٩٣ ، ١٠/٥٩٤ ومسلم فى الفضائل ٧٩ — ١٥/٨١ واحمد فى مسنده ٣/٢٥٢ وابو نعيم فى الحلية ٣/١٠٦ كلهم عن انس .

Marfat.com

فأما المزاح المحمود : فهو الذى لا يَشُوبه ما كره الله عز وجل ، ولا يكون بإثم ولا قطيعة رحم .

وأما المزاح المذموم : فالذى يُثير العداوة ، ويُذهب البهاء ، ويقطع الصداقة ، ويُجرِّىء الدنىء عليه ، ويُحقد الشريف به .

أخبرنا محمد بن المنذر حدثنا إبراهيم بن محمد الرقى حدثنا أبو موسى الأنصارى حدثنا بكر بن سليم قال : سمعت ربيعة يقول « إياكم والمزاح ، فإنه يُفسد المودة ، ويُغِلُّ الصدر » .

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا الفضيل بن الخضر التميمى حدثنا عبد الله ابن حُبيق قال : كان يقال « لا تمازح الشريف ، فيحقِدَ عليك ، ولا تمازح الوضيع ، فيجترىء عليك » .

وأنشدنى محمد بن عبد الله :

أكرم جليسك ، لا تمازح بالأذى ... إن المزاح تُرَى به الأضغانُ
كم من مزاح جَذَّ حَبْلَ قرينه ... فتجذَّمت من أجله الأقران

قال أبو حاتم رضى الله عنه : المزاح فى غير طاعة الله مَسْلَبة للبهاء ، مَقْطعة للصداقة ، يورث الضِّغْن ، وينبت الغِلَّ .

وإنما سمى المزاح مزاحاً لأنه زاح عن الحق ، وكم من افتراق بين أخوين ، وهجران بين متآلفين ، كان أولَ ذلك المزاحُ .

أنبأنا محمد بن أحمد بن الحسين القرشى حدثنا الأسود بن عامر عن أبى إسرائيل عن الحكم قال: كان يقال « لا تمار صديقك ولا تمازحه، فإن مجاهداً كان له صديق ، فمازحه : فأعرض كلُّ واحد منهما عن صاحبه ، فما زاده عن السلام حتى مات » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : وإن من المزاح ما يكون سبباً لتهييج المراء ، والواجب على العاقل اجتنابه ؛ لأن المراء مذموم فى الأحوال كلها ، ولا يخلو الممارى من أن يفوته أحد رجلين فى المراء : إما رجلٌ هو أعلم منه ، فكيف يجادل من هو دونه فى العلم ؟ أو يكون ذلك أعلم منه ، فكيف يمارى من هو أعلم منه ؟ .

ولقد سمعت حفص بن عمر البزار يقول : سمعت إسحاق بن الضيف يقول : سمعت جعفر بن عون يقول : سمعت مسعر بن كُدام يقول لابنه كُدام :

إنى نحلتك يا كدام نصيحتى ... فاسمع مقال أبٍ عليك شفيق
أما المزاحة والمراء فدَعْهما ... خُلُقان لا أرضاهما لصديق
إنى بَلَوتهما فلم أحمدهما ... لمجاور جاراً ، ولا لشقيق
والجهل يُزْرِى بالفتى فى قومه ... وعروقه فى الناس أىُّ عروق

قال أبو حاتم رضى الله عنه : المراء أخو الشنآن ، كما أن المناقشة أخت العداوة ، والمرء قليل نفعه كثير شره ، ومنه يكون السباب ، ومن السباب يكون القتال ، ومن القتال يكون هراقة الدم ، وما مارى أحد أحداً إلا وقد غيّر المراء قلبيهما . وقد أحسن الذى يقول :

وإياك من حلو المزاحِ ومرِّه ... ومِنْ أن يراك الناس فيه ممارياً
وإن مراء المرء يُخلِق وجهه ... وإن مزاح المرء يبدى القشانيا
دعاه مزاح أو مراء إلى التى ... بها صار مَقْلِىَّ الإخاء وقاليا

أخبرنى محمد بن المنذر حدثنى كثير بن عبد الله التيمى حدثنى إسماعيل بن محمد الطلحى حدثنا أبو الأخفش الكنانى أنه قال لابن له :

أبُنَىَّ لاتَكُ ما حَيِيت مارياً ... ودع السفاهة إنها لاتنفعُ

Marfat.com

لا تَحمِلَنَّ ضغينة لقرابةٍ إن الضغينة للقرابة تقطع
لا تَحسِبَنَّ الحلم منك مَذَلَّةً إن الحليم هو الأعزُّ الأمنع

أخبرنا محمد بن إبراهيم الخالدى الهروى حدثنا العباس بن الوليد بن مَزْيَدٍ قال : سمعت أبى عن الأوزاعى قال : قال بلال بن سعد « إذا رأيتَ الرجلَ لجوجاً مارياً معجباً برأيه ، فقد تمت خسارته » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : المزاح إذا كان فيه إثم فهو يُسَوِّد الوجه ، ويُدمى القلبَ ويورث البغضاء ، ويحيي الضغينة ، وإذا كان من غير معصية يسَلِّى الهمَّ ويرفع الخُلَّة ، ويحيي النفوس ، ويذهب الحِشْمة ، فالواجب على العاقل أن يستعمل من المزاح ما يُنْسَب بفعله إلى الحلاوة ، ولا ينوى به أذى أحد ولا سرور أحد بمساءة أحد .

أخبرنا عبد الله بن محمد بن عائذ — كان بِهَراة — حدثنا أحمد بن عبد الله ابن حكيم الدرياناني — قرية من قرى مَرْو — حدثنا سهل بن يحيي عن أبيه عن الأعمش عن إبراهيم قال « لا يمازحك إلا من يحبك » .

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا إبراهيم بن الجنيد حدثنا الصَّلْتُ بن مسعود حدثنى ابن عيينة قال : أظنني سمعته من داود بن شابور ، عن محمد ابن المنكدر قال : قالت لى أمى وأنا غلام « لا تمازح الغلمان ، فتهونَ عليهم ، أو يجترئوا عليك » .

حدثنا عمرو حدثنا الغَلَّابى حدثنا ابن عائشة حدثنا دريد بن مجاشع عن غالب القطان عن مالك بن دينار قال : قال عمر بن الخطاب « من كثر ضحكه قلَّت هَيْبَته ، ومن مزح استُخِفَّ به ، ومن أكثر من شيء عُرِف به » .

Marfat.com

أنبأنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو الدرداء حدثنا أبو إسحاق الطالقانى عن مُبَشِّر بن إسماعيل عن راشد بن أبى قبال قال « استسقى سعيد بن جبير ، فأتيته بسويق مُحَلًّى ، فقال : ياراشد شَكَر أزْدَسْت شيرين » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من مازح رجلا من غير جنسه هان عليه واجترأ عليه ، وإن كان المزاح حقا ، لأن كل شىء لايجب أن يسلك به غير مَسْلكه ، ولا يظهر إلا عند أهله .

على أنى أكره استعمال المزاح بحضرة العام ، كما أكره تركه عند حضور الأشكال .

ولقد أخبرنا كامل بن مكرَّم حدثنا ربيعة بن الحارث الجيلانى حدثنا عبدالله ابن عبد الجبار الجابرى قال : قال أبو عبد الرحمن الأعرج « كان إبراهيم بن أدهم يحدثنا ويضاحكنا ، وإذا رأى غيرنا قال : هذا جاسوس » .

* * *

ذكر استحباب الاعتزال عن الناس عاماً

أنبانا عبد الله بن محمد بن سَلْم[١] - ببيت المقدس - حدثنا عبد الرحمن ابن إبراهيم[٢] حدثنا الوليد[٣] حدثنا الأوزاعى[٤] عن الزهرى عن عطاء[٥] بن يزيد الليثى عن أبى سعيد[٦] الخدرى قال « قيل: يارسول الله ، أى الأعمال أفضل؟

رجال السند :

(١) عبد الله بن محمد بن سلم (١) لم أجد له ترجمة .

(٢) عبد الرحمن بن ابراهيم بن عمرو العثمانى مولاهم الدمشقى ابو سعيد لقبه دحيم ثقة حافظ متقن ١٠/خ د س م .

(٣) الوليد - هو ابن مسلم القرشى مولاهم ابو العباس الدمشقى ثقة ولكنه كثير التدليس والتسوية ٨/ع .

(٤) الأوزاعى - هو عبد الرحمن بن عمرو بن ابى عمرو أبو عمرو الفقيه المشهور ثقة جليل من ٧/ع .

(٥) عطاء بن يزيد الليثى المدنى نزيل الشام ثقة من ٣/ع .

(٦) أبو سعيد الخدرى هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصارى له ولأبيه صحبة مات بالمدينة ٦٥/ع .

تخريج الحديث :

واخرجه البخارى فى الجهاد ٦/٦ وفى الرقاق ١١/٣٣١ .

واحمد فى مسنده ١٦ ، ٣٧ ، ٥٦ ، ٣/٨٨ - ومسلم فى الامارة ٣٣ - ١٣/٣٥ وابو داود فى الجهاد ٥/٢ والترمذى فى فضائل الجهاد ٤/١٨٦ والنسائى فى الجهاد ٦/١١ وابن ماجه فى الفتن - ٢/١٣١٦ كلهم عن ابى سعيد الخدرى .

واخرجه احمد ايضا ٢٣٧ ، ١/٣١٩ ، ٢/٤٤٣ والنسائى فى كتاب الزكاة ٥/٨٢ والدارمى فى الجهاد من سننه ٢/١٢١ كلهم عن ابن عباس واخرجه احمد ٣/٤٧٧ عن كرز الخزاعى وفى ٤/٢٣٤ عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومالك فى الموطأ كتاب الجهاد ١/٢٩٦ عن عطاء بن يسار مرسلا .

واخرجه غيرهم ..

---

(١) بالأصل : مسلم :

Marfat.com

قال : الجهاد فى سبيل الله ، قال : ثم ماذا ؟ قال : رجل فى شِعْبٍ من الشِّعاب يتقى الله ، ويدعُ الناس من شرِّه » . متفق عليه وكذلك الحاكم .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الاعتزال عن الناس عامًّا مع توقى مخالطتهم ؛ إذ الاعتزال من الناس لو لم يكن فيه خَصْلة تُحمد إلا السلامة من مقارفة المأثم لكان حقيقاً بالمرء ألا يُكَدِّر وجود السلامة بلزوم السبب المؤدى إلى المناقشة .

ولقد أخبرنى الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى : أنبأنا عبد الله ، أخبرنا شعبة عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص عن عاصم عن عمر بن الخطاب قال : « خذوا بحظِّكم من العزلة » .

أنبأنا عمرو بن سعيد بن سنان الطائى حدثنا حامد بن يحيى البلخى قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول « رأيت الثورى فى المنام ، فقلت له : أوصنى ، فقال : أقِلَّ معرفة الناس ، أقل معرفة الناس ، أقل معرفة الناس » .

أنبأنا القطان بالرَّقَّة حدثنا المروزى قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : « رأيت ابن السمَّاك يكتب إلى أخ له : إن استطعت ألا تكون لغير الله عبداً ما وجدت من العبودية بُدًّا ، فافعل » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لايستعبد نفسه لأمثاله بالقيام فى رعاية حقوقهم ، والتصبر على ورود الأذى منهم ، ما وجد إلى ترك الدخول فيه سبيلا ، لأنه إذا حسم عن نفسه ترك الاختلاط بالعالم ، والمخالطة بهم تمكَّن من صفاء القلب ، وعدم تكاثر الأوقات فى الطاعات .

ولقد استعمل العُزْلة جماعة من المتقدمين مع العام والخاص معاً .

كما أخبرنا محمد بن إبراهيم الخالدى حدثنا داود بن أحمد بن سليمان الدمياطى حدثنا عبد الرحمن بن عفان قال : سمعت ابن المبارك يقول « عادَ فُضَيلٌ داودَ الطائى فأغلق داودُ الباب ، وجلس فضيل خارج الباب يبكى ، وداود داخل البيت يبكى » .

أنبأنا الحسين بن محمد السنجى حدثنا على بن المنذر حدثنا الحسن بن مالك قال : سمعت بكر بن محمد العابد يقول : قال لى داود الطائى « يا بكر ، استوحش من الناس كما تستوحش من السبع » .

أنبأنا محمد بن أحمد بن الفرج البغدادى بالأُبلة حدثنا إبراهيم بن حماد بن زياد حدثنا عبد العزيز بن الخطاب قال « رُئى إلى جنب مالك بن دينار كلب عظيم ضخم أسود رابض ، فقيل له : يا أبا يحيى ، ألا ترى هذا الكلب إلى جنبك ؟ قال : هذا خير من جليس السوء » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الذى ذهب إليه داود الطائى وصُرباؤه من القراء من لزوم الاعتزال من الخاص ، كما يلزمهم ذلك من العامّ — أرادوا بذلك عند رياضة الأنفس على التصبر على الوحدة ، وإيثار ضِدِّ المخالطة على المعاشرة؛ فإن المرء متى لم يأخذ نفسه بترك ما أبيح له فأنا خائف عليه الوقوع فيما حظر عليه .

وأما السبب الذى يوجب الاعتزال عن العالم كافة . فهو ما عرفتهم به من وجود دَفْن الخير ، ونشر الشر ، يدفنون الحسنة ويظهرون السيئة . فإن كان المرء عالماً بَدَّعوه ، وإن كان جاهلا عَيَّروه ، وإن كان فوقهم حسدوه ، وإن كان

Marfat.com

دونهم حَقَّرُوه ، وإن نطق قالوا : مهذار ، وإن سكت قالوا : عَيِيٌّ ، وإن قَدَرَ قالوا : مُقَتَّر ، وإن سمح قالوا : مبذر ، فالنادم فى العواقب المحطوط عن المراتب، من اغتر بقوم هذا نَعْتُهم ، وغره ناس هذه صفتهم .

ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل أخبرنى أحمد بن محمد بن بكر الأنبارى عن داود بن رشيد . قال : حدثنى إبراهيم بن شماس قال : قال لى الأكَّاف حفص ابن حميد صاحب ابن المبارك عمرو « يا إبراهيم ، صحبتُ الناس خمسين سنة ، فلم أجد أحداً ستر لى عورة ، ولا وصلنى إذا قطعته ، ولا أمنْته إذا غضب ، فالاشتغال بهؤلاء حمق كثير » .

وأنشدنى محمد بن المهاجر المعدل لعلى بن حجر السعدى :

زمانك ذا زمانُ دخول بيت ... وحفظٍ للسان ، وخفض صوت
فقد مَرَجَتْ عهود الناس إلا ... أقَلَّهم ، فبادر قبل فَوْتِ
فما يبقى على الأيام شىء ... وما خُلِقَ امرؤ إلا لموت

أخبرنا يعقوب بن إسحاق القاضى حدثنا محمد بن يحيى قال : وفيما قرأت عن نافع عن مالك عن أنس « أنه بلغه عن أبى ذر قال : كان الناسُ وَرَقاً لا شوك فيه ، فهم اليوم شَوْكٌ لا وَرَقَ فيه » .

أنبأنا محمد بن أبى على الحلادى حدثنا جنيد بن حكيم الدقاق حدثنا سليمان ابن أبى شيخ قال : كان القحْذَمى ينشد كثيراً :

ذَهَبَ الحُسنُ والجمال من النـــاس ، ومات الذين كانوا مِلاحا
وبَقِىَ الأسمجون من كل صِنف ... إن فى الموت من أولئك راحا

Marfat.com

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يعلم أن البشر مجبولون على أخلاق متباينة ، وشيم مختلفة ، فكل واحد يحب اتباع مساعدته ، وترك مباعدته ، فمتى رام من أخيه ضد ما وطن نفسه عليه قلاه ، وإذا تبين له منه خلاف ما أضمر عليه نابه ملّه ، ومن الملال يكون الاستثقال ، ومن الاستثقال يكون البغض ، ومن البغض تهيج العداوة ، فالاشتغال بمن هذا نعته للعاقل حمق .

ولقد أحسن النّباجى حيث يقول :

أرفُض الناس ، وكلّ مَشْغَلَهْ قد بخل الناس بمثل خَرْدَلَهْ

* لا تسأل النـاس وسَلْ من أنتَ له *

وأنشدنى ابن أبى على قال: أنشدنى محمد بن يعقوب العبدى :

إذا قلت : هذا صاحب قد رضيتُه وقرّتْ به عيناىَ بدّلت آخرا

وذلك : أنى لا أصاحبُ صاحباً من الناس إلا خاننى وتغيّرا

أخبرنا عبد الله بن محمد بن مسلم حدثنا أحمد بن أبى الحوارى حدثنا أبو مسهر عن سعيد بن عبد العزيز قال : قال مكحول « إن كان فى مخالطة الناس خير فالعزلة أسلم » .

أنبأنا على بن سعيد العسكرى حدثنا شعيب بن يحيى حدثنا أحمد النسائى حدثنا يحيى بن عبد الأعلى أن مالك بن دينار كان يقول «من لم يأنس بحديث الله عن حديث المخلوقين فقد قلّ علمه وعَمِيَ قلبه ، وضيع عمره » .

أنبأنا القطان حدثنا أحمد بن أبى الحوارى حدثنا محمد بن روح قال : سمعت إبراهيم البخارى يقول : دخلت المسجد الحرام بعد المغرب ، فإذا فُضيل جالس ، فجئت فجلست إليه ، فقال : من هذا ؟ فقلت : إبراهيم ، قال : ما جاء بك ؟ قلت رأيتك وحدك ، فجلست إليك ، قال : تحب أن تغتاب ، أو تتزين ، أو ترائى ؟ قلت لا ، قال : قم عنى » .

Marfat.com

ذكر استحباب المؤاخاة للمرء مع الخاص

أنبأنا أحمد بن على بن المثنى (١) بالموصل حدثنا قطن (٢) بن نسير حدثنا جعفر (٣) بن سليمان حدثنا ثابت (٤) عن أنس (٥) قال « آخى رسول الله ﷺ بين سلمان وأبى الدرداء، وآخى بين عوف بن مالك وبين الصَّعْب بن جَثَّامة ».

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل ألا يغفُل عن مؤاخاة الإخوان، وإعداده إياهم للنوائب والحدثان، لأن من تَعَزَّى عن موضع سَلْوته بأخيه عند الهموم والغموم، كان عقله إلى التقديح أقرب، ومن النماء أنقص.

ولقد أنبأنا محمد بن المنذر حدثنا الفضل بن عبد الصمد الأصبهانى حدثنا يزيد ابن خالد الرملى حدثنا سهيل أبو عمرو قال : قال محمد بن واسع « لم يبق من العيش

رجال السند :

(١) احمد بن على بن المثنى ـ تقدم .
(٢) قطن بن نسير ابو عباد البصرى صدوق يخطىء ١٠/ م د س .
(٣) جعفر بن سليمان الضبعى ابو سليمان البصرى صدوق يتشيع ٨/نج م عم .
(٤) ثابت بن اسلم البنانى ابو محمد البصرى ثقة عابد من ٤/ع .
(٥) انس تقدم .

تخريج الحديث :

واخرج حديث المؤاخاة بين سلمان وابى الدرداء فقط ، البخارى فى الصوم ٤/٢٠٩ وفى مناقب الانصار ٧/٣٧٠ واما الفقرة الأخيرة فيشهد لها ما أخرجه ابو بكر بن لالا فى كتاب المتحابين عن طريق جعفر بن سليمان عن ثابت قال آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عوف بن مالك والصعب بن جثامة فقال كل منهما للآخر ان مت قبلى فتراء لى . فمات الصعب قبل عوف فتراءى فذكر قصة .

انظر الاصابة لابن حجر ٢/١٧٨ عند ترجمة الصعب .

Marfat.com

إلا ثلاث : الصلاة فى الجماعة ، ترزق فضلها ، وتكفى سهوها . وكفاف من معاش ليست لأحد من الناس عليك فيه مِنَّة ، ولا لله عليك فيه تَبعة . وأخ محسن العشرة إن زُغْتَ قَوَّمكَ » .

أنبأنا عبد الرحمن بن عبد المحسن بجرجان حدثنا محمد بن عبد الله القصار أنبأنا عبد الرزاق عن ابن المقفع قال « ثلاث من اللذات: محادثة الإخوان ، وأكل القَديد وحَكُّ الجرب » .

أنبأنا محمد بن أبى على ، حدثنا محمد بن هريم الشيبانى ، أنشدنا محمد بن حمران الضَّبى :

وما المرء إلا بإخوانه كما تقبض الكفُّ بالمعصَم
ولا خير فى الكَف مقطوعةً ولا خير فى الساعدِ الأجذم

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن لا يعد فى الأدْواء إخاءَ من لم يُواته الضَّراء ، ولم يشاركه فى السراء ، ورُبَّ أخى إخاء خيرٌ من أخى ولادة ، ومن أتمِّ حِفاظ الأُخوة تفقدُ الرجل أمورَ من يوَده .

والوُد الصحيح هو الذى لا يميل إلى نفع ، ولا يفسده منع ، والمودة أمنٌ ، كما أن البغضاء خوف .

والعاقل لا يُؤاخى إلا من خالَفه على الهوى ، وأعانه على الرأى ، ووافق سره علانيته ، لأن خير الإخوان مَنْ لم يناقش ؛ كما أن خير الثناء ما كان على أفواه الأخيار ، والمستوخَمُ لا يُؤلف كما أن غيرَ الثقة لا يُود . فمتى ما آخى المرء من لم يصافِه بالوَفاء يجبُ الاستظهار عليه بمن يُسَلِّيه عنه ، لأن التودد ممن لا يود يُعَد مَلَقًا ، ولا يفوت الإنسانَ فى الأخوة أحدُ رجلين : إما أريب قَصَّر فى حقوقه

Marfat.com

فاختاله بمكار ، وإما جاهل لم يسانه فيؤذيه بسوء معاشرته ، وصيانة الأخوة ليست إلا في الاستغناء عن الإخوان .

ولقد أحسن العباس بن عبيد بن يعيش حيث يقول :

كم من أخ لك لم يلده أبوكا ... وأخ أبوه أبوك قد يجفوكا
صاف الكرام إذا أردت إخاءهم ... واعلم بأن أخا الحفاظ أخوكا
كم إخوة لك لم يلدك أبوهم ... وكذا آباؤهم ولدوكا
لو كنت تحملهم على مكروهة ... تخشى الحتوف بها لما خذلوكا
وأقارب لو أبصروك معلقا ... بنياط قلبك ثم ما نصروكا
الناس ما استغنيت كنت أخاهم ... وإذا افتقرت إليهم فضحوكا

أخبرنا القطان بالرقة حدثنا أحمد بن إسماعيل السني حدثنا عبد الرزاق عن معمر قال : « دخلت على قتادة وأنا ظمآن ، وفي الحجرة حب ماء ، فقلت : أشرب من مائكم هذا ؟ قال : أنت لنا صديق »

قال أحمد : قال عبد الرزاق : يتأول القرآن (أو صديقكم) يقول : لا يستأذن.

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا غسان بن المغيرة البصري حدثنا عمرو الناقد حدثنا ابن عيينة عن أيوب السختياني أنه قال « يزيدني حرصا على الحج لقاء إخواني لا ألقاهم بغير الموسم » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل أن يعلم أن الغرض من المؤاخاة ليس الاجتماع والمؤاكلة والمشاربة ، والشراق يداخلون الرجال على التقارف ، ولا يرادون بها مودة ، ولكن من أسباب المؤاخاة التي يجب على المرء لزومها مشي القصد ، وخفض الصوت ، وقلة الإعجاب ، ولزوم التواضع ، وترك الخلاف .

Marfat.com

ولا يجب للمرء أن يَكثر على إخوانه المؤونات فيبرمهم ، لأن المرضَع إذا كثر مَصُّه ربما ضَجَرت أمه فتلقيه .

ولا ينبغى لمن قدر أن يمنع أخاه شيئاً إليه ليجبر به مصيبته ، أو يفرج به كربته .

والعاقل لا يؤاخى لئيما . لأن اللئيم كالحية الصماء لا يوجد عندها إلا اللدغ والسُّم : ولا يصلُ اللئيم ، ولا يؤاخى إلا عن رغبة أو رهبة ، والكريم يوَد الكريم على نَقْية واحدة ، ولو لم يلتقيا بعدها أبداً .

ولقد أخبرنا محمد بن المنذر حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن يونس حدثنا إسماعيل ابن محمود عن ابن المبارك عن سفيان عن يونس بن عبيد « أنه أصيب بمصيبة فقيل له : ابنُ عوف لم يأتك ؟ فقال : إنا إذا وثقنا بمودة أخينا لم يضره ألا يأتينا » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يتفقد ترك الجفاء مع الإخوان ، ويراعى محوها إن بدت منه ، ولا يجب أن يستضعف الجفوة اليسيرة ، لأن من استصغر الصغير يوشك أن يجمع إليه صغيراً ، فإذا الصغير كبير ، بل يبلغ مجهوده فى مَحْوها ، لأنه لا خير فى الصدق إلا مع الوفاء ، كما لا خير فى الفقه إلا مع الورع ، وإن من أخرَقِ الخرْقِ التماسَ المرء الإخوان بغير وفاء ، وطلب الأجر بالرياء ، ولا شىء أضيع من مودة تمنحُ مَنْ لا وفاء له ، وصنيعة تصطنع عند مَنْ لا يشكرها .

وأنشدنى الخلادى قال : أنشدنى محمد بن محمد البكرى :

احذر مودة ماذِق خَلَط المرارة بالحلاوه
يُحصى الذنوب عليك أيام الصداقة لا عداوه

وأنشدنى محمد بن إبراهيم البصرى ـ بصُورَ ـ لنفسه :

لا يَغرَّنْكَ صـديق أبدا لك فى المنظرَ ، حتى تَخْبُره
كم صديق كنتُ منه فى عَمًى غرَّنى منه زماناً مَنْظَرُه
كان يلقانى بوجه طلق وكلام كاللآلى ينـثره
فإذا فتشته عن غيبـه لم أجد ذاك لودٍّ يُضمره
فدَعِ الإخوان إلا كلَّ من يضمر الود كما قد يظهره
فإذا فزتَ بمن يجمع ذا فاجْعَلَنْهُ لك ذُخْراً تَذْخَره

أنبأنا القطان بالرقة حدثنا هشام بن عمار حدثنا إبراهيم بن موسى المكى عن يحيى بن سعيد الأنصارى عن سعيد بن المسيب قال «وضع عمر بن الخطاب رضى الله عنه للناس ثمانى عشرة كلمة ، كلها حكم ، قال : ما كافأتَ مَن يَعصى الله فيك بمثل أن تطيعَ الله فيه ، وضَعْ أمرَ أخيك على أحسنه ، حتى يأتيك منه ما يغلبك ، ولا تَظُنَّنَّ بكلمة خرجت من مسلم شرًّا ، وأنت تجد لها فى الخير مَحْمَلا . ومن تَعرَّض للتهمة فلا يلومنَّ من أساء به الظن ، ومن كتم سِرَّه كانت الخِيَرة فى يديه ، وعليك بإخوان الصدق فعش فى أكنافهم ، فإنهم زينة فى الرخاء ، وعُدَّة فى البلاء ، وعليك بالصدق وإن قتلك الصدق ، ولا تعرضْ لما لا يَعنيك ، ولا تسأل عما لم يكن . فإن فيما كان شغلا عما لم يكن ، ولا تطلبن حاجتك إلى من لا يحب لك نجاحها ، ولا تصحبَنَّ الفاجر فتتعلم فجورَه ، واعتزل عدوك ، واحذر صديقك إلا الأمين ، ولا أمين إلا من خَشِىَ الله ، وتخشَّعْ عند القول ، وذِلَّ عند الطاعة ، واعتصم عند المعصية ، واستشر فى أمرك الذين يخشون الله ، فإن الله يقول (٣٥ : ٢٨ إنما يخشى الله من عباده العلماء) » .

Marfat.com

قال أبو حاتم رضى الله عنه: العاقل لايؤاخى إلا إذا فضل فى الرأى والدين والعلم والأخلاقِ الحسنة ، ، ذا عقل نشأ مع الصالحين ، لأن صحبة بليد نشأ مع العقلاء خير من صحبة لبيب نشأ مع الجهال .

ورأس المودة الاسترسال ، وآفتها الملالة ، ومن أضاع تعهد الود من إخوانه حرم ثمرة إخائهم ، وآيس الإخوان من نفسه ، ومن ترك الإخوان مخافة تعاهد الود يوشك أن يبقى بغير أخ ، كما أن من ترك نزع الماء إشفاقاً على رشائه يوشك أن يموت عطشاً .

والعاقل يستخبر أمور إخوانه قبل أن يؤاخيهم . ومن أصح الخبرة للمرء وجود حالته بعد هيجان الغضب .

أنبأنا عمرو بن محمد الأنصارى حدثنا الغلابى حدثنا عبد الله بن الضحاك الهدادى حدثنا هشام بن محمد عن عوانة بن الحكم قال : قال لقمان لابنه « يا بنى إذا أردت أن تؤاخى رجلا فأغضبه قبل ذلك ، فإن أنصفك عند غضبه وإلا فدعه » .

أنبأنا محمد بن صالح الطبرى حدثنا أبو هشام الرفاعى حدثنا داود بن يحيى ابن اليمان عن أبيه عن سفيان قال « اصحب من شئت ، ثم أغضبه ، ثم دس إليه من يسأله عنك » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من لم ينصفك عند غضبه لم تودك أيامه ، وليس الصديق كالمرأة يطلقها المرء إذا شاء ، والجارية يبيعها متى أحب ، لكنه عرضه ومروءته ؛ فالتثبت والاتئاد أولى به من التهاجر والانقطاع ، ومن غاب عنه أخوه فلا يغب عما يجب له عليه ، وليكثر منهم عدة للشدائد ؛ لأن الشعر مع دقته إذا جمع

Marfat.com

حمل منه الحبل الغليظ الذى يقهر الفيل المغتلم ، ولا يصلح أن يكون رفيقاً من لم يزدرد ريقاً .

وأنشدنى الخلادى قال: أنشدنى محمد بن محمد البكرى لصالح بن عبد القدوس :

إذا كان ودّ المـرء ليس بزائد ... على «مرحباً» أو «كيف أنت؟» وحالكا
أو القولِ « إنى وامق لك ، حافظ » ... وأفعاله تُبدى لنا غير ذلكا
ولم يك إلا كاشِراً أو محدثا ... فأفٍّ لودٍّ ليس إلا كذلكا
ولكن إخاء المرء من كان دائما ... لذى الودِّ منه حيثما كان سالكا

أخبرنا أبو يعلى حدثنا على بن الجعد حدثنا سفيان الثورى عن شعبة قال: خرج عبد الله بن مسعود على أصحابه وقال « أنتم جِلاء حزنى » .

أخبرنى محمد بن سعيد القزاز حدثنا هلال بن العلاء حدثنا إسحاق بن الضيف عن شيبة بن أبى مسهر عن الحكم بن هشام قال خالد بن صفوان « لم يبق من لذات الدنيا إلا ثلاث : مجالسة النسوان ، وشَمُّ الوِلدان ، ولُقى الإخوان » .

حدثنا محمد بن المنذر حدثنا مسعدة بن حازم المصرى حدثنا خالى هارون ابن سعيد حدثنا خالد بن نزار حدثنا سفيان عن موسى بن عقبة قال « إن كنت لَأَلْقَى الأخ من إخوانى فأكون بُلقيِّه عافلا أياماً » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه: قد ذكرت ما يشاكل هذه الحكايات فى كتاب « مراعاة العِشْرَة » فأغنى ذلك عن تكرارها فى هذا الكتاب .

فالواجب على العاقل أن يعلم أنه ليس من السرور شىء يَعْدل صحبة الإخوان ، ولا غَمٌّ يعدل فقدهم ، ثم يتوقى جَهْدَهُ مُفاسدَةَ مَنْ صافاه ، ولا يسترسل إليه فيما يَشينه ، وخير الإخوان مَنْ إذا عَظَّمْته صانك ، ولا يعيب أخاه على الزَّلة ؛ فإنه

Marfat.com

شريكه فى الطبيعة ، بل يصفح ، ويتنكب محاسدة الإخوان ؛ لأن الحسد للصديق مِن سَقَم المودة كما أن الجود بالمودَّة أعظم البذل ، لأنه لايظهر ود صحيح من قلب سقيم ، وليحذر المرء فى إخائه ألمَ التَّثقيل على أخيه ؛ لأن من ثقل على صديقه خف على عدوه ، وإن من أعظم المعونة على تسلية الهم الرضا بالقضاء ، ولُقى الإخوان .

أنبأنا محمد بن هلال العقبى حدثنى يونس بن إبراهيم العزى حدثنا إبراهيم ابن عبد الله العدَنى عن سفيان أنه قيل له « ماماء العيش ؟ قال : لقاء الإخوان » .

حدثنا القطان حدثنا أحمد بن أبى الحوارى حدثنا المسيب بن واضح عن ابن المبارك قال : قال سفيان : « لربما لقيتُ الأخ من إخوانى ، فأقيم شهراً عاقلا بلقائه » .

وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

استكثرنَّ من الإخوان إنهمُ ... خير لكانزهم كنزاً من الذهب
كم مِنْ أخ لك لو نابتك نائبة ... وجدته لك خيراً من أخى النسب

وأنشدنى الكريزى :

من خير ما حُزْته وُدّ لذى كرم ... يجزيك ماعشت بالإحسان إحسانا
تلقى بَشَاشته فى قربه ، وإذا ... أنَالَ نَالكَ منه البر ما كانا

أنبأنا القطان حدثنا أحمد بن أبى الحوارى قال: سمعت أبا سليمان يقول « كنت أنظر إلى أخ من إخوانى بالعراق ، فأعمل على رؤيته شهراً » .

حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مسلم بن عبيد أبو فراس

Marfat.com

قال : قال ربيعة « المروءة مروءتان : فللسفر مروءة ، وللحضر مروءة ؛ فأما مروءة السفر : فبذل الزاد ؛ وقلة الخلاف على أصحابك ، وكثرة المزاح فى غير مساخط الله ، وأما مروءة الحضر : فالإدمان إلى المساجد ، وكثرة الإخوان فى الله ، وتلاوة القرآن » .

* * *

Marfat.com

ذكر كراهية المعاداة للناس

أنبأنا محمد بن عبد الله بن عبد السلام (١) ـ ببيروت ـ حدثنا محمد بن محمد ابن مصعب(٢) وحدثنى ابن المبارك(٣) عن عمرو(٤) بن واقد عن إسماعيل(٥) ابن عبيد الله عن أم الدرداء(٦) عن أبى الدرداء(٧) عن النبى ﷺ قال « أول شىء نهانى عنه ربى ـ بعد عبادة الأوثان ـ لعنُ الخمير ، ومُلَاحاة الرجال » . الطبرانى فى الكبير قال صاحب كنز العمال ضعيف جداً .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يعلم أن من يَوَدُّه لم يحسده ، ومن لم يحسده لم يعاده ؛ فيكون للعدو المكاتم أشدَّ حَذراً منه للعدو المبارز ، ومن وجد عنده مفترًا ، وكان ممن لايعفو ، ثم لاينتصف منه ؛ أصابته

رجال السند :

(١) محمد بن عبد الله بن عبد السلام ـ بن ابى أيوب البيروتى وثقه الذهبى فى تذكرة الحفاظ ٨١٤/٣ .

(٢) محمد بن محمد بن مصعب الصورى لقبه وحشى صدوق ١١/دس

(٣) تقدمت ترجمته .

(٤) عمرو بن واقد الدمشقى ابو حفص مولى قريش متروك من ٦/وق

(٥) اسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر المخزومى مولاهم الدمشقى أبو عبد الحميد ثقة من ج/خ م د س ق .

(٦) ام الدرداء ـ هى هجيمة وقيل جهيمة الاوصابية الدمشقية وهى الصغرى ثقة فقيهة ٣/ع .

(٧) أبو الدرداء ـ هو عويمر بن زيد بن قيس الانصارى مشهور بكنيته صحابى جليل مات فى خلافة عثمان /ع .

تخريج الحديث :

واخرجه الطبرانى وفيه عنده يحيى بن المتوكل ضعيف عند الجمهور كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٨/٢٧ .

الندامة ، والرأى إذا كان من الأريب كان أبلغ فى هلاك العدو من العدد الكثير من الجنود ، وترك العداوة على الأحوال كلها أحوط للعاقل من الخوض فى سلوكها .

أنبأنا الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى أخبرنا عبد الله بن هارون هو الأعور عن إسماعيل قال « لاتشترينَّ عداوة رجل بمودة ألف رجل » .

وأنشدنى عمرو بن محمد قال : حدثنا الغلابى، قال : أنشدنى مهدى بن سابق :

تكثر من الإخوان ما اسْطَعْتَ إنهمْ عماد إذا استنجدْتَهمْ وظهور
وليس كثيراً ألفُ خِلٍّ لصاحب وإن عدوًّا واحداً لكثيرُ

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لايجب على العاقل أن يكافىء الشر بمثله ، وأن يتخذ الطعن والشتم على عدوه سلاحاً؛ إذ لايستعان على العدو بمثل إصلاح العيوب، وتحصين العورات ، حتى لايجد العدو إليه سبيلا .

والعاقل لايرحم مَنْ يخافه، ولا يترك إحصاء معائب العدو ، ويتفقد عثراتهم مع السكوت عن ثلبه ، ولا يستضعف عدوًّا بحيلة ؛ فإن من استضعف الأعداء اغتر ، ومن اغتر لم يسلم ، اللهم إلا أن يكون العدو ذليلا فإذا كان كذلك عطف عليه بالإغضاء ؛ لأن العدو الذليل أهلٌ أن يرحم ، كما أن المستجير الخائف أهلٌ أن يؤمن ، والمعاداة للعاقل خير من المصافاة للجاهل .

وأنشدنى الخلادى أنشدنى أحمد بن محمد البكرى :

وَلمن يعادى عاقلًا خيرٌ له من أن يكون له صديق أحمقُ
فارغب بنفسك أن تصادق أحمقاً إن الصديق على الصديق مُصَدَّقُ

Marfat.com

وأنشدنى محمد بن عبد الله بن زنجى البغدادى :

أخْلِقْ بذى الصبر أن يَحظى بحاجته ومدمن القَرْع للأبواب أن يَلِجاَ
أبصر لرجلك قبْلَ الخَطْو موضعها فمن عَلا قُلَّةً عن غِرَّة زلجا

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يبصر موضع خطواته قبل أن يضعها ، ثم يقارب عدوه بعض المقاربة ، لينال حاجته ، ولا يقاربه كل المقاربة فيجترأ عليه ، والعاقل لايعادى ماوجد إلى المحبة سبيلا ، ولا يعادى من ليس له منه بد ، ولا العدوّ الحنِق الذى لا يطاق ؛ فإنه ليس له حيلة إلا الهرب منه ، وحيلةُ السبيل إلى القدرة على العدو وجودُ الغِرَّة فيه ، وأن يرى فيه العدو أنه لايتخذه عدوًا ، ثم يصادق أصدقاءه ، فيدخل بينه وبينهم .

وأحزم الأمور فى أمر العدو : ألا يذكره بسوء إلا عند الفرصة ، وإن من أيسر الظفر بالأعداء اشتغال بعضهم ببعض ، وإن مما يستعين به المرء على عدوه : مجانبة من يباشره ، ويصحب عدوه .

أخبرنى محمد بن سعيد القزاز حدثنى أحمد بن زهير بن حرب قال : سمعت يحيى بن معين يقول : قال ابن السماك « لا تخَفْ ممن تحذر ، ولكن احذر ممن تأمن » .

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

تمنيتُ أن أبقى معافى ، وأن أرى على من يُناوينى تدور الدوائر
فيصبح مخذولًا ، وأمسى سالمًا إلى الله داع بالكفاية ناصرُ

سمعت محمد بن محمود يقول : سمعت على بن خشرم يقول : سمعت الفضل

Marfat.com

ابن موسى الشيبانى يقول كان صياد يصطاد العصافير فى يوم ريح ، قال : فجعلت الرياح تُدخلُ فى عينيه الغبار ، فتذرِفان ، فكلما صاد عصفوراً كسر جناحه وألقاه فى ناموسه . فقال عصفور لصاحبه : ما أرقَّه علينا ، ألا ترى إلى دموع عينيه ؟ فقال له الآخر : لاتنظر إلى دموع عينيه ، ولكن انظر إلى عمل يديه » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يأمن عدوه على كل حال ، إن كان بعيداً لم يأمن مغادرته ، وإن كان قريباً لم يأمن مواثبته ، والعاقل لايخاطر بنفسه فى الانتقام من عدوه ، لأنه إن هلك فى قصده قيل : أضاع نفسه ، وإن ظفر قيل : القضاء فعله .

والمعاداة بعد الخُلْة فاحشة عظيمة ، لاتليق بالعاقل ارتكابها فإن دفعه الوقت إلى ركوبها ترك للصلح موضعاً .

وأنشدنى بعض أهل الأدب لأبى الأعود الدؤلى :

وأَحْبِبْ إذا أحببت حُبًّا مُقارباً ... فإنك لاتدرى : متى أنت نازع ؟
وأبغض إذا أبغضت غيرَ مجانب ... فإنك لاتدرى متى أنت راجع ؟
وكن معدناً للحلم واصْفَحْ عن الأذى ... فإنك راءٍ ما عملت وسامع

وأنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

إذا أنت عاديت امرأً بعد خُلة ... فدع فى غدٍ للعَوْد والصلح موضعا
فإنك إن نابذت مَنْ زَلَّ زَلَّةً ... ظللت وحيداً لم تجد لك مفزعا

أنبأنا محمد بن إسحاق الثقفى حدثنا أبو همام حدثنا ابن وهب أخبرنى يونس ابن يزيد عن ابن شهاب قال « اجتمع مروان بن الحكم وابن الزبير يوماً عند

Marfat.com

عائشة ، فجلسا فى حجرتها وبينها وبينهما الحجاب ، فسألا عائشة شعراً وحديثاً »

ثم قال مروان :

ومن يشإ الرحمن يخفِضْ بقدره وليس لمن لم يرفع الله رافعُ

وقال ابن الزبير :

وفَوِّض إلى الله الأمورَ إذا اعترت وبالله لا بالأقربين تُدافع

وقال مروان :

وداو ضمير القلب بالبِرِّ والتقى ولا يستوى قلبان : قاسٍ وخاشعُ

وقال ابن الزبير :

ولا يستوى عبدان : عبدٌ مكلَّم عُتلٌّ ، لأرحام الأقارب قاطع

وقال مروان :

وعبد يجافى جنبه عن فراشه يبيت يناجى ربه وهو راكع

وقال ابن الزبير :

وللخير أهل يعرفون بهديهم إذا اجتمعت عند الخطوب المجامع

وقال مروان :

وللشر أهل يعرفون بشكلهم تشير إليهم بالفجور الأصابع

قال : فسكت ابن الزبير ، فلم يجب مروان بشىء .

فقالت عائشة : « يا عبد الله ، مالك لم تجب صاحبك ، والله ماسمعتُ تجاوبَ رجلين تجاولا نحو ما تجاولتما فيه أعجب إلىّ من مجاولتكما » .

Marfat.com

قال ابن الزبير : إنى خفت عَولَ القول ، فكففت .

فقالت عائشة : « إن لمروان فى الشعر ماليس لك » .

أنبأنا محمد بن المنذر ، حدثنا عصام بن الفضل الدارى ، حدثنى الزبير بن بكّار عن محمد بن حرب ، قال : قال عبد الله بن حسن لابنه محمد «إياك ومعادَاة الرجال فإنها لا تعدمك مكْر حليم ، أو مباذاة جاهل » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لايُعَادى على الحالات كلها ، لأن العداوة لاتخلو من أن تكون لأحد رجلين : إما حليم لايؤمَنُ مَكْرُه ، أو جاهل لايؤمن شتمه ، ولا يجب على العاقل ـ إذا عادى ـ أن يغُرّه إحسانه إلى عدوه مايرى من سكونه إليه ، فإن الماء وإن أطيل إسخانه ، ليس بمانعه ذلك من إطفاء النار إذا صُبَّ عليها ، ولا يجب أن يعظم عليه حمله عدوّه على عاتقه إذا وثق بحسن عاقبته ، لأن اللين والمكر أنكى فى العدو من الفظاظة والمكابرة . ألا ترى النار مع حرها لاتحرق من الشجر إلا ما ظهر ، والماء مع برده ولينه يستأصلها ، ومجانبة المرء عدوه فى العِشْرة أحدُ الأعوان عليه عند الفرصة .

كما أنبأنا عمرو بن محمد الأنصارى ، حدثنا الغلابى ، حدثنا العتبى عن أبيه قال : قال الأحنف بن قيس « من جالس عدوه حفظ عليه عيوبه » .

وأنشدنى الأبرش :

لاتخافنْ إن رماك عدو ... بعيوب ، إذا تكون بريًّا
إنما العيبُ أن يكون مُحِقًّا ... فى الذى قاله ، ولستَ نقيًّا
فإذا كان كاذباً كنتَ بالصِّدْ ... ق على العائب الكذوب جريًّا
ولقد يُلزِق العدو بجنب المرء عيباً تخالهُ مَكْويًّا

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يغيره إلزاق العدو به العيوبَ والقبائح لأن ذلك لا يكون له وقْعٌ ، ولا لكثرته ثبات ، ولا يلتذ المرء ما كان عدوه باقياً كما لا يجد السقيم طعم النور والطعام حتى يبرأ .

وأشد مكيدة العدو ما يعمل فيك من سبيل مأمنك ، والغالب بالشر مغلوب

إن من أعظم الأعوان على الأعداء تعاهد المرء ولده وعياله وخدمه ، وتوقيه إياهم على المعائب والزلات .

أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا الوليد عن الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير قال : قال سليمان بن داود لابنه « يابنى إذا أردت أن تغيظ عدوك فلا ترفع عن ابنك العصا » .

* * *

Marfat.com

ذكر الحث على صحبة الأخيار ، والزجر عن عشرة الأشرار

حدثنا الحسن بن سفيان النسائى[١] ، حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبرى[٢]، حدثنا أبى[٣] عن شعبة[٤] عن قتادة[٥]، عن أنس[٦] ، عن أبى موسى[٧]، قال : قال رسول الله ﷺ «مثل الجليس الصالح مثل العطار ، إن لم يَنلْك منه أصابك من ريحه ، ومثل جليس السوء مثل القَيْنَ ، إن لم تصبك ناره أصابك شرره » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يلزم صحبة الأخيار ، ويفارق صحبة الأشرار؛ لأن مودّة الأخيار سريعٌ اتصالها ، بطىء انقطاعها . ومَوَدّة الأشرار سريع

رجال السند :

(١) سبقته ترجمته .
(٢) عبيد الله بن معاذ العنبرى ابو عمرو البصرى ثقة حافظ من ١٠/خ م د س .
(٣) معاذ بن معاذ بن نضر بن حسان بن المثنى العنبرى القاظى ثقة متقن ٩/خ .
(٤) شعبة ـ هو ابن الحجاج تقدم .
(٥) قتادة ـ تقدم .
(٦) انس تقدم .
(٧) ابو موسى الاشعرى . هو عبد الله بن قيس صحابى مشهور امره عمر ثم عثمان وهو احد الحكمين بصفين اعطاه الله مزمارا من مزامير آل داود مات سنة ٥٠/ع .

تخريج الحديث :

واخرجه البخارى فى البيع ٤/٣٢٣ وفى الذبائح ٩/٦٦٠ .

ومسلم فى البر ١٦/١٧٨ واحمد فى مسنده ٤٠٤ ـ ٤٠٥ . ٤/٤٠٨ كلهم عن ابى موسى وابو داود فى الادب ٢/٥٥٨ والحاكم فى مستدركه ٤/٢٨٠ عن انس وصححه الحاكم واقره الذهبى . واورده المصنف فى صحيحه ٤٦٩/١ عن ابى موسى . ورجاله ثقات .

Marfat.com

انقطاعها ، بطىء اتصالها . وصحبـــة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار ، ومَنْ خادن الأشرار لم يسلم من الدخول فى جملتهم .

فالواجب على العاقل أن يجتنب أهل الريب ، لئلا يكون مريباً . فكما أن صحبة الأخيار تورث الخير ، كذلك صحبة الأشرار تورث الشر .

وأنشدنى محمد بن عبد الله بن زنجى البغدادى :

عليك بإخـــوان الثقات ؛ فإنهم قليل فصِلْهُم دون من كنت تصحبُ
ونفسك أكرمها وصُنْها ؛ فإنها متى ما تجالس سِفْلة الناس تغضب

سمعت أبا يعلى يقول : سمعت إسحاق بن أبى إسرائيل يقول : سمعت سفيان بن عيينة يقول « من أحب رجلا صالحاً فإنما يحب الله تبارك وتعالى » .

أنبأنا محمد بن أبى على الخلادى ، حدثنا عبد الله بن الصقر السكرى ، حدثنا وهب بن محمد بن منبه البنانى ، قال : سمعت الحارث بن وجيه يقول : سمعت مالك بن دينار يقول « إنك أن تنقل الحجارة مع الأبرار خيرٌ من أن تأكل الخبيص مع الفجار » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لايُدَنِّس عرضه ، ولا يعوِّدُ نفسه أسباب الشر بلزوم صحبة الأشرار ، ولا يُغْضِى عن صيانة عرضه ورياضة نفسه بصحبة الأخيار ، على أن الناسَ عندَ الخبرة يتبين منهم أشياء ضد الظاهر منها .

أنشدنى على بن محمد البسامى :

وقالَ ما احْلَوْلَى كلامُ امرىء ولَانَ إلا كان مُرَّ الفعال
وربما احْلَوْلى كلامُ الفتى وكان محموداً على كل حال
فكلُّ هذا أنت راء إذا تُصَاحِبُ الناس ، وتبلو الرجالْ

Marfat.com

حدثنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحى ، حدثنا نصر بن على ، أنبأنا نوح ابن قيس ، حدثنا حوشب عن الحسن فى قوله (٢٥ : ٦٣ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً) قال « حُلَماء علماء ، صُبُرٌ ثُبُتٌ إن ظُلموا لم يظلموا وإن بُغى عليهم لم يبغوا ، قد براهم الخوف كأنهم القِدَاح » .

أنبأنا حامد بن محمد بن شعيب البلخى ، حدثنا سريج بن يونس ، حدثنا شجاع بن أبى نصر أبو نعيم القارى عن أبى عمرو بن العلاء ، قال « رآنى سعيد ابن جُبير وأنا جالس مع الشباب ، قال: ما يجلسك مع الشباب؟ عليك بالشيوخ » .

أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا أبو أسامة عن سفيان عن أبى المجحّل عن ابن عمران بن حطان عن أبيه قال: قال:قال أبو الدرداء « لصاحبٌ صالح خير من الوحدة ، والوحدة خير من صاحب السوء ، ومملى الخير خير من الساكت ، والساكت خير من مملى الشر » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لايصاحب الأشرار ؛ لأن صحبة صاحب السوء قطعة من النار ، تُعقب الضغائن ، لايستقيم وده ، ولا يفى بعهده .

وإن من سعادة المرء خصالًا أربعاً : أن تكون زوجته موافقة ، وولده أبراراً وإخوانه صالحين ، وأن يكون رزقه فى بلده .

وكل جليس لايستفيد المرء منه خيراً تكون مجالسة الكلب خيراً من عشرته ، ومن يصحب صاحب السوء لايسلم ، كما أن من يدخل مداخل السوء يتهم .

وما أشبّه صحبة الأشرار إلا بما أنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

فلو كان منه الخير إذ كان شره عتيداً ضربت الخير يوماً مع الشر

ولو كان لاخيراً ولا شر عنده رضيتُ لَعمرى بالكفاف مع الأجر
ولكنه شرٌّ ، ولا خيرَ عنده وليس على شَرٍّ إذا طال من صبر

أخبرنا إسحاق بن إبراهيم القاضى ، حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا ابن عُلية عن يونس عن الحسن قال « أيها الرجل : إن أشد الناس عليك فقداً لرجلٍ إذا فزعت إليه وجدت عنده رأياً ، ووجدت عنده نصيحة ، بينا أنتَ كذلك إذ فقدته ، فالتمست منه خَلَفاً فلم تجده .

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندى ، حدثنا عبد الله بن سليمان ، قال : قال جعفر بن محمد « من كان فيه ثلاث فقد وجب له على الناس أربع : إذا خالطهم لم يظلمهم ، وإذا حَدَّثهم لم يكذبهم ، وإذا وعدهم لم يُخلفهم . وعلى الناس : أن يظهروا عَدْله ، وأن تكمل فيهم مروءته ، وأن يجب عليهم أخوته ، وأن يحرُم عليهم غيبته » .

وأنشدنى محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطى :

اصحب خيار الناس أين لقيتهم خيرُ الصحابة مَنْ يكونُ ظريفاً
والناس مثلُ دراهمٍ مَيَّزتها فرأيت فيها فِضَّة وزُيوفاً

أخبرنا ابن فَحْطبة ، حدثنا عباس بن عبد العظيم ، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، حدثنا عبد الصمد بن معقل . أنه سمع وهباً يقول « إن الله ليحفظ بالعبد الصالح القبيلَ من الناس » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يستعيذ بالله من صحبة من إذا ذكر الله لم يُعِنه ، وإن نسى لم يذكّره ، وإن غَفَل حرضه على ترك الذكر . ومن كان أصدقاؤه أشراراً كان هو شرهم ، وكما أن الخيّر لا يصحب إلا البَرَرَة ،

Marfat.com

كذلك الردىّ لا يصحب إلا الفجَرة ؛ فإن المرء إذا اضطره الأمر فليصحب أهل المروءات ، لأن محمد بن عثمان العقبى قال حدثنا أحمد بن داود البصرى ، حدثنا ابن عائشة قال : قال عبد الواحد بن زيد « جالسوا أهل الدين من أهل الدنيا ولا تجالسوا غيرهم ، فإن كنتم لا بُدّ فاعلين ، فجالسوا أهل المروءات ؛ فإنهم لا يَرْفُثون فى مجالسهم » .

* * *

ذكر كراهية التلون فى الوداد بين المتآخيين

أنبأنا محمد بن الحسن بن قتيبة (١) بعَسْقَلاَن ، حدثنا إبراهيم (٢) الحورانى ، حدثنا بكار (٣) بن شعيب ، حدثنا ابن أبى (٤) حازم عن أبيه (٥) عن سهل (٦) ، قال: قال رسول الله ﷺ « لاخير فى صُحبة من لايَرى لك من الحق مثلَ ماترى له».

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل إذا رزقه الله وُدَّ امرىء

رجال السند :

(١) محمد بن الحسن بن قتيبة تقدم .

(٢) ابراهيم ، هو ابن عبد العزيز بن مروان بن شجاع الحرانى صدوق من ١١ / س .

(٣) بكار بن شعيب دمشقى . قال ابن حبان يروى عن الثقات ما ليس من حديثهم لا يجوز الاحتجاج به ـ اللسان لابن حجر .

(٤) ابن أبى حازم ـ هو عبد العزيز بن سلمة بن دينار المدنى صدوق فقيه من ٨/ع .

(٥) والده ـ هو سلمة بن دينار ابو حازم الأعرج الثمار المدنى القاظى ثقة عابد من ٥/ع .

(٦) سهل بن سعد بن مالك بن خالد الانصارى الخزرجى الساعدى ابو العباس له ولأبيه صحبة مشهور /ع .

تخريج الحديث :

قال فى لسان الميزان . قال ابن حبان : بكار ، يروى عن الثقات ما ليس من حديثهم ولا يجوز الاحتجاج به ثم اورد له جملة احاديث هذا منها استنكرها عيله ، وكذلك الجوزجانى واورده الصنعانى فى الموضوعات رقم ١٥٥ بتحقيقى مخطوط ومنه نقله الشوكانى فى موضوعاته ص ٢٦٠ رقم الحديث ١٤٧ واقره على انه موضوع .

واخرجه ابو نعيم فى الحلية ٢٥/١٠ من طريق بكار هذا .

Marfat.com

مسلم صحيح الوداد محافظ عليه : أن يتمسك به ، ثم يوطن نفسه على صلته إن صَرَمه ، وعلى الإقبال عليه إن صَدَّ عنه ، وعلى البَذْلِ له إن حَرمه ، وعلى الدنو منه إن باعده ، حتى كأنه ركن من أركانه ، وإن من أعظم عيب المرء تلونه فى الوداد .

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

وكم من صديق وُدُّه بلسانه خؤون بظهر الغيب لايتندَّم
يضاحكنى كُرهاً لكيما أوَدُّه وتَتْبَعُنى منه إذا غبتُ أسهمُ

أخبرنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنى ابن أبى شيبة ، قال : قال الأصمعى : قال رجل من الأعراب « من أعجز الناسِ من قَصَّر عن طلب الإخوان ، وأعجز منه : من ظفر بذلك منهم فأضاع مودتهم ، وإنما يحسن الاختيار لغيره من أحسن الاختيار لنفسه » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لايقصر فى تعاهد الوداد ، ولا يكون ذا لونين ، وذا قلبين ، بل يوافق سِرُّه علانيته ، وقوله فعله ، ولاخير فى متآخيين ينمو بينهما الخلل ، ويزيد فى حاليهما الدغل .

كما أنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

لحا الله من لاينفعُ الودُّ عنده ومَنْ حَبْله إن مُدَّ غيرُ متين
ومن هو ذو لونين ليس بدائم على الوصل خَوَّانٌ لكلِّ أمين
ومن هو ذو قلبين ، أما لقاؤه فحُلوٌ ، وأما غيبه فظنين
ومن هو إن تُحْدِثْ له العينُ نظرةً يُقَطِّعُ بها أسباب كُلِّ قَرين

وأنشدنى عمرو بن محمد النسائى لابن الأعرابى :

العين تبدى الذى فى نفس صاحبها من الشَّناءة ، أو وُدٍّ إذا كانا

Marfat.com

إن البغيض له عين يصد بها ... لا يستطيع لما فى الصدر كتمانا
العين تنطق والأفواه ساكنة ... حتى ترى من ضميرِ القلب تِبيانا

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

وجارٍ لاتزالُ تزور منه ... قوارصُ لاتَنام ولا تُنيم
قريب الدار نائى الودِّ منه ... معاندةً ، أبت لاتستقيم
يبادر بالسلام إذا التقينا ... وتحت ضلوعِه قلب سقيم

أنبأنا محمد بن أبى على الحلادى ، حدثنا أحمد بن محمد بن بكر الأبناوى عن هشام بن عبد الملك اليَزَنى ، قال : المقنَّع الكندى :

ابلُ الرجال إذا أردت إخاءهم ... وتوسمنَّ أمورهم وتَفَقَّدِ
فإذا ظفرت بذى اللُّبابة والتقى ... فيه اليدين قريرَ عينٍ فاشْدُدِ
ومتى يَزِلَّ ، ولا محالة ، زلةً ... فعلى أخيك بفضل رأيك فاردد
وإذا الخنا نَهض الحُبى فى موضع ... ورأيت أهل الطيش قاموا فاقْعُدِ

أخبرنا عبدالله بن قُحْطبة، حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا الوليد عن الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير قال : قال سليمان بن داود لابنه « يابنىَّ عليك بالحبيب الأول ، فإن الآخر لا يعدله » .

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا أحمد بن بكر بن سيف ، حدثنى محمد ابن حسين قال « كان أعرابى بالكوفة ، وكان له صديق ، وكان يظهر له مودة ونصيحة ، فاتخذه الأعرابى من عُدده للشدائد إذ حَزَب الأعرابى أمر ، فأتاه ، فوجده بعيداً مما كان يظهر للأعرابى ، فأنشأ يقول :

إذا كان وُدّ المرء ليس بزائد ... على «مرحباً» أو «كيف أنت» وحالكا

Marfat.com

ولم يك إلا كاشرا ، أو محدثا فأف لود ، ليس إلا كذلكا
لسانك معسولٌ ونفسك بَثَّـة وعند الثريا من صديقك مالُكا
وأنت إذا هَمَّت يمينك مَرَّة لتفعل خيراً ، قاتلتها شمالكا

سمعت محمد بن المنذر يقول : سمعت عبد العزيز بن عبد الله يقول : قال محمد ابن حازم :

وإن من الإخوانِ إخوانَ كَشرةٍ وإخوان «حيَّاك الإله»، و«مرحبا»
وإخوان : كيف الحالُ والأهل كله؟ وذلك لا يسوى نقيراً مترّبا
جواد إذا استغنيت عنه بماله يقول: إلىَّ القرض، والقرضَ فاطلُبا
فإن أنت حاولت الذى خَلْفَ ظهره وجدتَ الثريا منه فى البعد أقربا

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لايصادق المتلون ، ولا يؤاخى المتقلب ، ولا يظهر من الوداد إلا مثل مايضمر ، ولا يضمر إلا فوق مايظهر ، ولا يكون فى النوائب عند القيام بها إلا ككونه قبل إحداثها والدخول فيها ، لأنه لايحمد من الإخاء مالم يكن كذلك .

وأنشدنى محمد بن المنذر ، وأنشدنى محمد بن خلف التيمى ، أنشدنى رجل من خزاعة :

وليس أخى من وَدَّنى بلسانه ولكن أخى من وَدَّنى فى النوائب
ومن مالُه مالى ، إذا كنتُ معدِما ومالى له ، إن عَضَّ دهر بغارب
فلا تحمدنْ عند الرخاء مؤاخياً فقد تُنكر الإخوانُ عند المصائب
وما هو إلا كيف أنت ومرحبا وبالبيض زَوَّاغ كرَوْغ الثعالب

أخبرنا ابن قحطبة ، حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا أبو معاوية عن هشام

Marfat.com

ابن عروة عن أبيه قال : مكتوب فى الحكمة « أحبب خليلك وخليل أبيك » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أعظم الأمارات على معرفة صحة الوداد وسقمه : ملاحظة العين إذا لَحَظَتْ ، فإنها لاتكاد تبدى إلا ما يضمر القلب من الود ، ولا يكاد يخفى مايجنه الضمير من الصد ، فالعاقل يعتبر الود بقلبه وعين أخيه ويجعل له بينهما مسلكا لايرده عن معرفة صحته شىء تخيله .

ولقد أخبرنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلى ، حدثنا على بن محمد المذهبى عن محمد بن إبراهيم العباسى عن عبد الله بن الحجاج مولى المهدى وعن إبراهيم بن شكلة قال « اعلم أن من أظهر ماتحب أو ما تكره فإنما لك أن تقيس ما أضمر قلبه بالذى أظهر لسانه ، وليس لك أن تعرف ما أسر ضميره ، فعامله على نحو ما يبدى لك لسانه » وفى ذلك أقول :

ليس المسىء إذا تغيب سوؤه ... عنى بمنزلة المسىء المعلنِ
من كان يظهر ما أحبُّ فإنه ... عندى بمنزلة الأمين المحسن
والله أعلمُ بالقلوب ، وإنما ... لك ما بدا لك منهمُ بالألسن
ولقد يقال خلافُ ذلك إنما ... لك ما بدا لك منهمُ بالأعين

غير أن خالى خالفنى فى ذلك ، وزعم أن الأعين أبين شهادة على مافى القلوب من الألسن . وكتب فى ذلك رسالة « أما بعد ، فقد بدا لى من صدك ، ما آيسنى من ودك ، ولم يزل يخبرنى لحظك ما تضمر لى من بغضك ». وكتب فى أسفل ذلك:

وما أحب إذا أحببت مكتتما ... يبدى العداوة أحياناً ويخفيها
تظل فى قلبه البغضاءُ كامنة ... فالقلب يكتُمها والعين تبديها

والنفس تعرف فى عينى مُحَـــدِّثِها مَنْ كان من سِلْمها أو من أعاديها
عيناك قد دلتا عينىَّ منك على أشياء لولاهما ما كنت أدريها

أخبرنا الخلادى ، حدثنا أحمد بن محمد الصوفى، حدثنا محمد بن صالح البغدادى قال : سمعت إبراهيم الحجنى يقول : « دلائل الحب تعرف فى المحب ، وإن لم ينطق لسانه » .

* * *

Marfat.com

ذكر ائتلاف الناس واختلافهم

أخبرنا عمران بن موسى [١] بن مجاشع السختيانى ، حدثنا عبد الأعلى [٢] ابن حماد النرسى ، حدثنا حماد [٣] بن سلمة عن سهيل [٤] بن أبى صالح [٥] عن أبيه عن أبى هريرة [٦] قال : قال رسول الله ﷺ : « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » .

حدثنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان الثورى عن حبيب

رجال السند :

(١) سبقت ترجمته .

(٢) عبد الاعلى بن حماد النرسى الباهلى مولاهم البصرى ابو يحيى لا بأس به من ١٠/خ م د س .

(٣) حماد بن سلمة بن دينار البصرى ابو سلمة ثقة عابد انبت الناس فى ثابت يقر حفظه بآخره من كبار ١٠/خت م عم .

(٤) سهيل بن ابى صالح ذكوان السمان أبو يزيد المدنى صدوق نقير حفظه بآخره قرنه البخارى بغيره ٦/ع .

(٥) ابو صالح ــ هو ذكوان السمان الزيات المدنى ثقة ثبت كان يجلب الزيت الى الكوفة من ٤/ع .

(٦) أبو هريرة ــ تقدم .

تخريج الحديث :

واخرجه البخارى فى كتاب الانبياء من صحيحه ٦/٣٦٩ وفى الادب المفرد رقم ٩٠٠ عن عائشة رضى الله عنها . ومسلم فى البر ١٦/١٨٥ واحمد فى مسنده ٢٩٥ ، ٢/٥٢٧ وابو داود فى الأدب ٢/٥٥٩ والخطيب فى تاريخه ٣/٣٢٩ ، ٥/٣٥٢ عن أبى هريرة رضى الله عنه .

وابو نعيم فى الحلية ١/١٩٨ عن سلمان ، و ٤/١١٠ عن على رضى الله عنه و ٥/٦٧ عن أبى الطفيل .

ابن أبى ثابت عن أبى الطفيل قال : قال على «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : سبب ائتلاف الناس وافتراقهم ـ بعد القضاء السابق ـ هو تعارف الروحين ، وتناكر الروحين ، فإذا تعارف الروحان وجدت الألفة بين نفسيهما ، وإذا تناكر الروحان وجدت الفرقة بين جسميهما .

ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن عبد الله بن مهران ، حدثنا يوسف ابن يعقوب الصفار ، حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبى يحيى عن مجاهد قال : رأى ابن عباس رجلا فقال « إن هذا ليحبنى ، قالوا : وما علمك ؟ قال : إنى لأحبه ، والأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » .

أنشدنى محمد بن أبى على الخلادى ، أنشدنى أحمد بن محمد بن بكر الأبناوى :

إن القلوب لأجناد مجنـدة ... لله فى الأرض بالأهـواء تعترف
فما تعارف منها فهو مؤتلف ... وما تناكر منها فهو مختلف

أنبأنا ابن مكرم بالبصرة، حدثنا بشر بن الوليد، حدثنا الحكم بن عبد الملك عن قتادة فى قول الله تعالى (١١: ١٢٠ إلا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم) قال: للرحمة والطاعة، فأما أهل طاعة الله فقلوبهم وأهواؤهم مجتمعة، وإن تفرقت ديارهم، وأهل معصية الله قلوبهم مختلفة ، وإن اجتمعت ديارهم .

وأنشدنى منصور بن محمد الكرنزى :

فما تبصر العينان والقلب آلف ... ولا القلب والعينان منطبقان
ولكن هما روحان تعرض ذى لذى ... فيعرف هـذا ذى فيلتقيان

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أعظم الدلائل على معرفة ما فيه المرء من

تقلبه وسكونه : هو الاعتبار بمن يحادثه ويوده ، لأن المرء على دين خليله ، وطير السماء على أشكالها تقع .

وما رأيت شيئاً أدل على شيء ، ولا الدخان على النار ، مثل الصاحب على الصاحب . وأنشدنى الأبرش :

يقاس المرء بالمرء إذا ما هو ماشاه
وذو القُرِّ إذا احتك ذا الصحة أعداه
وللشيء من الشيء مقاييس وأشباه
وللروح على الروح دليل حين يلقاه

حدثنا أبو خليفة، حدثنا محمد بن كثير العبدى، أنبأنا سفيان عن أبى إسحاق عن هبيرة ، قال : اعتبِر الناس بأخدانهم .

أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن موسى الأخبارى ، حدثنا محمد بن صالح العلوى ، حدثنا الحسين بن جعفر بن سليمان الضبعى قال : سمعت أبى يقول: سمعت مالكا يقول « الناس أشكال كأجناس الطير، الحمام مع الحمام، والغراب مع الغراب والبط مع البط ، والصَّعْو مع الصَّعْو . وكل إنسان مع شكله » .

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

يزين الفتى فى قومه ويشينه وفى غيرهم : أخدانُه ومَداخلُه
لكل امرىء شكلٌ من الناس مثله وكل امرىء يهوى إلى من يشاكله

وأنشدنى محمد بن عبد الله بن زنجى البغدادى :

إن كنتَ حُلْتَ وبى استبدلتَ مُطَّرحاً وُدًّا ، فلم تأت مكروهاً ولا بدَعا
فكلُّ طير إلى الأشكال موقعها والفرع يجرى إلى الأعراق منتزعا

Marfat.com

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يجتنب مماشاة المريب فى نفسه ، ويفارق صحبة المتهم فى دينه ، لأن من صحب قوماً عُرف بهم ، ومن عاشر امرأ نُسب إليه ، والرجل لا يصاحب إلا مثله أو شكله ، فإذا لم يجد المرء بداً من صحبة الناس تحرّى صحبة مَنْ زانه إذا صحبه ، ولم يشنه إذا عرف به ، وإن رأى منه حسنة عَدَّها ، وإن رأى منه سيئة سترها ، وإن سكت عنه ابتدأه ، وإن سأله أعطاه .

فأما اليوم فأكثر أحوال الناس تكون ظواهرها بخلاف بواطنها . وما أشبه عشرتهم إلا بما أخبرنى محمد بن يعقوب البغلانى ، حدثنى عبد الصمد بن الفضل حدثنا الحسين بن سهل التياس عن أبى عبيدة قال « تكلم عصفور فى بنى إسرائيل مع فخٍّ ، فقال العصفور : انحناؤك لماذا ؟ قال : من العبادة . قال : دفنك فى التراب لماذا ؟ قال : من التواضع . قال : فما هذا الشعر ؟ قال : هذا لباسى . قال : ما هذا الطعام ؟ قال : هذا أعددتُه لعابر السبيل . قال : فتأذن لى فيه؟ قال : نعم . قال : فنقر العصفور نَقْرة فأخذ بعنقه، فجعل العصفور يقول : شَغْ شَغْ شَغْ . وقال : والله لايغرنى قارىء بعدك أبداً » .

وأنشدنى محمد بن أبى على لابن أبى اللقيش :

إن كنت تبغى العلم أو نحوَه ... أو شاهداً يخبر عن غائب
فاعتبر الأرض بأسمائها ... واعتبر الصاحب بالصاحب

وأنشدنى محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطى :

تعارَفُ أرواحُ الرجال إذا التقوا ... فمنهم عدو يُتقَى وخليل
كذاك أمور الناس والناس منهمُ ... خفيف إذا صاحبته وثقيل

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

اجعل قرينك مَنْ رضيت فعاله ... واحذر مقارنة القرين الشائن

Marfat.com

كم من قرين شأن لقرينه ومهجنٍ منه لكل محاسن

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من الناس من إذا رآه المرء يعجب به ، فإذا ازداد به علماً ازداد به عجباً ، ومنهم من يبغضه حين يراه ، ثم لايزداد به علماً إلا ازداد له مَقْتاً ،فاتفاقهما يكون باتفاق الروحين قديماً .وافتراقهما يكون بافتراقهما ، وإذا ائتلفا ثم افترقا فِراقَ حياة من غير بُغض حادث ، أو فراقَ ممات ، فهنالك الموت الفظيع ، والأسف الوجيع ، ولا يكون موقف أطولَ غُمَّةً ، وأظهر حسرةً وأدوم كآبةً ، وأشد تأسفاً ، وأكثر تلهفاً من موقف الفراق بين المتواخيين ، وما ذاق ذائق طعماً أمرَّ من فراق الخِلَّين ، وانصرام القرينين .

حدثنا محمد بن يعقوب الخطيب قال : سمعت معمر بن سهل يقول : سمعت جعفر بن عون يقول : سمعت مِسعر بن كدام يقول :

لن يلبث القـــرناء أن يتفرقوا ليـــل يَـكِرُّ عليهمُ ونهـار

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا أبو أحمد بن حماد البربرى ، حدثنا الزبير ابن بكار ، حدثنى محمد بن موسى أبو غزية قال : كان أبو العتاهية إذا قدم المدينة يجلس إلى ، فأراد مرة الخروج فودعنى ، وقال :

إن نَعِشْ نجتمعْ ، وإلا فما أشْغَلَ من مات عن جميع الأنام

حدثنا محمد بن أبى على ، قال : أنشدنا محمد بن موسى السمرى ، أنشدنا أحمد ابن عبد الأعلى الشيبانى :

فياعجباً ممن يَمُدُّ يمينـــه إلى إلفه عند الفراق ،فيسرع

ضعفتُ عن التوديع لما رأيته فصافحته بالقلب ، والعينُ تدمع

Marfat.com

وأنشدنى ابن فياض للبحترى :

الله جارك فى انطلاقك تلقاء شامك ، أو عراقك
لاتعذلنى فى مسيرى حيث سِرْتُ ، ولم ألاقِك
إنى خشيت مواقفا للبين تسفح غرب مائك
وعلمت ما يخشى المودّ ع عند ضَمِّك واعتناقك
فتركت ذاك تعمداً وخرجت أهرب من فراقك

وأنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

أفى كل يوم حَيَّة البين تقرع وعينى لبين من ذوى الود تدمع ؟
فلا النفس من تَهيامِها مستفيقة ولا بالذى يأتى به الدهر تقنع

وأنشدنى محمد بن بنداز بن أصرم :

أيا قلب لاتجزع من البين ، واصطبر فليس لما يُقْضَى عليك بدافع
توكل على الرحمن إن كنت مؤمناً يُجِرك ، ودعنى من نُحوس الطوالع
وكل الذى قد قَدَّر الله واقع ومالم يُقدره فليس بواقع

وأنشدنى عبد الرحمن بن يحيى بن حبيب الأندلسى لنفسه :

نطقت مدامعه بما فى قلبه وعن الجواب لسانه لاينطق
فكأنه مما يقاسى قلبه دَنِفٌ مريض أو أسير مُوثَق
وكأنما الأشجان فى أحشائه لفراق أهل الود نارٌ تحرق
كيف السلو ، وهل له من سلوة مَنْ بان عن أحبابه يتفرّق ؟

قال أبو حاتم رضى الله عنه : السبب المؤدى إلى إظهار الجزع عند فراق المتواخين : هو ترك الرضا بما يوجب القضاء ، ثم ورود الشىء على مضمر الحشا بضد ما انطوى

Marfat.com

عليه قديماً ، فمن وطّنَ نفسه فى ابتداء المعاشرة على ورود ضد الجميل عليها من صحبته ، وتأمل ورود المكروه منه على غفلته ، لايظهر الجزع عند الفراق ، ولا يشكو الأسف والاحتراق ، إلا بمقدار ما يوجب العلم إظهاره .

ولقد أولع بجماعة الفراقُ حتى إنهم خرجوا إلى ثَلْب الطيور ، ومدح الدِّمَنْ وتأولوا لعن نوح عليه السلام الغراب .

أنبأنا جعفر بن أحمد بن سنان القطان ، بواسط ، حدثنا عمرو بن محمد بن عيسى الضبعى ، حدثنا عبد الأعلى بن عبد الأعلى ، حدثنا الجريرى ، عن أبى السّليل عن أبى مراوح قال «بعث نوح الغراب والحمامة حيث استقرت السفينة على الجودِىِّ ، يلتمسان له الجُدَّ - يعنى الأرض - فأما الغراب فرأى جيفة فوقع عليها فأكل منها ، وأما الحمامة فجاءت عاضّةً على غصن شجرة بطين أحمر . قال : فدعا للحمامة بالبركة ، وأما الغراب فلعنه ، وقال له قولا شديداً » .

أنبأنا محمد بن جعفر بن الحسن البغدادى ، حدثنا أحمد بن محمد بن الحسين البغوى ، قال : قال سليم بن منصور « أمرت لُبنَى فاشترى لها أربعة غربان ، فلما رأتهن صرخت وبكت ، وكتفتهن ، وجعلت تضربهن بالسوط حتى قتلتهن جميعاً ، وأنشأت تقول :

لقد نادى الغـراب ببين لُبْنَى ... فطار القلب من حذر الغـرابِ
وقال : غـداً تباين دار لبنى ... وتنأى بعـد ود واقتراب
فقلت : تعِستَ ، ويحك من غراب ... أكُلَّ الدهـر سعيك فى تَباب
لقد أولعت لا لُقّيت خـيراً ... بتفـريق المحب عن الحبـاب

Marfat.com

وأنشدنى إبراهيم بن على الطرفى ، قال : أنشدنى على بن إسحاق :

غراب البين ، ويحكَ صحْ بقربٍ كما قـــد صحت ويحك بالبعاد
تنادى بالتفـــــــرق كل يوم فمالك بالتواصـل لا تنـادى ؟
أرانى الله ريشك عن قـريب تُمرّطه البُزَاة بكل وادى
كما أسخَنْتَ يوم البَيْن عينى وألقيت الحـزازة فى فؤادى

أنبأنا إبراهيم بن محمد بن يعقوب ، بهمذان ، حدثنا عبد الـكبير بن محمد الأنسى ، حدثنا بعض أصحابنا ، قال : مررت بالبصرة على باب دار ، فإذا بصوت غراب يُجْلَد ، فدنوت من الدار فإذا صاحبة الدار ، وبين يديها جوَار ، وهى تأمر بجلده . فقلت : أما تتقون الله فى هذا الغراب ؟ فقلن لى : هذا الغراب الذى قيل فيه :

ألا ياغراب البين قد طِرْتَ بالذى أحاذر من لُبْنَى ، فهل أنت واقع ؟

فقلت : ليس هذا ذاك الغراب : فقالت : والله مانراك تأخذ البرىء بالسقيم حتى تظفرَ بذلك الغراب .

قال أبو حاتم رضى عنه : قد ذكرت ما شاكل هذه الحـكايات والأشعار على التقصى فى كتاب « الوداع والفراق » فأغنى ذلك عن تـكرارها فى هـذا الـكتاب ؛ إذ شرطنا فيه الإشارة إلى الشىء المحصول ، والإيماء إلى الشىء المقول.

* * *

Marfat.com

ذكر الحث على زيارة الإخوان وإكرامهم

أنبأنا الحسن بن سفيان[١]، حدثنا يزيد[٢] بن صالح اليشكرى ، حدثنا حماد ابن سلمة[٣]، عن ثابت[٤] عن أبى رافع[٥] عن أبى هريرة[٦] عن رسول الله ﷺ « أن رجلا زار أخاً له فى قرية، فأرصد الله على مَدْرَجته ملكا فقال : أين تريد ؟ فقال : أريد أخاً لى فى هذه القرية ، فقال : هل له عليك من نعمة تَرُبُّها ؟ قال : لا ، إلا أنى أحبه فى الله ، قال : إنى رسول الله إليك ، إن الله تبارك وتعالى أحَبَّك كما أحببته » . صحيح أخرجه مسلم فى صحيحه .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل تعاهد الزيارة للإخوان وتفقد أحوالهم ؛ لأن الزائر فى قصده الزيارة ، يشتمل على مصادفة معنيين :

أحدهما : استكمال الذخر فى الآجل بفعله ذلك . وقد قال بعض القدماء : إن

رجال السند :

(١) الحسن بن سفيان ــ تقدم .

(٢) يزيد بن صالح البكرى (١) الفراء النيسابورى ابو حاتم وثقه الذهبى فى الميزان واللسان .

(٣) حماد بن سلمة ــ تقدم .

(٤) ثابت ــ تقدم .

(٥) ابو رافع ــ هو : نفيع الصائغ المدنى نزيل البصرة ثقة ثبت مشهور بكنيته من ٢/ع .

(٦) أبو هريرة تقدم .

تخريج الحديث :

واخرجه احمد فى مسنده ٢٩٢ ، ٤٠٨ ، ٤٨٢ ، ٢/٥٠٨ ومسلم فى البر ١٦/١٢٤ . والخطيب فى تاريخه ٣/٤٠٠ ، ١١/٧٦ ، ١٢/٣٧٦ و ١٤/٣١ كلهم عن ابى هريرة .

(١) فى الأصل اليشكرى وهو خطأ مطبعى .

Marfat.com

الرجل إذا زار أخاً له فى الله ، لم يبق فى السماء ملك إلا حياه بتحية مستأنفة لايحييه ملك مثله ولم تبق شجرة من شجر الجنة إلا نادت صاحبتها : ألا إن فلان ابن فلان زار أخاً فى الله .

والآخر : التلذذ بالمؤانسة بالأخ المزور ، مع الانقلاب بغنيمتين معاً .

ولقد أنبأنا عمرو بن محمد الأنصارى ، حدثنا الغلابى ، حدثنا عبدالله بن رجاء الغدانى قال : كان عتبة الغلام يأوى المقابر والصحارى ، ثم يخرج إلى السواحل فيقيم بها ، فإذا كان يوم الجمعة دخل البصرة فشهد الجمعة ورأى إخوانه فسلم عليهم.

حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا عفان ، حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنى بعض مشيختنا ، قال : قال عامر بن قيس : إنما أجدنى آسف على البصرة لأربع خصال : تجاوب مؤذنيها ، وظماء الهواجر ، ولأن بها إخوانى ، ولأن بها وطنى .

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا محمد بن بشر الخطابى ، حدثنا محمد بن سهل التميمى ، قال : سمعت الفريابى يقول : جاءنى وكيع بن الجراح من بيت المقدس وهو محرم بعمرة ، فقال : يا أبا محمد لم يكن طريقى عليك ، ولكنى أحببت أن أزورك وأقيم عندك ، فأقام عندى ليلة ، وجاءنى ابن المبارك وقد أحرم بعمرة من بيت المقدس فأقام عندى ثلاثا ، فقلت : يا أبا عبد الرحمن ، أقم عندى عشرة أيام ، قال : لا ، الضيافة ثلاثة أيام .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الناس فى الزيارة على ضربين :

فمنهم من صحح الحال بينه وبين أخيه ، وتعرى عن وجود الخلل ، وورود البغض فيه ، فإذا كان بهذا النعت ، أحببت له الإكثار من الزيارة ، والإفراط

Marfat.com

فى الاجتماع ؛ لأن الإكثار من الزيارة بين من هذا نعته لايورث الملالة ، والإفراط فى الاجتماع بين من هذه صفته يزيد فى المؤانسة .

والضرب الآخر : لم يستحكم الود بينه وبين من يواخيه ، ولا أداهما الحال إلى ارتفاع الحشمة بينهما فيما يبتذلان لمهنتيهما ، فإذا كان بهذا النعت أحببت له الإقلال من الزيارة . لأن الإكثار منها بينهما يؤدى إلى الملالة ، وكل مبذول مملول ، وكل ممنوع ملذوذ . وقد روى عن النبى ﷺ أخبار كثيرة تصرح بنفى الإكثار من الزيارة حيث يقول « زُرْ غبًّا تَزْدَدْ حُبًّا » إلا أنه لايصح منها خبر من جهة النقل ، فتنكبنا عن ذكرها وإخراجها فى الكتاب ، وإليها ذهب بعض الناس حتى ذكروها فى أشعارهم .

من ذلك ما أنشدنى محمد بن عبد الله بن زنجى البغدادى :

وقد قال النبى ، وكان بَرًّا ... إذا زرت الحبيب فزره غِبًّا
وأقلل زَوْر من تهواه تزدد ... إلى من زرته مقة وحبًّا

وأنشدنى محمد بن أبى على :

إنى رأيتك لى محبا ... وإلىّ حين أغيب صبًّا
فقعدت لا لملالة ... حَدَثَتْ ولا استحدثتُ ذنبا
إلا لقول نبينا : ... زوروا على الأيام غبًّا

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا خالد بن أحمد الشيبانى ، حدثنا سعيد ابن عنبسة ، حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسى ، قال : سمعت الحسن بن صالح يقول : كل مودة لاتزداد إلا بالالتقاء مدخولة .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من صحح الحال بينه وبين الإخوان لم يضره قلة

Marfat.com

الاجتماع ، لاستحكام الحال بينهما ، والمودة إذا أضرّ بها قلة الالتقاء تكون مدخولة ، وأما من لم يحلّ فى نفس صحة الحال ، ولم يستحكم أسباب الوداد ؛ فالتوقّى من الإكثار فى الزيارة أولى به ، لئلا يستثقل ويَمَل .

وأنشدنى الخلادى ، أنشدنى أحمد بن محمد الصيداوى :

عليك بإقلال الزيارة إنها تكون إذا دامت إلى الهجر مَسْلَكا
فإنى رأيت القَطْر يُسْأَم دائبا وَيُسْأَل بالأيدى إذا هو أمسكا

وأنشدنى الكريزى :

أقلل زيارتك الحبيب تكون كالثوب استجدّه
إن الصديق يُمِلُّهُ أن لايزالَ يَراكَ عنده

وأنشدنى أوس بن أحمد بن محمد بن أحمد لأبى تمام :

وطول مُقام المرء فى الحى مخلِقٌ لديباجتيه ، فاغترب تتجدَّدِ
فإنى رأيت الشمس زيدت محبة إلى الخلق إذ ليست عليهم بسرمد

أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أحمد بن زنجويه ، حدثنا حسين بن الوليد ، حدثنا عبد الله بن المؤمل عن ابن أبى مُليكة قال: قال ابن عباس «أكرم الناس علىّ جليسى الذى يتخطى رقاب الناس حتى يجلس إلىّ » .

أنبأنا مكحول ببيروت ، حدثنا عبيد بن محمد بن هارون حدثنا عمرو بن أبى سلمة ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة فى قوله تعالى (٢٦:٤٢ ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال : يشفعون فى إخوانهم (ويزيدهم من فضله) قال يشفعون فى إخوان إخوانهم .

* * *

Marfat.com

ذكر صفة الأحمق والجاهل

أنبأنا محمد بن نصر[١] بن نوفل ، أنبأنا أبو داود السنجى[٢] حدثنا أبو عاصم[٣] عن شبيل[٤] بن عزرة ، عن أنس[٥] بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « مثل الجليس الصالح مثل العطار ، إن لم يعطك شيئاً يُصِبْك من عطره ، ومثل الجليس السوء مثل القَيْن ، إن لم يَحْرِق ثوبك أصابك من دخانه » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : شبيل بن عزرة هذا من أفاضل أهل البصرة وقرائهم ، ولكنه لم يحفظ إسناد هذا الخبر : لأن أنس بن مالك سمع هذا الخبر من أبى موسى عن النبى ﷺ ، فقصر به شبيل ولم يحفظه .

والواجب على العاقل ترك صحبة الأحمق ، ومجانبة معاشرة التَّوْكى ، كما يجب عليه لزوم صحبة العاقل الأريب ، وعشرة الفطن اللبيب ، لأن العاقل وإن لم يصبك

رجال السند :

(١) محمد بن نصر بن نوفل : لم أجده .
(٢) أبو داود السنجى : هو ابن معبد بن كوسجان المروزى ثقة صاحب حديث رجال اديب من ١١/م ت ى .
(٣) أبو عاصم ـ هو الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم الشيبانى النبيل البصرى ثقة ثبت ٩/ع .
(٤) الشبيل بن عزرة بن عمير الضبعى أبو عمرو البصرى النحوى صدوق يهم من ٥/د .
(٥) أنس ـ تقدم .

تخريج الحديث :

قال ابو حاتم بعد اخراجه لهذا الحديث ، شبيل بن عزرة هذا من افاضل اهل البصرة وقرائهم ولكنه لم يحفظ اسناد هذا الخبر : لان انس ابن مالك سمع هذا الخبر من ابى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم . فقصر به شبيل ولم يحفظه ا هـ . وقد سبق هذه الحديث .

الحظ من عقله، أصابك من الاعتبار به، والأحمق إن لم يُعْدِك حمقه تدنست بعشرته.

وقد أنبأنا الحسين بن محمد السنجى حدثنا إبراهيم بن أبى داود البرسلى حدثنا زهير بن عباد حدثنا شهاب بن خراش عن أبيه عن يسير بن عمرو — وكان قد أدرك الصحابة — قال: اهجر الأحمق، فليس للأحمق خير من هجرانه.

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا محمد بن أبى يعقوب الربعى حدثنا أحمد ابن إسحاق الخشاب عن الأصمعى عن سلمة بن بلال قال: كان فتى يعجب علىّ ابن أبى طالب، فرآه يوماً وهو يماشى رجلا متّهماً، فقال له:

لا تصاحب الجاهل إيّاك وإياه
فكم من جاهل أردى حليما حين آخاه
يقاس المرء بالمرء إذا ما هو ماشاه
وللشىء من الشىء مقاييس وأشباه
وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

وأنشدنى عبد العزيز بن سلمان الأبرش:

اختر ذوى التمييز واستبقهم وجانب النَّوْكَىَ وأهْلَ الريب
فصحبة العاقل زين الفتى وصحبة الأنوك أخذ السبب

قال أبو حاتم رضى الله عنه: من علامات الحمق التى يجب للعاقل تفقدها ممن خفى عليه أمره: سرعة الجواب، وترك التثبت، والإفراط فى الضحك، وكثرة الالتفات، والوقيعة فى الأخيار، والاختلاط بالأشرار.

والأحمق إذا أعرضت عنه اغتم، وإن أقبلت عليه اغترّ، وإن حَلُمتَ عنه جهل عليك، وإن جهلت عليه حلم عنك، وإن أسأت إليه أحسن إليك، وإن

Marfat.com

أحسنت إليه أساء إليك ، وإذا ظلمته انتصفت منه ، ويظلمك إذا أنصفته .

وما أشبه عشرة الحمق إلا بما أنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

لى صديق يرى حقوقى عليه ... نافلات وحقه كان فرضا
لو قطعت الجبال طولا إليه ... ثم من بعد طولها سِرت عَرْضا
لرأى ما صنعت غير كبير ... واشتهى أن أزيد فى الأرض أرضا

حدثنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا إبراهيم بن الجنيد قال : قال لى أبو طاهر ابن السرح قال : حدثنى خالى أبو رجاء عبد الرحمن بن عبد الحميد عن سعيد ابن أبى أيوب قال : لاتصاحب صاحب السوء ، فإنه قطعة من النار ، لايستقيم وده ولا يفى بعهده .

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

لن يسمعَ الأحمقُ من واعظ ... فى رفعه الصوت وفى همه
لن تبلغ الأعداء من جاهل ... ما يبلغ الجاهل من نفسه
والحُمْق داء ، ماله حيلة ... تُرجى ، كبعد النجم فى لمسه

قال أبو حاتم رضى الله عنه: أظلم الظلمات الحمق ، كما أن أنفذ البصائر العقل ، فإذا امتحن المرء بعشرة الأحمق كان الواجب عليه اللزوم لأخلاق نفسه ، والمباينة لأخلاقه ، مع الإكثار من الحمد لله على ماوهب له من الانتباه لما حرم غيره من التوفيق له ، فإن جرى الأحمق فى صحبته ميدانه فى عشرته فالواجب على العاقل لزوم السكوت حينئذ فى أوقاته ، لأن أبا حمزة محمد بن عمر بن يوسف أنبأنا بنَسَا حدثنا نصر بن على الجهضمى حدثنا ابن داود قال: سمعت الأعمش يقول : السكوت للأحمق جواب .

Marfat.com

قال أبو حاتم رضى الله عنه: وإن من الحمق مَنْ لا يَصدُّه عن سلوكه السكوت عنه ، ولا يدفعه عن دخول المكامن الإغضاء عنه ولا ينفعه .

فالعاقل إذا امتحن بعشرة من هذا نعته تكلف بعض التجاهل فى الأحايين ؛ لأن بعض الحلم إذعان ، كما أن استعماله فى بعض الحالات قطب العقل .

ولقد أنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

لئن كنت محتاجا إلى العلم إننى ... إلى الجهل فى بعض الأحايين أحوج
ولى فرس للحلم بالحلم مُلجَم ... ولى فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن شاء تقويمى فإنى مقوَّم ... ومن شاء تعويجى فإنى معوج
وما كنت أرضى الجهل خدنا ولا أخا ... ولكننى أرضى به حين أحْرَجُ
فإن قال بعض الناس : فيه سماجة ، ... فقد صدقوا ، والذل بالحر أسمج

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

لن تُرْضِىَ الرَّذْلَ إلا حين تسخطُه ... وليس يسخط إلا حين ترضيه
ولا يسوءك إلا حين تكرمه ... ولا يسرك إلا حين تقصيه

حدثنا أبو يعلى حدثنا سريج بن يونس حدثنا أبو سفيان المعمرى عن سفيان الثورى قال : ابن آدم لم يخلق إلا أحمق ، ولولا ذلك لم ينفعه عيشه .

حدثنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا عصام بن الفضل الرازى ، حدثنا الزبير ابن بكار عن محمد بن حرب قال: قال عبد الله بن حسن لابنه: يابنىّ احذر الجاهل وإن كان لك ناصحاً ، كما تحذر العاقل إذا كان لك عدواً ، فيوشك الجاهل أن يورِّطك بمشورته فى بعض اغترارك ، فيسبق إليك مكر العاقل .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : ومن شيم الأحمق العجلة ، والخفة ، والعجز ،

Marfat.com

والفجور ، والجهل ، والمقت ، والوهن ، والمهابة ، والتعرض ، والتحاسد ، والظلم ، والخيانة ، والغفلة ، والسهو ، والغى ، والفحش ، والفخر ، والخيلاء ، والعدوان ، والبغضاء .

وإن من أعظم أمارات الحمق فى الأحمق لسانه ؛ فإنه يكون قلبه فى طرف لسانه ، ما خطر على قلبه نطق به لسانه .

والأحمق يتكلم فى ساعة بكلام يعجز عنه سَحبان وائل ، ويتكلم فى الساعة الأخرى بكلام لا يعجز عنه بأقل .

والعاقل يجب عليه مجانبة مَنْ هذا نعته ، ومخالطة مَنْ هذا صفته ، فإنهم يجترئون على من عاشرهم . ألا ترى الزَّطَّ ليسوا هم بأشجع الناس ، ولكنهم يجترئون على الأسد لكثرة ما يرونها .

وأنشدنى محمد بن يوسف بن أيوب الأرمنى :

وَلَمَنْ يعادى عاقلا خير له ... من أن يكون له صديق أحمقُ
فارغب بنفسك أن تصادق أحمقا ... إن الصديق على الصديق مصدّق

وأنشدنى منصور بن محمد الكريزى أنشدنى أبى لصالح بن عبد القدوس :

احذر الأحمق أن تصحبه ... إنما الأحمق كالثوب الخلَق
كلما رقَّعتَه من جانب ... حركته الريحُ وَهَناً فانخرق
أو كصَدْع فى زُجاج فاحش ... هل ترى صدع زجاج يلتصق ؟
كحمار السوء إن أنضمته ... رَمَح الناس ، وإن جاع نهق
وإذا جالسته فى مجلس ... أفسد المجلس منه بالخُرُق
وإذا نهنهتَه كى يَرْعَوِى ... زاد شراً ، وتمادى فى الحُمُق

Marfat.com

عجباً للناس فى أرزاقهم ذاك عطشان ، وهذا قد غَرِق

أنبأنا يعقوب بن إسحاق القاضى ، حدثنا أبو هانى عبد الحميد بن عبد الله حدثنا عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال : الأحمق كالثوب الخلق ، إن رقأته من جانب انخرق من جانب آخر ، مثل الفَخَّار المكسور ، لايُرقَّع ولا يُشْعَب ، ولا يعاد طينا .

فهذا مثل الأحمق : إن صحبته عناك، وإن اعتزلته شتمك، وإن أعطاك منّ عليك ، وإن أعطيته كَفَرك، وإن أسَرّ إليك اتهمك، وإن أسررت إليه خانك، وإن كان فوقك حقّرك ، وإن كان دونك غمزك .

وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

اعلم بأنّ من الرجال بهيمة فى صورة الرجل السميع المبصرِ
فطناً بكل مصيبة فى ماله وإذا يصاب بدينه لم يشعر

وأنشدنى محمد بن عبد الله البغدادى :

وإن عناء أن تفهّم جاهلا فيحسبَ جهلًا أنه منك أعلم
وتشخص أبصار الرّعاع تعجباً إليه ، وقالوا : إنه منك أفهم

قال أبو حاتم رضى الله عنه: الأحمق يتوهم أنه أعقل من رُكِّبَ فيه الروح ، وأن الحمق قُسّم على العالم غيره ، والأحمق مُبَغَّض فى الناس ، مجهول فى الدنيا ، غير مرضى العمل ، ولا محمود الأمر عند الله وعند الصالحين ، كما أن العاقل محب إلى الناس ، مُسَوَّد فى الدنيا ، مرضى العمل عند الله فى الآخرة ، وعند الصالحين فى الدنيا .

أنبأنا محمد بن المنذر بن سعيد ، حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندى، حدثنا

Marfat.com

عبد الله بن سليمان ، قال : كان الحسن يقول : أنا للعاقل المدْبِر أرجى منى للأحمق المقبل .

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

وما الغىُّ إلا أن تُصاحبَ غاوياً ... وما الرشد إلا أن تصاحب مَنْ رَشَدْ
ولن يصحَب الإنسانَ إلا نظيرُه ... وإن لم يكونا من قبيل ولا بلد

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

لنا جليس تارك للأدب ... جليسه من نَوْكه فى تعبْ
يغضب جهلا عند حال الرضا ... عمداً، ويرضَى عند حال الغضب
فنحن منه كلما جاءنا ... فى عجب قد جاز حدَّ العجب
كأنه من سوء تأديبه ... أُسْلِمَ فى كتَّاب سوء الأدب

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا محمد بن أبى يعقوب الربعى ، حدثنا عبد الله بن موسى البصرى ، حدثنا العتبى ؛ قال : سمعت أعرابياً يقول : العاقل بخشونة العيش مع العقلاء أسَرُّ منه بلين العيش مع السفهاء .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : وإنَّ من شِيَمِ العاقل: الحلم ، والصمت، والوقار والسكينة والوفاء والبذل ، والحكمة ، والعلم ، والورع والعدل ، والقوة ، والحزم والكياسة ، والتمييز ، والسمت ، والتواضع ، والعفو ، والإغضاء ، والتعفف ، والإحسان، فإذا وفق المرء لصحبة العاقل فليشُدَّ يديه به ولا يزايله على الأحوال كلها.

والواجب على العاقل ألا يصحب بخيلة من لايستفيد منه خيراً .

ولقد أنبأنا محمد بن محمود بن عدى النسوى ، حدثنا على بن سعيد بن جرير ،

Marfat.com

قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : أخبرت عن مالك بن دينار أنه قال : مررت براهب فى صومعته فناديته ، فأشرف علىّ ، فكلمنى وكلمته ، فقال لى فيما يقول : إذا استطعت أن تجعل فيما بينك وبين الدنيا حائطاً فافعل . وإياك وكلّ جليس لاتستفيد منه خيراً فلا تجالسه ، قريباً كان أو بعيداً .

* * *

ذكر الزجر عن التجسس وسوء الظن

حدثنا محمد بن أبي أحمد الرقام[١] بتستر ، حدثنا أبو الخطاب[٢] زياد بن يحيى حدثنا أبو داود[٣] ، حدثنا سليمان[٤] بن حبان عن أبيه[٥] عن أبي هريرة[٦] قال : قال رسول الله ﷺ : « إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا ، ولا تباغضوا ، وكونوا عباد الله إخوانًا».

رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذي وفيه زيادة عن أبي هريرة .

رجال السند :

(١) محمد بن أبي احمد الرقام بتستر . ذكره المعلمي في تعليقه على الاكمال لابن ماكولا وانه في التوضيح لابن ناصر الدين ابن ماكولا ١/٤٣٧ .

(٢) ابو الخطاب زياد بن يحيى بن حسان الحساني النكري البصري ثقة ١٠/ع .

(٣) أبو داود ـ هو الطيالسي ـ سليمان بن داود بن الجارود البصري ثقة حافظ غلط في احاديث ٩/ خت م عم .

(٤) سليم (١) بن حبان بن بسطام ثقة من ٧/خ د ت .

(٥) حبان بن بسطام الهذلي البصري لين الحديث من ٣/ق .

(٦) ابو هريرة تقدم .

تخريج الحديث :

رجاله ثقات الا حبان بن بسطام والد سليم فلين كما في التقريب .

واخرجه البخاري في كتاب النكاح ٩/١٩٨ وفي كتاب الفرائض ص ١٢/٤ وفي كتاب الادب ٤٨١ و ١٠/٣٨٤ من غير طريقه .

ومسلم في كتاب البر ١٦/١١٨ والترمذي في كتاب البر ٤/٣٥٦ ورواه مالك في الموطا باب ما جاء في المهاجرة ٢/٢١٣ واحمد في المسند ٢/٢٣٥ . ٢٨٧ . ٣١٢ . ٣٤٢ . ٤٦٥ . ٤٧٠ . ٤٨٢ . ٤٩٢ . ٥٠٤ . ٥١٧ . ٤/٥٣٩ .

وابو داود في كتاب الادب ٢/٥٧٧ وابو داود الطيالسي في مسنده ٢/٦١ والبخاري في كتاب الادب المفرد رقم ١٢٨٧ ص ٢/٧٠٢ واخرجه غيرهم كلهم عن ابي هريرة .

(١) بالاصل ـ سليمان ؛ والصحيح ما اثبتناه .

Marfat.com

حدثنا محمد بن عثمان العقبي ، حدثنا جعفر بن محمد بن الحجاج الرقي ، حدثنا محمد بن حاتم الجرجرائي ، حدثنا محمد بن المبارك ، عن يونس بن نافع ، عن كثير ابن زياد ، قال : سمعت الحسن يقول : لا تسأل عن عمل أخيك الحسن والسيء ، فإنه من التجسس .

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الواجب على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عن عيوب الناس ، مع الاشتغال بإصلاح عيوب نفسه؛ فإن من اشتغل بعيوبه عن عيوب غيره أراح بدنه ، ولم يتعب قلبه ، فكلما اطلع على عيب لنفسه هان عليه ما يرى مثله من أخيه ، وإن من اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عمى قلبه وتعب بدنه ، وتعذر عليه ترك عيوب نفسه ، وإن من أعجز الناس من عاب الناس بما فيهم وأعجز منه من عابهم بما فيه ، من عاب الناس عابوه ، ولقد أحسن الذي يقول :

إذا أنت عبت الناس عابوا وأكثروا ... عليك ، وأبدوا منك ما كان يُستَرُ
وقد قال في بعض الأقاويل قائل ... له منطق فيه كلام مُحَبَّرُ
إذا ما ذكرت الناس فاترك عيوبهم ... فلا عيب إلا دون ما منك يُذكر
فإن عبت قوماً بالذي ليس فيهم ... فذلك عند الله والناس أكبر
وإن عبت قوماً بالذي فيك مثله ... فكيف يعيب العُورَ من هو أعور ؟
وكيف يعيب الناس من عَيْبُ نفسه ... أشدُّ إذا عدَّ العيوب وأنكر ؟
متى تلتمس للناس عيباً تجد لهم ... عيوباً ، ولكنَّ الذي فيك أكثر
فسالمهمُ بالكفِّ عنهم ، فإنهم ... بعيبك من عينيك أهدى وأبصر

حدثنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا هارون بن صدقة القاضي ، حدثنا سعيد ابن مسلمة الإيادي ، قال : ادعت امرأة على رجل حماراً لها ، فقدمته إلى القاضي ،

Marfat.com

فسألها البينة ، فأحضرت أبا دُلامة ورجلا آخر ، فقال لها القاضى : أما شاهدك هذا فقد قبلنا شهادته ، فأتِنَا بشاهد آخر ، فأتت أبا دلامة فأخبرته ، فصار إلى القاضى وأنشأ يقول :

إن الناس غَطّوا فى تغطيتُ عَنهمُ ... وإن بحثوا عنى ففيهم مباحث
وإن حفروا بئرى حفرت بئارهم ... ليعلم يوماً كيف تلك النبائث ؟

فقال القاضى للمرأة : كم ثمن حمارك ؟ قالت : ثلاثمائة ، قال : قد احتملناها لك من مالى . وأنشدنى الكريزى :

أرى كل إنسان يرى عيب غيره ... ويعمَى عن العيب الذى هو فيه
وما خير مَنْ تخفى عليه عيوبه ... ويبدو له العيب الذى لأخيه

حدثنا محمد بن المنذر ، حدثنا الليث بن عبدة المصرى، حدثنا الحسن بن واقع حدثنا ضمرة عن الشيبانى ، قال : فى الكتب مكتوب: كما تدين تدان، وبالكأس الذى تسقى به تشرب ، وزيادة : لأن البادىء لا بد له من أن يزاد .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : التجسس من شُعب النفاق ، كما أن حسن الظن من شعب الإيمان ، والعاقل يحسن الظن بإخوانه ، وينفرد بغمومه وأحزانه ، كما أن الجاهل يسىء الظن بإخوانه ، ولا يفكر فى جناياته وأشجانه .

ولقد أحسن الذى يقول :

ما يستريحُ المسىء ظناً ... من طول غم، وما يُريحُ
وقلّ وجه يضيق إلا ... ودونه مذهب فسيحُ
مَنْ خَفَّفَ الله عنه هبت ... من كل وجه إليه ريح
والجسم حيث استقر هادٍ ... والروح جَوّالة تسيح

Marfat.com

كمْ نذبح الأرض من بنيها كلُّ بنيها لها ذبيح
لن يهلك المرء من سماح وقلَّما يفلحُ الشَّحيح

قال أبو حاتم رضى الله عنه : سوء الظن على ضربين :

أحدهما : منهى عنه بحكم النبى ﷺ .

والضرب الآخر مستحب .

فأما الذى نهى عنه فهو استعمال سوء الظن بالمسلمين كافة على ماتقدم ذكرنا له .

وأما الذى يستحب من سوء الظن فهو كمن بينه وبينه عداوة أو شحناء فى دين أو دنيا ، يخاف على نفسه مَكْره ، فحينئذ يلزمه سوء الظن بمكائده ومكره لئلا يصادفه على غِرَّة بمكره فيهلكه .

وحسن الظن يحسنُ فى أمور ويمكن فى عواقبه ندامهْ
وسوء الظن يسمُج فى وجوه وفيه من سماجته حزامهْ

وأنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

ما ينبغى لأخى وُدّ وتجربة أن يترك الدهرَ سوءَ الظن بالناس
حتى يكون قريباً فى تباعده عنَّا ، ويدفع ضرَّ الحرص باليأس

حدثنا محمد بن المنذر، حدثنا إبراهيم بن هانىء ، حدثنا ابن أبى مريم، حدثنا أنبأنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن زيد بن أسلم عن عمر بن سعد عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : مكتوب فى التوراة « من تجَر فَجَر ، ومن حفر حفرة سوء لصاحبه وقع فيها » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل مباينة العام فى الأخلاق والأفعال ، بلزوم ترك التجسس عن عيوب الناس ؛ لأن من بحث عن مكنون

Marfat.com

غيره بحث عن مكنون نفسه ، وربما طَمَّ مكنونه على ما بحث من مكنون غيره ، وكيف يَستحسنُ مسلم ثَلْبَ مسلم بالشيء الذى هو فيه ؟ .

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

لا تلتمس من مساوى الناس ما ستروا فيهتكَ الناس ستراً من مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تعِبْ أحداً عيباً بما فيكا

وأنشدنى محمد بن عبد الله بن زنجى البغدادى :

إذا ما اتقيت الأمر من حيثُ يُتقَى وأبصرت ما تأتى ، فأنت لبيبُ
ولا تك كالناهى عن الذنب غيرَهُ وفى كَفِّه مما يُذَمُّ نصيبُ
يعيب فعالَ السوء من فعلِ غيرِهِ ويفعل أفعالَ الذين يعيبُ

حدثنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا محمد بن موسى السمرى ، حدثنا حماد ابن إسحاق بن إبراهيم عن أبيه، قال: وحدثنى عزيز عن الزبير بن موسى المخزومى قال : قالت ابنة عبد الله بن مطيع الأسود ، وهى زوجة طلحة بن عبد الله ابن عوف لزوجها : ما رأيت أحداً قَطّ ألأمَ من أصحابك، قال : مه ، لا تقولى ذاك فيهم ، وما رأيتِ من لؤمهم ؟ قالت : أمراً والله بَيّناً ، قال : وما هو ؟ قالت : إذا أيسرت لزموك ، وإذا أعسرت جانبوك ، قال : ما زدتِ على أن وصفتهم بمكارم الأخلاق ، قالت : وما هذا من مكارم الأخلاق ؟ قال : يأتوننا فى حال القوة منا عليهم ، ويفارقوننا فى حال الضعف منا عليهم .

* * *

Marfat.com

ذكر الحث على مجانبة الحرص للعاقل

حدثنا محمد بن إسحاق [١] بن خزيمة ـ رحمه الله ـ حدثنا بشر [٢] بن معاذ العَقدى حدثنا أبو عوانة [٣] عن قتادة [٤] عن أنس [٥] قال : قال رسول الله ﷺ « يَهرم ابنُ آدم وتشب منه اثنتان : الحرص ، والحسد » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : ركَّب الله جل وعز فى البشر الحرص والرغبة فى الدنيا الفانية، لئلا تخرب ، إذ هى دار الأبرار ، ومكسب الأتقياء، وموضع زاد المؤمنين ، واستجلاب الميرة للصالحين ، ولو تعرى الناس عن الحرص فيها بطلت وخربت ، فلم يجد المرء مايستعين به على أداء فرائض الله ، فضلا عن اكتساب

رجال السند :

(١) محمد بن اسحاق ـ تقدم .

(٢) بشر بن معاذ العقدى ابو سهل البصرى الضرير صدوق من ١٠/ت س ق .

(٣) أبو عوانة ـ هو وضاح بن عبد الله اليشكرى الواسطى البزاز مهشور بكنيته ثقة ثبت له المسند وغيره ٧/ع .

(٤) قتادة ـ تقدم .

(٥) انس ـ تقدم .

تخريج الحديث :

اخرجه مسلم فى كتاب الزكاة ٧/١٣٨ .

واحمد ١١٥ ، ١١٩ ، ١٦٩ ، ١٩٢ ، ٢٥٦ ، ٣/٢٧٥ والترمذى فى الزهد ٤/٥٧٠ وفى صفة القيامة ٤/٦٣٦ وابن ماجه فى الزهد ٢/١٤١٥ وأبو نعيم فى الحلية ٧/٢٦١ ، ٨/١٦٠ والخطيب فى تاريخه ١١/٣٣ كلهم عن انس بن مالك . واخرجه ايضا مسلم فى الزكاة ٧/١٣٨ والترمذى فى الزهد ٤/٥٧٠ عن أبى هريرة . بلفظ قلب الشيخ شاب على حب اثنين حب العيش والمال . واخرجه غير من ذكرنا .

Marfat.com

ما يُجْدِى عليه النفع فى الآخرة نفلا ، والإفراط فى الحرص مذموم ، كما أنشدنى على بن محمد البسامى :

ليس عنـدى إلا الرضا بقضاء اللـــه فيما أحببته أو كرهته
لوْ إلىّ الأمـــور ، أختار منها خـيرها لى عواقباً ما عرفته
ولو أنى حرصت جهـدى أن أد فع أمراً مقـدراً ما دفعته
فأرى أن أردَّ ذاك إلى من عنده عـــلم كلِّ ما قد جهلته

وأنشدنى محمد بن نصر المدينى :

ياكثير الحرص مشغو لا بدنيا ليس تبقى
ما رأيت الحـرص أدنى من حـريص قَطُّ رزقا
لا ، ولـكن فى قضاء اللـــه : أن يعيا ويشقى
تعـرف الحق ، ولـكن لا ترى للحق حقـاً

أنبأنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسى ، حدثنا محمد بن الوليد بن أبان ، حدثنا نعيم بن حماد عن ابن المبارك قال : سخاء الناس عما فى أيدى الناس أكثر من سخاء البذل ، ومروءة القناعة أكثر من مروءة الإعطاء .

أنشدنا أبو يعلى قال : أنشدونا منذ دهر للشافعى :

قـــدرُ الله واقـــعٌ حيث يقضى وزودُه
قـد مضى فيك حكمـه وانقضى ما يريـــده
وأخـو الحرص حـرصه ليس ممـــا يزيده
فأرِدْ ما يكـــون إذ لم يكن ما تريـــده

أنبأنا عبدالله بن عروة حدثنا يعقوب الدورقى حدثنا ابن علية عن أيوب عن ابن سيرين قال : إذا لم يكن ما تريد فأرِدْ ما يكون .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيراً ، وأفقر الفقراء من كان الحرص عليه أميراً ؛ لأن الحرص سبب لإضاعة الموجود عن مواضعه ، والحرص محرمة ، كما أن الجبن مقتلة ، ولو لم يكن الحرص خصلة تذم إلا طول المناقشة بالحساب فى القيامة على ماجمع لكان الواجب على العاقل ترك الإفراط فى الحرص .

وقد كان بعض أصحابنا كثيراً ما ينشد :

تجانب الحرصَ ، ودع عنك الحسد ففيهما الذُّلُّ وإتعابُ الجسد

وأنشدنى الكرزيزى :

وأرّقنى طولُ التفكر إننى عجبت لدهرٍ ما تُقَضَّى عجائبه
فكم عاجز يدعى جليداً لغَشْمه ولو كاف التقوى لكلّت مضاربه
وكم يسمى عاجزاً لعفافه ولولا التُّقَى ما أعجزته مذاهبه
فليس بحرص المرء أدركه الغنى ولا باحتيال أدرك المالَ كاسبه
ولكنه قبضُ الإله وبسطُهُ فلا ذا يجاريه ولا ذا يغالبه

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحرص غير زائد فى الرزق ، وأهون ما يعاقب الحريص بحرصه أن يمنع الاستمتاع بما عنده من محصوله ، فيتعب فى طلب مالا يدرى أيلحقه أم يحول الموت بينه وبينه ؟ ولو لزم الحريص ترك الإفراط فيه واتكل على خالق السماء لأتحفه المولى جل وعز بإدراك مالا يسعى فيه ، والظفر بما لو سعى فيه وهو حريص لتعذر عليه وجوده .

Marfat.com

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

ألا رُبَّ باغٍ حاجةً لا ينالُها وآخرُ قد تُقْضَى له وهو آيس
يحاولها هذا ، وتقضى لغيره وتأتى الذى تقضى له وهو جالس

وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

وكم من أكلة منعت أخاها بلذّة ساعة أكلاتِ دهر
وكم من طالب يسعى لشىء وفيه هلاكُه لو كان يدرى

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحرص علامة الفقر ، كما أن البخل جلباب المسكنة ، والبخل لِقَاحُ الحرص ، كما أن الحميّة لقاح الجهل ، والمنع أخو الحرص ، كما أن الأنفة توأم السفه ، وأنشدنى عمر بن محمد قال : أنشدنى الغلابى :

لا تأتينَّ نذالة لمنالة فليأتينك رزقك المقدور
واعلم بأنك آخذٌ كل الذى لك فى الكتاب مُحَبَّر مسطور
والله ما زاد امرأً فى رزقه حرصٌ ، ولا أزْرَى به التقصير

وأنشدنى محمد بن عبد الله بن زنجى البغدادى :

وارضَ من العيش فى الدنيا بأيسره ولا ترومنّ ما إن رُمتَهُ صَعُبا
إنّ الغنى هو الراضى بعيشته لا مَنْ يظل على ما فات مكتئبا

أنبأنا محمد بن سعيد التزاز حدثنا عبد الله بن يحيى بن حميد الطويل حدثنا أبو عبد الرحمن العتبى حدثنى أبى قال : اختصمت بنو إسرائيل فى القَدَر ، خمسمائة عام ، ثم تحاكموا إلى عالم من علمائهم ، فقالوا له : أخبرنا عن القدر ، وقَصِّر وبيِّن لتفهمه عنك العوام ، فقال : حرمان عاقل ، وحظ جاهل .

قال أبو حاتم رضى الله عنه: لا حَظَّ فى الراحة لمن أطاع الحرص ؛ إذ الحرص سائق البلايا ، فالواجب على العاقل ألا يكون المفرط فى الحرص فى الدنيا ؛

Marfat.com

فيكون مذموماً فى الدارين ، بل يكون قصده لإقامة فرائض الله ، ويكون لبغيته نهاية يرجع إليها ، لأن من لم يكن لقصده [منها] نهاية آذى نفسه وأتعب بدنه . فمن كان بهذا النعت فهو من الحرص الذى يحمد .

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

الحرص عـــونٌ للزمان على الفتى والصبر نعم القـــرنُ للأزمان
لا تخضعَنّ فإن دهرك إن رأى منك الخضوع أمَدَّه بهـــوان
وإذا رآك وقـد قصـدت لصرفه بالصبر ، لاقى الصـــبر بالإذعان

وأنشدنى منصور بن محمد الكريزى ، حدثنى شعيب بن أحمد لأبى العتاهية:

لاتخضعَنْ لمخلوق على طمـــع فإن ذاك مُضِرٌّ منك بالدين

وأنشدنى الكريزى أيضاً ، أنشدنى شعيب بن أحمد لأبى العتاهية :

قد شاب رأسى ، ورأسُ الحرص لم يَشِب
إن الحريص على الدنيا لفى تعب
مالى أرانى إذا حاولتُ منزلةً
فنلتها طمحت نفسى إلى رتب
لو كان ينفعنى علمى وتجـــربتى
لم أشف غيظى من الدنيا ولا كلبى

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت ما يشاكل هذه الحكايات بعلاها فى كتاب « الثقة بالله » بما أرجو أن يكون فيه غُنْية لمن أراد الوقوف على معرفتها فأغنى ذلك عن تكرارها فى هذا الكتاب .

* * *

Marfat.com

ذكر الزجر عن التحاسد والبغضاء

أنبأنا محمد بن الحسين بن مكرم[١] البزاز بالبصرة، حدثنا عمرو بن على الفلاس[٢] حدثنا أبو عاصم[٣] عن ابن جريج[٤]، حدثنى عطاء[٥] أنه سمع أبا هريرة[٦]

رجال السند :

(١) محمد بن الحسين بن مكرم البزاز بالبصرة .. ابو بكر البغدادى وثقه الدارقطنى كما فى تاريخ بغداد ٢/٢٣٣ .

(٢) عمرو بن على الفلاس بن بحر بن كنيز ابو حفص الصيرفى الباهلى البصرى ثقة حافظ من ١٠/ع .

(٣) أبو عاصم ـ تقدم .

(٤) ابن جريج ـ هو عبد الملك بن عبد العزيز أبو الوليد وابو خالد المكى اصله رومى ثقة يدلس ـ التقريب .

(٥) عطاء ـ هو ابن أبى رباح الخراسانى . واسم ابى رباح : اسلم القرشى مولاهم المكى ثقة فقيه فاضل كثير الارسال ٣/ع .

(٦) تقدمت ترجمته .

تخريج الحديث :

واخرجه البخارى فى كتاب الأدب من صحيحه ٤٨١ ، ١٠/٤٨٤ ومالك فى الموطأ فى كتاب الجامع ٢/٢١٣ .

واحمد فى مسنده ٢٧٧ ، ٢٨٨ ، ٣١٢ ، ٣٦٠ ، ٣٩٤ ، ٤٦٥ ، ٤٧٠ ، ٤٨٠ ، ٤٩٢ ، ٥٠١ ، ٥١٢ ، ٥١٧ ، ٢/٥٣٩ .

والخطيب فى تاريخه ٤/١٨ والبخارى فى الأدب المفرد رقم الحديث ١٢٨٧ ص ٢/٧٠٢ ورقم ٤٠٨ ص ١/٤٩٧ كلهم عن أبى هريرة .

واخرجه ايضا البخارى فى كتاب الأدب من صحيحه ٤٨١ ، ١٠/٤٨٤ ومسلم فى كتاب البر ١١٨ ـ ١٦/١٢٠ . وأبو داود فى كتاب الأدب ٥٧٦ ، ٢/٥٧٧ والترمذى فى البر ٤/٣٢٩ وأبو داود الطيالسى فى مسنده ٢/٦٢ واحمد فى مسنده ٦٥ ، ١١٠ ، ١٩٩ ، ٢٠٩ ، ٢٢٥ ، ٢٧٧ ، ٣/٢٨٣ كلهم عن انس بن مالك .

واخرجه احمد ٣ ، ٥ ، ١/٧ وابن ماجه فى الدعاء ٢/١٢٦٥ عن أبى بكر الصديق رضى الله عنهم جميعا وقد جاء عن الزبير وابن مسعود كما قال الترمذى .

Marfat.com

يقول : قال رسول الله ﷺ ، « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل مجانبة الحسد على الأحوال كلها : فإن أهون خصال الحسد هو ترك الرضا بالقضاء ، وإرادة ضد ماحكم الله جل وعلا لعباده ، انطواء الضمير على إرادةزوال النعم عن المسلم ، والحاسد لاتهدأ روحه ولا يستريح بدنه إلا عند رؤية زوال النعمة عن أخيه ، وهيهات أن يساعد القضاء ما للحساد فى الأحشاء .

وأنشدنى محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطى :

اعذر حسودك فيما قد خصصت به ... إن العلى حسن فى مثله الحسد
إن يحسدونى فإنى لا ألومهمُ ... قبلى من الناس أهلُ الفضل قد حسدوا
دام لى ولهم مابى وما بهمُ ... ومات أكثرنا غيظاً بما يجد
أنا الذى وجدونى فى صدورهمُ ... لا أرتقى صَدْراً منهم ولا أرِد

أنبأنا أبو خليفة ، حدثنا ابن كثير ، أنبأنا سفيان الثورى عن أبى إسحاق، عن عمرو بن ميمون ، قال : رأى موسى رجلا عند العرش فغبطه بمكانه ، فسأله عنه ، فقال : ألا أخبرك بعمله ؟ كان لايحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ، ولا يعقُّ والديه ، قال : وكيف يعق والديه ؟ قال : يستتب لهما حتى يُسَبَّا ، ولا يمشى بالنميمة .

أنشدنى ابن بلال الأنصارى :

عينُ الحسود عليك الدهْرَ حارسةٌ ... تبدى مساويك والإحسان يخفيها
فاحذر حراستها ، واحذر تكشفها ... وكن على قَدَرِ ما توليك توليها

Marfat.com

أنبأنا عبد الرحمن بن زياد الكنانى ، بالأبلة ، حدثنا أبو يحيى الضرير ، حدثنا موسى بن داود، حدثنا ابن لهيعة عن كعب بن علقمة قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه « مامن أحد عنده نعمة إلا وجدتَ له حاسداً ، ولو كان المرء أقومَ من القدْح لوجدت له غامزاً ، وما ضَرَّت كلمة لم يكن لها خواطب » .

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه ... فالقومُ أنداد له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها ... حسداً وبغياً : إنه لدميم
وترى اللبيب مُحَسَّداً لم يَجْتَلِب ... شتم الرجال ، وعِرْضُه مشتومُ

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا أحمد بن إبراهيم بن حرب ، حدثنا غسان بن المفضل ، أخبرنى محمد بن يزيد عن يونس بن عبيد، قال : قال ابن سيرين: ما حسدت أحداً على شىء من الدنيا؛ لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على شىء من الدنيا وهو يصير إلى الجنة ؟ وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على شىء من الدنيا وهو يصير إلى النار ؟

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحسد من أخلاق اللئام ، وتركه من أفعال الكرام ، ولكل حريق مطفىء ، ونار الحسد لاتطفأ .

ومن الحسد يتولد الحِقد ، والحقد أصل الشر ، ومَنْ أضمر الشر فى قلبه ، أنبتَ له نباتا مُرًّا مذاقه ، نماؤه الغيظ ، وثمرته الندم .

والحسد هو اسم يقع على إرادة زوال النعم عن غيره ، وحلولها فيه . فأما من رأى الخير فى أخيه ، وتمنى التوفيق لمثله ، أو الظفر بحاله ، وهو غير مريد لزوال مافيه أخوه ؛ فليس هذا بالحسد الذى ذُمَّ ونُهى عنه .

Marfat.com

ولا يكاد يوجد الحسد إلا لمن عظمت نعمة الله عليه ، فكلما أتحفه الله بترداد النعم ، ازداد الحاسدون له بالمكروه والنقم .

وقد كان داود بن على ـ رحمة الله عليه ينشد كثيراً :

إنى نشأت وحُسَّادى ذوو عـدد يأذا المعارج ، لاتَنْقُص لهم عددا
إن يحسدونى على ما كان من حسن فمثل خُلْقِىَ فيهم جرّ لى حسدى

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابى ، حدثنا مهدى بن سابق ، أخبرنا عباد ابن عباد المهلبى قال : قال أبو جعفر المنصور لسفيان بن معاوية : ما أسرع الناس إلى قدمتك المدينة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين :

إن العـرانين تلقاها مُحَسَّدة ولن ترى لئام النـاس حسادا

وأنشدنى الكريزى ، أنشدنى محمد بن الحسين العَمِّى :

حسدوا النعمة لما ظهـرت فرموها بأباطيـل الكلم
وإذا ما الله أبدى نعمـة لم يَضِرْها قـولُ حساد النعم

سمعت أحمد بن محمد بن الأزهر يقول : سمعت أحمد بن سعيد الدار يقول : سمعت أبا إسحاق الطالقانى يقول : كنا نتعلم فى الكتاب ـ كما نتعلم أبو جاد ـ جهل نيسابورى ، وبخل مروزى ، وحسد هروى ، وطرم بلخى .

أنبأنا محمد بن عثمان العقبى : حدثنا عمران بن موسى بن أيوب ، حدثنى أبى عن مخلد بن الحسين ، عن هشام ، عن ابن سيرين قال : ماحسدت أحـداً على دين ولا دنيا .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لايوجد من الحسود أمان أحْرَزُ من البعد

Marfat.com

منه ؛ لأنه مادام مشرفا على ما خصصت به دونه لم يزده ذلك إلا وحشة وسوء ظن بالله ، ونماء للحسد فيه .

فالعاقل يكون على إماتة الحسد بما قدر عليه أحرصَ منه على تربيته، ولا يجد لإماتته دواء أنفع من البُعاد ، فإن الحاسد ليس يحسدك على عيب فيك ، ولا على خيانة ظهرت منك ، ولكن يحسدك بما ركب فيه من ضد الرضا بالقضاء كما قال العتبي:

أفكر ما ذنبي إليك فلا أرى لنفسيَ جرماً ، غير أنك حاسدُ

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

ليس للحاسد إلا ما حَسدْ وله البغضاءُ من كل أحد

وأرى الوحدة خيراً للفتى من جليس السوء فانهض إن قعدْ

وأنشدني محمد بن نصر المديني لحبيب بن أوس :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسانَ حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيبُ عَرْفِ العود

لولا التخوف للعواقب لم تزل للحاسد الشُنْعَى على المحسود

أنبأنا محمد بن المنذر ، حدثنا يحيى بن أبي طالب ، حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا حماد عن حميد قال : قلت للحسن : يا أبا سعيد ، هل يحسد المؤمن ؟ قال : ما أنساك بني يعقوب ؟ لا أبا لك ! حيث حسدوا يوسف ، ولكن ذُمَّ الحسد في صدرك ، فإنه لا يضرك ، ما لم يعدُ لسانك وتعمل به يدك .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل إذا خطر بباله ضربٌ من الحسد لأخيه أبلغ المجهود في كتمانه ، وترك إبداء ما خطر بباله .

وأكثر ما يوجد الحسد بين الأقران ، أو من تقارب الشكل ، لأن الكتبة

Marfat.com

لايحسدها إلا الكتبة ، كما أن الحجبة لايحسدها إلا الحجبة ، ولن يبلغ المرء مرتبة من مراتب هذه الدنيا إلا وجد فيها مَنْ يبغضه عليها أو يحسده فيها ، والحاسد خصم معاند لايحب للعاقل أن يجعله حكما عند نائبة تحدث ، فإنه إن حكم لم يحكم إلا عليه . وإن قصد لم يقصد إلا له ، وإن حرم لم يحرم إلا حَظَّه ، وإن أعطى أعطى غيره ، وإن قعد لم يقعد إلا عنه ، وإن نهض لم ينهض إلا إليه ، وليس للمحسود عنده ذنب إلا النعم التى عنده .

فليحذر المرء ما وصفت من أشكاله وأقرانه وجيرانه وبنى أعمامه .

وقد أنبأنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابى ، حدثنا العباس بن بكار قال: قال رجل لشبيب بن شَبَّة : إنى لأحبك ، قال : صدقت ، قال : وما علمك ؟ قال : لأنك لست بجار ولا ابن عم .

وأنشدنى محمد بن عبد الله بن زنجى البغدادى :

أنت امرؤ قصَّرت عنه مروءته ... إلا من الغِش للإخوان والحسد
أأنْ ترانى خيراً منك تحسدنى ؟ ... إن الفضيلةَ لاتخلو من الحسد

قال أبو حاتم رضى الله عنه : بئس الشعار للمرء الحسد ، لأنه يورث الكمد ، ويورث الحزن ، وهو داء لاشفاء له .

والحاسد إذا رأى بأخيه نعمة بُهت ، وإن رأى به عثرة شمت ، ودليل ماف قلبه كمين على وجه مبين ، وما رأيت حاسداً سَالَمَ أحداً .

والحسد داعية إلى النكد ، ألا ترى إبليس؟ حسد آدم فكان حسده نكدا على نفسه ، فصار لعيناً بعد ما كان مكيناً ، ويسهل على المرء ترضِّى كل ساخط فى الدنيا حتى يرضى ، إلا الحسود ؛ فإنه لايرضيه إلا زوال النعمة التى حَسَدَ من أجلها.

ولقد حدثنى محمد بن عثمان العقدى حدثنا محمد بن زكريا الغلابى ، حدثنا ابن عائشة قال : قال بعض الحكماء : ألزمُ الناس للكآبة أربعةٌ : رجل حديد ، ورجل حسود ، وخليط الأدباء وهو غير أديب ، وحكيم محتقر الأقوام ، وأبعد الناس من الدخول فى دين الحق والنصيحة لأهله : جاهل ورث الضلالة عن أهله ، ورأس أهل ملته حظى فيهم بفضل الضلالة ، ومعظِّم للدنيا يرى بهجتها دائمة محبوبة ويرى ما رجى من خيرها قريباً ، وما صرف من شرها بعيداً ، ليس يعقد قلبه على الإيمان ، ورجل خالط النسّاك فانصرف عنهم لحرصه وشَرَهه ، ودامجهم على مكر وخديعة .

✡ ✡ ✡

ذكر الحث على مجانبة الغضب وكراهية العجلة

أنبأنا عمر بن حفص البزار[١] بجنديسابور ، حدثنا محمد بن زياد الزيادى[٢] ، حدثنا الفضيل[٣] بن عياض عن سليمان[٤] عن أبى صالح[٥] عن أبى هريرة[٦] أن جابراً قال « جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : علمنى شيئاً يارسول الله أدخل به الجنة ، ولا تُكثِر علىَّ ، لعلى أعقِلُ ، قال : لاتغضب » .

رجال السند :

(١) عمر بن حفص البزار . لم اجد له ترجمة .

(٢) محمد بن زياد الزيادى ابن عبد الله أبو عبد الله البصرى يلقب يؤيؤ صدوق يخطىء ١٠/ خ ق .

(٣) الفضيل بن عياض بن مسعود التيمى أبو على الزاهد المشهور أصله من خراسان سكن مكة ثقة عابد ٧/خ م د ت س .

(٤) سليمان ـ هو ابن طرخان التيمى أبو المعتمر البصرى فنزل فى التيم فنسب اليهم ثقة عابد من ٤/ع .

(٥) أبو صالح ـ تقدمت ترجمته .

(٦) أبو هريرة : تقدمة ترجمته .

تخريج الحديث :

واخرجه البخارى فى كتاب الأدب من صحيحه ١٠/٥١٩ وأحمد فى المسند ٣٦٢ ، ٣/٤٦٦ والترمذى فى البر ٤/٣٧١ وأبو نعيم فى الحلية ٦/٣٣٤ عن أبى هريرة .

واخرجه احمد ٣/٤٨٤ ، ٣٤ ، ٣٧٠ ، ٥/٣٧٢ والخطيب فى تاريخه ٣/١٠٨ عن جارية ابن قدامة .

واخرجه احمد ٢/١٧٥ عن بن عمر وفى مسنده دراج ابو السمع منكر الحديث كما قال البخارى .

واخرجه ٥/٣٧٣ عن رجل من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وزاد ، قال الرجل ففكرت حين قال النبى ـ ما قال فاذا الغضب يجمع الشر كله وسنده صحيح واخرجه ابو نعيم فى الحلية ٨/٣٦٨ والخطيب ١٤/٤٢٥ فى تاريخه عن انس ومالك فى الموطأ ٢/٢١٢ عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف مرسلا .

Marfat.com

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أحسن الناس عقلا مَن لم يَجْرَد ، وأحضر الناس جواباً من لم يغضب .

وسرعة الغضب : أنكى فى العاقل من النار فى يَبَس العَوْسَج ؛ لأن من غضب زايله عقله ، فقال ما سوّلت له نفسه ، وعمل ما شانه وأرداهُ .

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقدى ، حدثنا إسحاق بن زكرياء البنانى حدثنا عبد الصمد بن حسان ، حدثنى وهيب قال : مكتوب فى الإنجيل : ابن آدم ، اذكرنى حين تغضب ، أذكرك حين أغضب ، فلا أمحقك فيمن أمحق ؛ وإذا ظُلِمْتَ فلا تنتصر ، فإن نُصرتى لك خير من نصرتك لنفسك .

وأنشدنى الكريزى :

ولم أر فضلاً تَمَّ إلا بشيمة ... ولم أر عقلا صحَّ إلا على الأدب
ولم أر فى الأعداء حين اختبرتهم ... عدواً لعقل المرء أعدى من الغضب

قال أبو حاتم رضى الله عنه : سرعة الغضب من شيم الحمق ، كما أن مجانبته من زى العقلاء .

والغضب بذر الندم ، فالمرء على تركه قبل أن يغضب أقْدَرُ على إصلاح ما أفسد به بعد الغضب .

ولقد أنبأنا محمد بن إسحاق الثقفى ، حدثنا حاتم بن الليث الجوهرى ، حدثنا بكار بن محمد قال : كان ابن عون لا يغضب، فإذا أغضبه إنسان قال : بارك الله فيك!.

وأنشدنى محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطى :

لم يأكل الناسُ شيئاً من مآكلهم ... أحلى وأحمدَ عقباهُ من الغضبِ
ولا تلحّف إنسان بملحفة ... أبهى وأزينَ من دين ومن أدب

أنبأنا كامل بن مكرم ، حدثنا الربيع بن سليمان ، حدثنا أسد بن موسى ،

Marfat.com

حدثنا ضمرة عن أبى سعيد قال : كان عون بن عبد الله بن عتبة إذا غضب على غلامه قال : ما أشبهك بمولاك ! أنت تعصينى وأنا أعصى الله ، فإذا اشتد غضبه قال : أنت حر لوجه الله .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل إذا ورد عليه شىء يضد ما تهواه نفسه أن يذكر كثرة عصيانه ربه ، وتواتر حلم الله عنه ثم يسكن غضبه ولا يُزْرى بفعله الخروج إلى ما لا يليق بالعقلاء فى أحوالهم، مع تأمل وفور الثواب فى العقبى بالاحتمال ونفى الغضب .

وأنشدنى الأنصارى :

وكظمىَ الغيظَ أولى من مُحاَولتى ... غيظَ العدوّ بإضرارى بإيمانى
لا خيرَ فى الأمر تُردينى مغبته ... يوم الحساب إذا ما نصّ ميزانى

أنبأنا محمد بن المنذر ، حدثنا عمر بن على بن زياد العنبرى قال : سمعت سالم ابن ميمون الخواص يقول :

إذا نطق السفيه فلا تُجِبْه ... فخير من إجابته السكوتُ
سكتُّ عن السفيه فظنّ أنى ... عييت عن الجواب، وما عييتُ
شرارُ الناس لو كانوا جميعاً ... قذًى فى جوف عينى ما قَذِيتُ
فلست مجاوباً أبداً سفيهاً ... خزيت لمن يجافيه خزيتُ

وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

تأنَّ فى أمرك ، وافهمْ عنى ... فليس شىء يعدلُ التأنى
تأنّ فيه ثم قل ، فإنى ... أرجو لك الإرشاد بالتأنى

أخبرنى محمد بن أبى على الخلادى ، حدثنا عبد الله بن جعفر الزبيرى عن

Marfat.com

سعيد بن إبراهيم بن محمد بن طلحة ، قال : أنشدنى يونس بن إبراهيم بن محمد ابن طلحة لمحمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله :

فلا تعجلْ على أحـدٍ بظـلم ... فإن الظـــلم مرتعُهُ وخيمُ
ولا تفحش، وإن مُلّيت غيظا ... على أحد ، فإن الفحش لُوم
ولا تقطع أخًا لك عند ذنب ... وإن الذنب يغفره الكريم
ولـكن دارِ عوراهُ برفق ... كما قد يُرْفَعُ الخَلَق القديم
ولا تجزع لريب الدهر واصبر ... فإن الصـــبر فى العقبى سليم
فما جَزَعٌ بمُغْنٍ عنك شيئاً ... ولا ما فات تَرْجِعُهُ الهموم

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لو لم يكن فى الغضب خصلة تذم إلا إجماع الحكماء قاطبة على أن الغضبان لا رأى له ، لكان الواجب عليه الاحتيال لمفارقته بكل سبب .

والغضبان لايعذره أحد فى طلاق ولا عتاق . ومن الفقهاء من عَذَرَ السكران فى الطلاق والعتاق ، والخلق مجبولون على الغضب والحلم معًا ، فمن غضب وحلم فى نفس الغضب ؛ فإن ذلك ليس بمذموم ، مالم يخرجه غضبه إلى المكروه من القول والفعل ، على أن مفارقته فى الأحوال كلها أحمد .

ولقد أنبأنا عمر بن محمد ، حدثنا الغلابى ، حدثنا مهدى بن سابق عن عطاء قال : قال عبد الملك بن مروان : إذا لم يغضب الرجل لم يحلم ؛ لأن الحليم لايعرف إلا عند الغضب .

* * *

ذكر الزجر عن الطمع إلى الناس

أنبأنا محمد بن أحمد[١] بن المستنير بالمصيصة ، حدثنا يوسف[٢] بن سعيد ابن مسلم ، حدثنا خالد[٣] بن عمرو عن سفيان[٤] عن أبي حازم[٥] عن سهل ابن سعد[٦] قال : « جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يارسول الله ، علمني عملا

رجال السند

(١) محمد بن أحمد بن المستنير بالمصيصة لم اجد له ترجمة .
(٢) يوسف بن سعيد بن مسلم المصيصي ثقة حافظ من ١١/س .
(٣) خالد بن عمرو بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن العاص الاموى ابو سعيد الكوفى رماه ابن معين بالكذب يضع ١/د ق .
(٤) سفيان تقدم .
(٥) أبو حازم تقدم .
(٦) سهل بن سعد تقدم .

تخريج الحديث :

رجال السند ، في مسند ، خالد بن عمر مجمع على تركه . بل اتهم بالوضع والكذب واورد له العقيلي هذا الحديث ، ثم قال ليس له اصل من حديث الثورى . انظر التهذيب ٣/١١٠ وقد تابعه ابن سفيان محمد بن كثير الصنعانى كما قال الذهبى فى الميزان الا انه ضعيف ايضا .

واخرجه ابن ماجه فى كتاب الزهد ٢/١٢٧٣ وفيه خالد هذا .

ورواه أبو نعيم فى الحلية ٣/٢٥٣ عن خالد بن زيد العمرى وعلى بن سعيد كلاهما عن سفيان الثورى وفى ٧/١٣٦ عن طريق خالد بن عمر .

وفى ٨/٤١ رواه عن مجاهد عن انس . وقال أبو نعيم ذكر انس فى هذا الحديث وهم من عمر أو أبى احمد فقد راه الاثبات عن الحسن بن الربيع فلم يجاوزوا فيه مجاهدا ثم ساق تلك الرواية ص ٨/٤٢ وقد رواه غير هؤلاء وانظر تفصيل ذلك فى سلسلة الاحاديث الصحيحة لشيخنا الالبانى رقم ٢/٩٤٤ والمقاصد الحسنة ص ٥٢ . وقد حسنه شيخنا بمجموع طرقه .

إذا أنا عملته أحبنى الله ، وأحبنى الناس ؛ فقال: ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل ترك الطمع إلى الناس كافة بكمال الإياس عنهم ؛ إذ الطمع فيما لايشك فى وجوده فقر حاضر، فكيف بما أنت شاك فى وجوده أو عدمه ؟

ولقد أحسن الذى يقول :

لأجعلنّ سبيل اليأس لى سُبلا ما عشت منك، ودارَ الهمّ أوطانا
والصبرُ أجعله غرماً أنال به فى الناس قرباً ، وعند الله رضوانا
فالنفس قانعة ، والأرضُ واسعة والدار جامعة منى ووُحدانا

وأنشدنى عمرو بن محمد بن عبد الله النسائى قال: أنشدنى الحسين بن أحمد بن عثمان:

اليأسُ أدبنى ورفّع همتى واليأس خير مؤدب للناس
إنى رأيت مواضع الطمع الذى يضع الشريف مواضع الأخساس

وأنشدنى محمد بن عبد الله البغدادى :

فأجمعت يأساً لا لُبانة بعده وللياس أدنى للعفاف من الطمع
والنفس تطمع هشة إن أطمعت وتنال باليأس السلوّ فتقنع

أنبأنا محمد بن عثمان العقبى ، حدثنا يزيد بن عبد الصمد، حدثنا يحيى بن صالح حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن سعد بن عمارة أنه لما قال لابنه : يا بنى ، أظهر اليأس فإنه غنى ، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أشرف المنى ترك الطمع إلى الناس إذ لا غنى

Marfat.com

لذى طمع وتارك الطمع يجمع به غاية الشرف ، فطوبى لمن كان شعار قلبه الورع ولم يعم بصره بالطمع .

ومن أحب أن يكون حرًّا فلا يهوى ما ليس له ؛ لأن الطمع فقر ، كما أن اليأس غنى، ومن طمع ذل وخضع ، كما أن من قنع عف واستغنى .

ولقد أنشدنى الكريزى :

لا خير فى عزم بغير روية ... والشك عجز ، إن أردت سراحا
واليأس مما فات يعقب راحة ... ولرب مطمعة تعود نباحا

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

فكنت لى أملا دهراً أطالبه ... فغيرته صروف الدهر أطوارا
صرفت باليأس عنه النفس فانصرفت ... فما أبالى أقام الدهر ، أم سارا

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا عبد الله بن أبى شيبة ، حدثنا عبد الله ابن مروان ، حدثنا محمد بن هانىء الطائى قال : بعث أبو الأسود الديلى إلى جار يقترض منه ، فلم يقرضه واعتل عليه ، وكان حسن الظن به ، فقال أبو الأسود :

لا تشعرن النفس يأسا ، فإنما ... يعيش بجد عاجز وجليد
ولا تطمعن فى مال جار لقربه ... فكل قريب لا ينال بعيد
وفوض إلى الله الأمور ، فإنما ... يروح بأرزاق العباد جدود

أنبأنا القطان بالرقة حدثنا المروزى قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : سمعت ابن السماك يقول : الرجاء حبل فى قلبك ، وقيد فى رجلك ، فأخرج الرجاء من قلبك ينفك القيد من رجلك .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الطمع غدة من قلب المرء له طرفان : أحدهما :

القيد فى رجليه ، والآخر : الطبع على لسانه ، فما دامت العقدة قائمة لاتنفكُّ رجلاه، ولا ينطلق لسانه ، فإذا أخرج الطمع من قلبه انفكَّ القيد من رجليه ، وزال الطبع عن لسانه ، فسعى إلى ماشاء ، وقال ما أحب .

ودواء زوال الطمع عن القلب : هو رؤية الأشياء من مكونها بدوام الخلوة ، وترك الناس . كما أنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

كُنْ لقعر البيت حِلْساً وارض بالوحدة أنسا
لستَ بالواجد حُرًّا أو ترد اليوم أمسا
فاغرس اليأس بأرض الـزُّهد ما عُمِّرْت غرسا
وليكن يأسُك دون الـطمع الكاذب تُرسا

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يجتنب الطمع إلى الأصدقاء ؛ فإنه مَذَلَّة ويلزم اليأس عن الأعداء ؛ فإنه مَنجاة ، وتركه مَهْلكة ، والإياس هو بذر الراحة والعز ، كما أن الطمع هو بذر التعب والذل ، فكم من طامع تعب وذل ، ولم ينل بغيته ، وكم من آيس استراح وتعزز ، وقد أتاه ما أمل وما لم يأمل .

وأنشدنى الأبرش :

يَعْرَى ويغرث من أمسى على طمعٍ من المكارم وَهْوَ الطاعم الكاسى
إن المطامع ذل للرقاب ، ولو أمسى أخوها مكان السيدِ الراس

وأنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

ألم تعلمى أنى إذا النفس أشرفت على طمع لم أنس أن أتكرما
ولست بلوام على الأمر بعد ما يفوت ، ولكن علىّ أن أتقدما

Marfat.com

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز، حدثنا الفضل بن يوسف الكوفى، حدثنا عبدالله ابن جَبَلة الكِنانى عن معاوية بن عمار عن أبى جعفر قال : اليأس عما فى أيدى الناس عز ، ثم قال : أما سمعت قول حاتم الطائى :

إذا ما عزمت اليأس ألفيته الغنى إذا عرفته النفس ، والطّمعُ الفقرُ

* * *

Marfat.com

ذكر الحث على مجانبة المسألة وكراهيتها

حدثنا أبو يزيد خالد بن النضر بن عمرو القرشي[١] بالبصرة ، حدثنا عبد الواحد[٢] بن غياث ، حدثنا حماد[٣] بن سلمة ، حدثنا هشام[٤] بن عروة عن أبيه[٥] عن الزبير[٦] بن العوام أن رسول الله ﷺ قال : « لأن يأخذ أحدكم حبلا فيأتي بحُزْمة حطب فيبيعَها خيرٌ له من أن يسأل الناسَ أعطَوه أو منعوه » . جاء بمعناه عن أبي هريرة متفق عليه .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل مجانبة المسالة على الأحوال كلها ، ولزوم ترك التعرُّض ؛ لأن الإفكار في العزم على السؤال يورث المرء مَهانة

رجال السند

(١) أبو يزيد بن خالد بن النضر بن عمرو القرشي ـ لم اجد له ترجمة .
(٢) عبد الواحد بن غياث البصري ابو بحر الصيرفي صدوق من ٩/د.
(٣) حماد بن سلمة تقدم .
(٤) هشام بن عروة تقدم .
(٥) عروة بن الزبير بن العوام أبو عبد الله المدني ثقة فقيه مشهور احد الفقهاء السبعة . من ٢/ع .
(٦) الزبير بن العوام بن خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي ابو عبد الله القرشي الاسدي احد العشرة المبشرين بالجنة . قتل سنة ٣٦ بعد وقعة الجمل . صحابي جليل .

تخريج الحديث :

اخرجه البخاري في كتاب الزكاة ـ ٣٣٥ ، ٣/٣٤١ وفي كتاب البيوع ٤/٣٠٤ وفي كتاب المساقاة ٥/٤٦ من صحيحه عن ابي هريرة والزبير بن العوام واخرجه ايضا احمد في مسنده ـ ٢٥٧ ، ٣٠٠ ، ٣٩٥ ، ٢/٤١٨ ومالك في موطئه ٢/٢٥٩ والنسائي في كتاب الزكاة من سننه ٥/٩٦ عن أبي هريرة ، واخرجه ايضا احمد ـ ١٦٤ ، ١/١٦٧ وابن ماجه في كتاب الزكاة ١/٨٨٨ والطبراني في المعجم الكبير رقم الحديث ٢٥٠ ص ١/٨٥ عن الزبير ابن العوام ، وفي مسند الطبراني مجاهيل كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٣٢٥ .

Marfat.com

فى نفسه ، ويَحطُّه رَتْوة عن مرتبته ، وتركُ العزم على الإفكار فى السؤال يُورث المرء عزًّا فى نفسه ، ويرفعه درجة عن مرتبته .

ولقد أنبأنا محمد بن المنذر ، حدثنا الفيض بن الخضر التميمى ، حدثنا عبد الله ابن خُبَيق قال : قال موسى بن طريف: إن الحاجة تعرض لى إلى الرجل ، فيُخرِج عِزِّى من قلبى قطعَ الحاجة من ناحيته ، فيرجع عِزّى إلى قلبى .

وأنشدنى الكريزى قال : أنشدنا الحسن بن أحمد لعلى بن الجَهْم :

هى النفس ، ما حَمَّلتها تتحملُ ... وللدهر أيام تجور وتَعْدِلُ
وعاقبة الصبر الجميل جميلة ... وأفضلُ أخلاق الرجال التفضل
فلا عارَ إن زالت عن الحرِّ نعمة ... ولكنَّ عاراً أن يزول التجمل

أخبرنا زكرياء بن يحيى الساجى ، حدثنا عبد الواحد بن غياث ، حدثنا خالد ابن عبد الله ، حدثنا داود بن أبى هند عن الشعبى أن عمر بن الخطاب قال: « من سأل الناس ليثرى ماله ، فإنما هو رَضْفٌ من النار يُلقَمه ، فمن شاء استقلَّ ، ومن شاء استكثر » .

أنبأنا محمد بن سليمان بن فارس الدلال ، حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا أبو عباد يحيى بن عباد، حدثنا شعبة عن قتادة قال:سمعت مطرِّف بن عبدالله يحدث عن حكيم بن قيس بن عاصم عن أبيه أنه أوصى بنيه عند موته ، فقال : يا بنى ، إياكم ومسألة الناس ، فإنها آخرُ كسب الرجل .

قال أبو حاتم رضى الله عنه: العاقل لا يسأل الناس شيئًا فيردوه ، ولا يُلحِف فى المسألة فيحرموه ، ويلزم التعففَ والتكرم، ولا يطلب الأمر مدبِراً ، ولا يتركه مُقبِلا ؛ لأن فَوْت الحاجة خيرٌ من طلبها إلى غير أهلها، وإن من يسأل غير المستحق حاجة حَطَّ لنفسه مرتبتين ، ورفع المسئول فوق قدره .

Marfat.com

أخبرنى محمد بن المنذر ، حدثنا أحمد بن مؤمل المصرى قال : سمعت حامد ابن يحيى يقول : سمعت سفيان بن عيينة يقول : من يسأل نذلا حاجة فقد رفعه عن قدره .

أنشدنى ابن زنجى البغدادى :

ذلُّ السؤال شَجًى فى الحلق معترض ... من دونه شَرَقٌ ، من خَلْفِه جَرَض
ما ماء كَفِّك إن جادت وإن بخلت ... من ماء وجهى إذا أفنيته عِوَضُ

وأنشدنى محمد بن عبد الله المؤدب :

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله ... عوضاً ، وإن نال الغنى بسؤال
وإذا السؤال مع النَّوال وزَنْتَه ... رجحَ السؤالُ ، وخفَّ كلُّ نوال
وإذا ابتُليتَ ببذل وجهك سائلاً ... فابذُله للمتكرِّم المفضال

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا أبو جعفر ابن ابنة أبى سعيد التغلبى الدمشقى ، حدثنا حاجب بن أبى علقمة العطاردى قال : سمعت أبى يقول : قال : مطرف بن عبد الله بن الشِّخِّير لابن أخيه : يا بُنىَّ أخى، إذا كانت لك حاجة إلىّ فاكتب فى رُقعة ، فإنى أصون وجهك عن ذُلِّ السؤال . وأنشدنى ذلك :

يا أيها المتعبُ بذلَّ السؤال ... وطالب الحاجات من ذى النوال
لا تحسبنَّ الموت مَوت البلى ... فإنما الموتُ سؤال الرجال
كلاهما موت ، ولكنَّ ذا ... أعظمُ من ذاك لذُلِّ السؤال

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أعظم المصائب سوء الخلف ، والمسألة من الناس والهمُّ بالسؤال نصف الهرم ، فكيف المباشرة بالسؤال ؟ ومن عزَّت عليه نفسه صغُرَت الدنيا فى عينيه ، ولا يَذْبُلُ الرجلُ حتى يَعِفَّ عما فى أيدى الناس ، ويتجاوز عما يكون منهم، والسؤال من الإخوان مَلال ، ومن غيرهم ضِدُّ النَّوال.

Marfat.com

وأنشدنى الأبرش :

انبُل بنفسك أن تكون حريصة ... إن الحريص إذا يُلِحُّ يُهان
من يُكثر التَّسآل من إخوانه ... يستثقلوه ، وحظه الحرمان

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

أتيت أبا عمرو أرَجِّى عطاءه ... فزاد أبو عمرو على حزَنى حزنا
فكنت كباغى القَرن أسلم أذنه ... فبات بلا أذن ، ولم يستفد قرنا

حدثنا محمد بن عثمان العقبى ، حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندى ، حدثنا عبد الله بن سليمان قال : كان أكثَم بن صَيْفى يقول : السؤال — وإن قَلّ — أثمن من النوال ، وإن جلّ .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب للعاقل أن يبذل وجهه لمن يكرُم عليه قدره ، ويعظم عنده خطره ، فكيف بمن يهون عليه رده ، ولا يكرُم عليه قدره ! وأبعد اللقاء الموت ، وأشدُّ منه الحاجة إلى الناس دون السؤال ، وأشدُّ منه التكلف بالسؤال ؛ لأن السؤال إذا كان بنجاح الحاجة مقرونا لم يَخْلُ من أن يكون فيه ذل السؤال ، وإذا الحاجة لم تُقْضَ كان فيه ذلان موجودان : ذل السؤال ، وذل الردّ .

وأنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

لا يحِسُّ الصديق منك بفقر ... لا ، ولا والد ، ولا مولود
ذاك ذل إذا سألت بخيلا ... أو سألتَ الذى عليك يجود

أنبأنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار ببغداد ، حدثنا على بن الجعد أنبأنا شعبة عن الأعمش قال : سمعت المعرور بن سويد يحدث عن عبد الله قال : « إن فى طلب

الرجل الحاجة إلى أخيه فتنة ، إذا أعطاه حَمِد غير الذى أعطاه ، وإن منعه ذم غير الذى منعه » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لو لم يكن فى السؤال خَصلة تذمُّ إلا وجود التذلل فى النفس عند الاهتمام بالسؤال وإبدائه لكان الواجب على العاقل أن لو اضطره الأمر إلى أن يَسْتَفَّ الرمل و يَمُصَّ النَّوَى ألا يتعرض للسؤال أبداً ماوجد إليه سبيلا ، فأما من دفعه الوقت إلى ذلك فسأل من يعلم أنه يقضى حاجته أو ذا سلطان لم يُحْرَج فى فعله ذلك ، كما لم يحرج فى القبول إذا أعطى من غير مسألة ، ومن استغنى بالله أغناه الله، ومن تعزز بالله لم يفقره، كما أن من اعتز بالعبيد أذلّه .

ولقد أنبأنا سعيد بن محمد القزاز ، حدثنا أبو الهيثم الرازى ، حدثنا خالد ابن يزيد ، حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا هشام بن يوسف عن معمر قال : قال أبو معاوية ـ رجل من ولد كعب بن مالك ـ : « لقد رأيتنى أنضح أول النهار وأضرب آخر النهار على بطنى بالمعوَل فى المعدن ، قال : قلت : لقد لقيت مؤونة ، قال : أجل إنا طلبنا الدراهم من أيدى الرجال ومن الحجارة، فوجدناها من الحجارة أسهل علينا » .

* * *

Marfat.com

ذكر الحث على لزوم القناعة

حدثنا الحسن بن سفيان (١) الشيبانى ، حدثنا محمد بن أبى بكر المقدمى (٢) ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوى (٣) عن الأعمش (٤) عن مجاهد (٥) عن ابن عمر (٦) قال « أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى ، فقال : كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد مكثت بُرْهَة من الدهر مُتَوَهِّمًا أن الأعمش

رجال السند

(١) الحسن بن سفيان الشيبانى ـ تقدم .

(٢) محمد بن أبى بكر المقدمى بن على بن عطاء بن مقدم ابو عبد الله الثقفى مولاهم البصرى ثقة من ١٠/خ م س .

(٣) محمد بن عبد الرحمن الطفاوى ابو المنذر البصرى صدوق يهم من ٨/خ د ت س .

(٤) الأعمش تقدم .

(٥) مجاهد ـ هو ابن جبر ابو الحجاج المخزومى مولاهم المكى ثقة امام التفسير من ٣/ع .

(٦) ابن عمر ـ عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوى ابو عبد الرحمن وهو احد المكثرين من الصحابة فى الحديث واحد العبادلة وكان اشد الناس اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مات سنة ٧٣/ع وانظر الاصابة .

تخريج الحديث :

واخرجه البخارى فى كتاب الرقاق من صحيحه ١١/٢٣٣ ، واحمد فى مسنده ٢٤ ، ٢/٤١ ، والترمذى فى كتاب الزهد ٤/٥٦٧ ، وابن ماجه فى كتاب الزهد ٢/١٣٧٨ وابو نعيم فى الحلية ١/٣١٣ ، ٣/٣٠١ كلهم عن ابن عمر رضى الله عنه ، واخرجه غيرهم .

وابن المبارك فى الزهد ص ٥ رقم الحديث ١٣ عن ابن عمر وفيه ليث ابن ابى سليم ضعيف . كما قال ابن حجر فى التقريب .

Marfat.com

لم يسمع هذا الخبر من ليث بن أبى سليم ، فدلسه، حتى رأيت على بن المدينى حدث بهذا الخبر عن الطفاوى عن الأعمش قال : حدثنى مجاهد ؛ فعلمت حينئذ أن الخبر صحيح ، لا شك فيه ، ولا امتراء فى صحته .

فقد أمر النبى ﷺ ابن عمر فى هذا الخبر أن يكون فى الدنيا كأنه غريب أو عابر سبيل ؛ فكأنه أمره بالقناعة باليسير من الدنيا؛ إذ الغريب وعابر السبيل لايقصدان فى الغيبة الإكثار من الثروة ، بل القناعة إليهما أقرب من الإكثار من الدنيا .

ولقد أخبرنى محمد بن عثمان العقبى حدثنى جعفر بن سنيد بن داود حدثنى ابى حدثنى حجاج ، حدثنا عتبة بن سالم قال : قال أكثم بن صيفى لابنه : يا بنى من لم يأسَ على ما فاته ودعَ بدنه ، ومن قنع بما هو فيه قرت عينه .

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

من تمام العيش ما قرّتْ به ... عين ذى النعمة ، أثْرَى أو أقل
وقليلٌ أنت مسرور به ... لك خير من كثير فى دَعَل

وأنشدنى ابن زنجى البغدادى :

أقول للنفس : صبراً عند نائبة ... فعُسر يومك موصولٌ بيسر غد
ما سرّنى أنّ نفسى غير قانعة ... وأن أرزاقَ هذا الخلق تحت يدى

أنبأنا أبو خليفة ، حدثنا محمد بن كثير ، أنبأنا سفيان الثورى عن عيسى ابن عبد الرحمن عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود قال : « أربع قد فرغ منها: الخَلْق، والخُلُق، والرزق، والأجل. وليس أحد بأكسب من أحد ».

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من أكثر مواهب الله لعباده وأعظمها خطراً

Marfat.com

القناعة ، وليس شيء أروحَ للبدن من الرضا بالقضاء ، والثقة بالقسم ؛ ولو لم يكن في القناعة خصلة تحمد إلا الراحة وعدم الدخول في مواضع السوء ، لطلب الفضل لكان الواجب على العاقل ألا يفارق القناعة على حالة من الأحوال .

ولقد أنبأنا عمر بن حفص بن عمرو البزار ، حدثنا أبو مسعود ، حدثنا محمد ابن عبد الله بن عبيد بن عقيل ، حدثنا عبد الله بن إبراهيم المدني ، حدثنا أبو بكر ابن محمد بن المنكدر عن أبيه « القناعة مال لاينفد » .

سمعت محمد بن المنذر يقول : سمعت عبد العزيز بن عبد الله يقول : قال محمد ابن حميد الأكّاف :

تقنع بالكفاف ، تعش رَخِيًّا ... ولا تبغ الفضول من الكفاف
ففي خبز القَفار بغير أُدم ... وفي ماء الفرات غِنًى وكاف
وفي الثوب المرقع ما يغطّي ... به من كل عُرى وانكشاف
وكل تزيُّن بالمرء زين ... وأزينه التزين بالعفاف

وأنشدني الكريزي :

لعمرك ما طول التعطل ضائري ... ولا كل شغل فيه للمرء منفعه
إذا كانت أرزاق في القرب والنوى ... عليك سواء فاغتنم راحة الدَّعه
وإن ضقت فاصبر يُفرج الله ما ترى ... ألا رُبَّ ضيق في عواقبه سَعه

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

الحمد لله حمداً دائماً أبداً ... لقد تزين أهل الحرص والشين
لا زينَ إلا لراضٍ في تقلله ... إن القَنُوع لَثوب العز والدين

قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل يعلم أن الإنسان لم يوضع على قدر الأحظاء ، وأن من عدم القناعة لم يزده المال غنى ، فتمكن المرء بالمال القليل مع قلة الهمّ أهنأ

من الـكثير ذى التبعة ، والعاقل ينتقم من الحرص بالقنوع ، كما ينتصر من العدو بالقصاص ؛ لأن السبب المانع رزقَ العاقل هو السببُ الجالب رزقَ الجاهل .

وأنشدنى محمد بن سعيد القزاز ، أنشدنا محمد بن خلف التيمى . أنشدنى رجل من خزاعة :

رأيت الغنى والفقرَ حَظين قُسما ... فأحرم مُحتال وذو العىِّ كاسب
فهذا مُلحٌ دائبٌ غيرُ رابح ... وهذا مُريح رابحٌ غير دائب

وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

إذا المرء لم يقنع بعيش ، فإنه ... وإن كان ذا مال من الفقر مُوقَرُ
إذا كان فضل الناس يغنيك بينهم ... فأنت بفضل الله أغنَى وأيسرُ

أخبرنا أحمد بن سعيد القيسى حدثنا محمد بن الوليد بن أبان حدثنا نعيم بن حماد قال : سمعت ابن المبارك يقول : مروءة القناعة أفضل من مروءة الإعطاء .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : القناعة تكون بالقلب : فمن غنى قلبه غنيت يداه ، ومن افتقر قلبه لم ينفعه غناه ، ومن قنع لم يَتسخَّط ، وعاش آمنًا مطمئنًا . ومن لم يقنع لم يكن له فى الفوائت نهاية رغبته ، والجد والحرمان كأنهما يصطرعان بين العباد .

ولقد أحسن الذى يقول :

فما كلُّ ما حاز الفتى من تلاده ... بكَيْس ، ولا ما فاته بتَوانِ
فأجمِل إذا طالبت أمراً فإنه ... سيكفيكه جَدَّان يصطرعان

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الفلابى حدثنا محمد بن عبيد الله الجُشَمى عن المدينى قال : كان يقال : مروءة الصبر عند الحاجة والفاقة بالتعفف والغنى أكثر من مروءة الإعطاء .

Marfat.com

وأنشدنى عمرو بن محمد أنشدنا الغلابى أنشدنا ابن عائشة :

غنى النفس يغنى النفس حتى يعفها وإن مَسَّها حتى يَضُرَّ بها الفقر
وما شدة ، فاصبر لها إن لقيتها بدائمة إلا سيقبعها يسر

وأنشدنى محمد بن عبد الله بن زنجى البغدادى :

فيارُبَّ كُره جاء من حيثُ لم تخف ومسرور أمرٍ بالذى أنت خائف
أرى الناسَ، مالم تبلُ، إخوانَ ظاهر وإن تبل تُنكِرْ كُلَّ ما أنت عارف

أنبأنا محمد بن عثمان العقبى حدثنا إبراهيم بن مهدى الأبلى حدثنى محمد بن يحيى بن أبى عمر قال : سمعت سفيان بن عيينة ـ وذكر عنده الفضل بن الربيع وضرباؤه ـ فأنشأ سفيان يقول :

كم من قوىٍّ قوىٍّ فى تقلبه مُهَذَّبِ الرأى عنه الرزقُ منحرف
ومن ضعيفٍ ضعيفِ العَقْل مُختلطٍ كأنه من خليج البحر يغترف

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من نازعته نفسه إلى القنوع ، ثم حسد الناس على ما فى أيديهم فليس ذلك لقناعة ولا لسخاوة، بل لعجز وفشل ؛ فمثله كمثل حمار السوء الذى يَعْرَج بِخِفَّة حمله ، ويحزن إذا رأى العلف يُؤَثَّر به ذو القوة والحمل الثقيل ، فالقانع الكريم أراح قلبه وبدنه ، والشرِه اللئيم أتعب قلبه وجسمه ، والكرام أصبر نفوساً ، واللئام أصبر أجساداً .

وأنشدنى عمرو بن محمد أنشدنا الغلابى :

لعمرك ما الأرزاق من حِيلة الفتى ولا سبب فى ساحه الحىِّ ذهب
ولكنها الأرزاق تُقْسَم بينهم فما لك منها غير ما أنت شارب

وأنشدنى محمد بن سعيد أنشدنى هلال بن العلاء الباهلى :

Marfat.com

تجمل إذا ما الدهر أولاك غِلظة فإنَّ الغنى فى النفس ، لا فى التمول
يزين لئيمَ القوم كثرة ماله ومازَين الأقوامَ مثل التجمل

حدثنا الحسين بن سفيان حدثنا عبد العزيز بن منيب حدثنا محمد بن يحيى الصائغ قال : قال الخليل بن أحمد :

إن لم يكن لك لحمٌ كفاك خَلٌّ وزيتُ
إن لا يكن ذا وهذا فكِسْرةٌ وبُيَيْت
تَظَلُّ فيه وتاوى حتى يجيئكَ موت
هذا لعمرى كفاك فلا يَغُرَّنَّك ليتُ

أنبأنا كامل بن مكرم حدثنا محمد بن مروان البيروتى حدثنا أبو مسهر حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن محمد بن كعب القرظى فى قوله تعالى (١٦ : ٩٧ فلنحيينه حياة طيبة) قال : القناعة .

* * *

Marfat.com

ذكر الحث على لزوم التوكل على من ضمن الأرزاق

أنبأنا زكريا بن يحيى[١] بن عبد الرحمن الساجى بالبصرة أنبأنا أبو الربيع[٢] الزهرانى حدثنا المقرىء[٣] حدثنا حيوة[٤] بن شريح وابن لهيعة[٥] قالا : حدثنا أبو هانىء[٦] حميد بن هانى الخولانى قال: سمعت أبا عبدالرحمن الحُبُلى[٧] يقول : سمعت عبد الله[٨] بن عمرو بن العاص يقول : سمعت النبى ﷺ يقول « قدَّر الله

رجال السند

(١) زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن الساجى بالبصرة ثقة فقيه من ١٢ مات سنة ٣٠٧ ·

(٢) ابو الربيع الزهرانى ـ هو سليمان بن داود العتكى البصرى نزيل بغداد ثقة من ١٠/خ م د س ·

(٣) المقرىء ـ عبد الله بن يزيد أبو عبد الرحمن · المكى أصله من البصرة أو الاهواز ثقة فاضل من ٩/ع ·

(٤) حيوة(١) بن شريح بن صفوان التجريبى أبو زرعة المقرى ثقة ثبت فقيه زاهد من ٧/ع ·

(٥) ابن لهيعة ـ هو عبد الله الحضرمى ابو عبد الرحمن المصرى القاضى الصدوق اختلط بعد احتراق كتبه ورواية العبادلة عنه صحيحة ، وهم ابن المبارك وابن وهب وابن يزيد المقرى وابن مسلمة القعنبى ٧/م د ت ق ·

(٦) أبو هانىء حميد بن هانى الخولانى المصرى لا بأس به من ٥/نج م عم

(٧) أبو عبد الرحمن الحبلى ـ هو عبد الله بن يزيد المعافرى ثقة من ٣/ن م عم ·

(٨) عبد الله بن عمرو بن العاص · بن وائل بن هاشم السهمى ابو محمد أو ابو عبد الرحمن احد السابقين المكثرين من الصحابة واحد العبادلة الفقهاء مات فى ذى الحجة ليالى الحرة بالطائف /ع ·

تخريج الحديث :

وابرجه مسلم فى كتاب القدر من صحيحه ١٦/٢٠٣ ·
و احمد فى مسنده ٢/١٦٩٥ ·

---

(١) والأصل ، حيوية ، وهو خطأ مطبعى ·

Marfat.com

المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسمائة سنة » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم التوكل على من تكفل بالأرزاق ؛ إذ التوكل هو نظام الإيمان ، وقرين التوحيد ، وهو السبب المؤدى إلى نفى الفقر ووجود الراحة ، وما توكل أحد على الله جل وعلا من صحة قلبه حتى كان الله جلّ وعلا بما تضمّن من الكفالة أوثقَ عنده مما حوته يده إلا لم يَكِلْه الله إلى عباده ، وآتاه رزقَه من حيث لم يحتسب .

وأنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

توكل على الرحمن فى كل حاجة ... أردتَ ، فإن الله يقضى ويقدر
متى ما يُرد ذو العرش أمراً بعبده ... يُصِبْهُ ، وما زعبد ما يتخيَّر
وقد يهلك الإنسان من وجه أمْنه ... وينجو بإذن الله من حيث يحذر

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

أحسن الظن بمن قد عوّدكْ ... كل إحسان ، وسَوَّى أوَدكْ
إن من قد كان يكفيك الذى ... كان بالأمس سيكفيك غدكْ

أنبأنا محمد بن الحسن قتيبة بعسقلان حدثنا أبو مروان الأزرق حدثنا الوليد عن ابن جابر عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر عن أم الدرداء عن أبى الدرداء قال « إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله » .

أنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

لو كان فى صخرة فى البحر راسية ... صَمَّاءِ ملمومة مُلْسٍ حواليها

= والترمذى ٤/٤٥٨ والاجرى فى الشريعة ١٧٦ عن عبد الله بن عمرو ابن العاص .

وأخرجه الاجرى فى الشريعة ١٧٦ عن ابن عمر وفى ١٧٧ عن عمران ابن حصين .

Marfat.com

رزقٌ لعبد برَاه الله لانفلقتْ حتى تؤدِّى إليه كلَّ ما فيها
أو كان بين طِباق السبع مَطْلبه يوماً لسهَّل فى المرْقَى مراقيها
حتى ينال الذى فى اللوح خُطَّ له إن هُو أتاه ، وإلا فهْوَ آتيها

وأنشدنى منصور بن محمد الكريزى ، أنشدنى محمد بن الحسين العَمِّى :

سل الحاجاتِ من سيد ليس له سِتر ولا حاجبُ
يُعطى عطاياه إذا شاءها من غير توقيع إلى كاتبِ

حدثنا محمد بن الحسين بن الخليل بنَسَا حدثنا القطوانى حدثنا سنان حدثنا رياح القيسى قال « إن لله ملائكة موكلين بأرزاق بنى آدم ، يحملون أرزاقهم على درجاتهم ، ثم قال : أيما عبد من عبادى جعل همَّه همًّا واحداً فضمنوا السموات والأرضين وبنى آدم رزقه ، وأىُّ عبد طلب رزقه أعطوه رزقه حيث أراده ، فإن تحرّى مكاسبه بالعدل فطيِّبوا رزقه ، وإن تعدى إلى الحرام فليأخذه من هواه إلى غاية درجته التى ليس فوقها ، ثم حولوا بينه وبين سائر الدنيا ؛ فلا يأخذن من حلالها ولا من حرامها فوق الدرجة التى كتبت له » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يعلم أن الأرزاق قد فُرغ منها وتضمنها العلىُّ الوفى على أن يُوفرها على عباده فى وقت حاجتهم إليها ، والاشتغالُ بالسعى لما تضمن وتكفل ليس من أخلاق أهل الحزم إلا مع انطواء صحة الضمير ؛ على أنه وإن لم يسع فى قصده أتاه رزقه من حيث لم يحتسب .

وأنشدنى محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطى :

لما رأيتُك قاعداً مستقبلى أيقنت أنك للهموم قرينُ
فارفض لها وتعرَّ عن أثوابها إن كان عندك للقضاء يقين

هوّن عليك ، وكن بربّك واثقاً فأخو التوكل شأنه التهوين
طرَحَ الأذى عن نفسه فى أمره من كان يعـــــلم أنه مضمون

حدثنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير أنبأنا سفيان الثورى عن أبى قيس عن هذيل بن شرحبيل قال « جاء سائل إلى النبى ﷺ ، وفى البيت تمرة ، فقال رسول الله ﷺ : هاك ، ولو لم تأتها أتتك » .

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

فنحن بتوفيق الإله وأمره على كل حال أمرُنا متوسعُ
عطاء مليك لايمنُّ عطاؤه خبير بما تُخْفَى عليه الأضالع

أنبأنا محمد بن إبراهيم الشافعى حدثنا داود بن أحمد الدمياطى حدثنا عبد الرحمن بن عفان قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول : ماهتممت برزق قط .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يعلم أن السبب الذى يدرك به العاجز حاجته هو الذى يحول بين الحازم وبين مصادفته ، فلا يجب أن يحزن العاقل لما يهوى وليس بكائن ، ولا لما لايهوى وهو لامحالة كائن ؛ فما كان من هذه الدنيا أتى المرءَ من غير تعب فيه ، وما كان عليه لم يدفعه بقوته ، ولا يُدْرِكُ بالطلب المحروم ، كما لا يُحْرَم بالقعود المرزوق .

ولقد أحسن الذى يقول :

ينالُ الغنى مَنْ ليس يسعى إلى الغنى ويحرم مَنْ يسعى له ويداوم
وما العجز يحرمهُ ولا الحرص جالب وما هو إلا حظوة ومقاسم

وأنشدنى عمرو بن محمد الأنصارى أنشدنا الغلابى أنشدنا العتبى :

ورزق الخلق مقسوم عليهم مقاديرٌ يقدرها الجليـــــلُ

Marfat.com

فلا ذو المال يُرْزَقُه بعقل ولا بالمال تقتسم العقول

أنبأنا الهيثم بن خلف الدورى — ببغداد — قال : سمعت إسحاق بن موسى الأنصارى يقول : سمعت يمان النجرانى — وكان لا يدخر شيئاً — يقول : مررت براهب فى قارعة فلاة من الأرض ، وأنا جائع ، فقلت : يا راهب ، هل عندك من فضل ؟ فأدلى إلىّ زنبيلا فيه فِلَقٌ من خبز فأكلت منها ، ورميت إليه الباقى ، فقال : تزوده ، قلت : الذى أطعمنى فى هذا الموضع ، وليس فيه إنسى ، يطعمنى إذا جعت ولا يكون معى شىء .

وأنشدنى ابن زنجى البغدادى :

لاتتهم ربك فيما قضى وهون الأمر ، وطب نفسا
لكل هَمٍّ فَرَجٌ عاجل يأتى على المُصْبِح والممسى

قال أبو حاتم رضى الله عنه : التوكل هو قطع القلب عن العلائق ، برفض الخلائق ، وإضافته بالافتقار إلى محول الأحوال ، وقد يكون المرء موسراً فى ذات الدنيا وهو متوكل صادق فى توكله إذا كان العدم والوجود عنده سِيَّيْنِ لافرق عنده بينهما ، يشكر عند الوجود ، ويرضى عند العدم ، وقد يكون المرء لايملك شيئاً من الدنيا بحيلة من الحيل ، وهو غير متوكل إذا كان الوجود أحبّ إليه من العدم ، فلا هو فى العدم يرضى حالته ، ولا عند الوجود يشكر مرتبته .

وأنشدنى الكريزى :

فلو كانت الدنيا تُنال بفطنة وفضل عقول نلتُ أعلى المراتب
ولكنما الأرزاق حَظٌّ وقسمة بملك مليك ، لابحيلة طالب

وأنشدنا عمرو بن محمد الأنصارى أنشدنا الغلابى أنشدنا مهدى بن سابق :

ألا ترى الدهر لاتفنى عجائبه والدهر يخلط ميسوراً بمعسور ؟
وليس للهو إلا كل صافية كأنها دمعة من عين مهجور

أنبأنا على بن سعيد العسكرى حدثنا إبراهيم بن الجنيد حدثنا سهل بن عاصم حدثنا نافع بن خالد قال : دخلنا على رابعة العدوية ، فذكرنا أسباب الرزق ، فخضنا فيه وهى ساكتة ، فلما فرغنا قالت رابعة : خيبةً لمن يدعى حُبّه ثم يتهمه فى رزقه !

قال أبو حاتم رضى عنه : قد ذكرت هذا الباب بالعلل والحكايات على التقصى فى كتاب « التوكل » فأغنى ذلك عن تكرارها فى هذا الكتاب .

* * *

Marfat.com

ذكر الحث على لزوم الرضا بالشدائد والصبر عليها

أنبأنا أحمد بن على بن المثنى[١] بالموصل ، حدثنا أحمد بن جميل المروزى[٢]، حدثنا ابن المبارك[٣] أنبأنا عمر بن حبيب[٤] عن القاسم[٥] بن أبى بزة عن سعيد[٦] ابن جبير عن ابن عباس[٧] قال : قال رسول الله ﷺ « أول ما خلق الله القلم ، ثم أمره فكتب ما يكون إلى يوم القيامة » .

رجال السند

(١) احمد بن على بن المثنى ـ تقدم ٠

(٢) احمد بن جميل المروزى ابو يوسف نزيل بغداد وثقه ابن معين وغيره ٠ **الميزان للذهبى** ٠

(٣) ابن المبارك ـ تقدم ٠

(٤) عمر بن حبيب القاضى المكى نزيل اليمن ثقة حافظ من ٧/نج ٠

(٥) القاسم بن أبى بزة المكى مولى بنى مخزوم القارى ثقة من ٥/ع ٠

(٦) سعيد بن جبير الاسدى مولاهم الكوفى ثقة ثبت فقيه / قتله الحجاج سنة ٩٥ من ٣/ع ٠

(٧) ابن عباس ـ هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له بالفهم فى القرآن صحابى جليل / ع٠

تخريج الحديث :

واخرجه احمد فى مسنده ٥/٣١٧ ٠

وابو داود فى كتاب السنة من سننه ٢/٥٢٨ ٠

والترمذى ٤٥٧ ـ ٤/٤٥٨ ٠

والاجرى فى الشريعة ١٧٧ كلهم عن عبادة بن الصامت ٠

واخرجه ابو نعيم فى الحلية ٨/١٨١ ٠

وابو يعلى ١/١٢٦ فى مسنده والبيهقى فى الاسماء والصفات ٢٧١ والاجرى فى الشريعة ١٧٨ عن ابن عباس واخرجه الاجرى فى الشريعة ١٧٧ عن ابى هريرة وصححه شيخنا فى السلسلة رقم ١/١٣٣ وابو داود الطيالسى فى مسنده فى كتاب خلق العالم ٢/٧٩ منحة المعبود ٠

Marfat.com

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يوقن أن الأشياء كلها قد فُرِغ منها ، فمنها ما هو كائن لامحالة ، ومالا يكون فلا حيلة للخلق فى تكوينه فإن دفعه الوقت إلى حال شدة يجب أن يَتَّزر بإزار له طرفان ، أحدهما : الصبر ، والآخر : الرضا ، ليستوفى كمال الأجر لفعله ذلك ، فكم من شِدَّة قد صعُبت وتعذر زوالها على العالم بأسره ، ثم فرج عنها السهل فى أقل من لحظة .

ولقد أنشدنى محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطى :

كم مِنْ أمر قد تضايقتْ به ... فأتانى الله منه بالفرج
ولعبدٍ مؤيس قربه ... قَدَّر الله ، فعاد بالنَّهج
فله الحمد على ذى سرمدا ... ما أضاء الصبح يوماً وبَلَج
وكذاك الله ربٌّ قادر ... يُصلح الأمر الذى فيه عوج
وله الحمد على آلائه ... يستديم اليسر منه والفَلَج

حدثنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير أنبأنا سفيان عن أبى إسحاق عن أبى الحجاج الأزدى قال : سألنا سلمان : ما الإيمان بالقدر ؟ قال : إذا علم العبد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه [وما أخطأه لم يكن ليصيبه] .

وأنشدنى الأبرش :

هَوِّن على نفسك من سعيها ... فليس ما قُدِّر مردود
وارْضَ بحكم الله فى خلقه ... فكل قضاء الله محمود

أنبأنا عبد الله بن قحطبة الطرحى حدثنا منصور بن قدامة الواسطى حدثنا محمد بن كثير عن معمر قال : لما حاصر الحجاجُ ابنَ الزبير بمكة جعلت الحجارة تضرب الحائط ، وقيل له : لاتأمن عليك أن يصيبك منها حجر ، فقال ابن الزبير :

هون عليك ، فإن الأمور بكفٍّ الإله مقاديرها
فليس بآتيك منهيها ولا قاصرٍ عنك مأمورها

أنبأنا عمرو بن محمد الأنصارى حدثنا الغلابى حدثنا إبراهيم بن بشار الرمادى حدثنا سفيان عن مسعر : أن رجلا ركب البحر ، فكسر به ، فوقع فى جزيرة من جزائر البحر ، فمكث فيها ثلاثاً لا يرى أحداً ، ولا يأكل طعاماً ، ولا يشرب شرابا ، فأيس من الحياة ، فتمثّل :

إذا شاب الغراب أتيتُ أهلى وصار القارُ كاللبن الحليب

وأجابه مجيب يقول :

عسى الكربُ الذى أمسيتَ فيه يكون وراءهُ فرج قريب

فنظر ، فإذا سفينة فى البحر ، فلوّح لهم ، فأتوه ، فحملوه ، وأصاب معهم خيراً ، ورجع إلى أهله سالماً .

وأنشدنى محمد بن جعفر الهمذانى — بصور — على ساحل بحر الروم :

لاتضيقنّ فى الأمور فقد تكـ شف غماؤه بغير اختيال
ربما تكره النفوس من الأمر ، له فُرجة كحَلّ العِقال

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

عسى فرج يأتى به الله ، إنه له كلّ يوم فى خليقته أمرُ
عسى ماترى ألا يدوم ، وأن ترى له فرجاً مما ألحّ به العُسْرُ
إذا اشتد عُسر فارْجُ يُسْرًا ، فإنه قضى الله أن العسر يتبعه اليسر

أنبأنا محمد بن صالح الطبرى بالصيمرة حدثنا محمد بن عثمان العجلى قال : لما حدث شريك بحديث الأعمش عن سلمان عن ثوبان : أن النبى ﷺ قال : « استقيموا

Marfat.com

قريش ما استقاموا لكم ، فإذا خالفوكم فضعوا سيوفكم على عواتقكم ، فأبيدوا خضراءهم ، فإن لم تفعلوا فكونوا زارعين أشقياء »فسعى به إلى المهدى، فبعث إلى شريك ، فأتاه ،فقال : حدثت بها ؟ قال : قلت : نعم . قال : ممن رويتها ؟ قلت : عن الأعمش ، قال : ويلى عليه ؟ لو عرفت مكان قبره لأخرجته فأحرقته بالنار ، قلت : إن كان لمأمونا على ما روى ، قال : يازنديق لأقتلنك ، قلت : الزنديق من يشرب الخمر ويسفك الدم، قال: والله لأقتلنك. قلت:أو يكفى الله! قال: فخرجنا من عنده فاستقبلنى الفضل بن الربيع، فقال : ليس لك موضع تهرب إليه ؟ قلت : بلى ، قال : فإنه قد أمر بقتلك ، قال : فخرجت إلى جبل ، فخرجت يوماً أتجسس الخبر، فأقبل ملاح من بغداد . فاستقبله ملاح آخر من البصرة ، فسأله : ما الخبر ؟ قال : مات أمير المؤمنين ، قلت : ياملاح قرّب . فقرب .

وأنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

تجرى المقادير إن عسراً وإن يُسُرا ... والمقادير أسبابٌ وأبوابُ
ما اشتدعسر ، ولا انسدّت مذاهبه ... إلا تفتّح من مسروره باب

وأنشدنى محمد بن عبد الله بن زنجى البغدادى :

ألاَ رب عسر قد أتى اليسر بعده ... وغَمْرةِ كَرْب فُرِّجت لِلكَظِيم
هو الدهر يوم ، يوم بؤس وشدة ... ويوم سرور للفتى ونعيم

أنبأنا أبو عوانة يعقوب بن إبراهيم حدثنا محمد بن عبد الوهاب النيسابورى حدثنا بشر بن عبد الحكم عن على بن عثام قال : رأى إبراهيم بن أدهم متنفط الرجلين ، رافعهما على ميل ؛ وهو يقول (٤٧ : ٣١ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوَ أخباركم) .

أنبأنا القطان بالرقة حدثنا أحمد بن أبى الحوارى حدثنا عبد العزيز بن عمير عن عطاء الأزرق عن عبد الواحد بن زيد قال : قلت للحسن : يا أبا سعيد ، من أين أُتى هذا الخلق ؟ قال : من قلة الرضا عن الله ، قلت : ومن أين أوتى قلة الرضا عن الله ؟ قال : من قلة المعرفة بالله .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : يجب على العاقل إذا كان مبتدئاً أن يلزم عند ورود الشدة عليه سلوك الصبر ، فإذا تمكن منه حينئذ يرتقى من درجة الصبر إلى درجة الرضا ، فإن لم يرزق صبراً فليلزم التصبر ، لأنه أول مراتب الرضا ، ولو كان الصبر من الرجال لكان رجلا كريماً ، إذ هو بَذْر الخير ، وأساس الطاعات .

ولقد أخبرنى محمد بن سعيد القزاز حدثنا طاهر بن الفضل بن سعيد ، حدثنا سفيان بن عيينة قال : سمعت رجلا من أهل الكتاب أسلم ، قال : أوحى الله إلى داود : ياداود اصبر على المؤونة ، تأتك منى المعونة .

وأنشدنى عبد الله بن الأحوص بن عمار القاضى :

صبراً جميلا على ما ناب من حَدَث ... والصبرُ ينفع أحياناً إذا صبروا
الصبر أفضل شىء تستعين به ... على الزمان إذا ما مَسَّكَ الضرر

وأنشدنى إبراهيم بن محمد بن سهل أنشدنى أبو يعلى الموصلى :

إنى رأيت ـ وفى الأيام تجربةٌ ـ ... للصبر عاقبةً محمودة الأثر
وقلَّ من جَدَّ فى شىء يحاوله ... فاستصحبَ الصبر إلا فاز بالظفر

وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

أتاك الرَّوح والفَرج القريب ... وساعدك القضاء ، فلا تخيب
صبرت ، فنلت بُغْيَتى كلَّ خير ... كذاك لكل مصطبر عقيب

أنبأنا عمرو بن محمد الأنصارى حدثنا الغلابى حدثنا محمد بن على قال : سمعت مضر أبا سعيد يقول : قال عبد الواحد بن زيد : ما أحببت أن شيئاً من الأعمال يتقدم الصبر إلا الرضا ، ولا أعلم درجة أشرف ولا أرفع من الرضا ، وهو رأس المحبة .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الصبر جماع الأمر ، ونظام الحزم ، ودِعامة العقل وبذر الخير ، وحيلة من لا حيلة له .

وأول درجته الاهتمام ، ثم التيقظ ، ثم التثبت ، ثم التصبر [ثم الصبر] ثم الرضا ، وهو النهاية فى الحالات .

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقبى حدثنا شعيب بن عبد الله البزار حدثنا غيلان عن معبد عن أبى المليح عن ميمون بن مهران قال « ما نال عبد شيئاً من جسيم الخير من نبى أو غيره إلا بالصبر » .

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

فما شدة يوماً ، وإن جَلَّ خطبُها ... بنازلة إلا سيتبعها يسرُ
وإن عسرت يوماً على المرء حاجةٌ ... وضاقت عليه كان مفتاحَها الصبر

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

تعزَّ ، فإن الصبر بالحرِّ أجمل ... وليس على رَيْبِ الزمانِ مُعَوَّلُ
فإن تكن الأيام فينا تبدَّلت ... بنُعمى وبؤسى ، والحوادث تفعل
فما لَيَّنت منَّا قناةً صليبة ... ولا ذلَّلتنا للذى ليس يَجمُل
ولكن رَحَلناها نفوساً كريمة ... تُحمَّل مالا تستطيع فتحمل

وأنشدنا عمرو بن محمد الأنصارى أنشدنا الغلابى :

إنى رأيت الخير فى الصبر مسرعاً ... وحسبك من صبر تحوز به أجرا

Marfat.com

عليك بتقوى الله فى كل حالة فإنك إن تفعل تُصيب به ذخراً

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الصبر على ضروب ثلاثة : فالصبر عن المعاصى ، والصبر على الطاعات ، والصبر عند الشدائد المصيبات .

فأفضلها الصبر عن المعاصى .

فالعاقل يدبر أحواله بالتثبت عند الأحوال الثلاثة التى ذكرناها بلزوم الصبر على المراتب التى وصفناها قبل ، حتى يرتقى بها إلى درجة الرضا عن الله جل وعلا فى حال العسر واليسر معاً ، أسأل الله الوصول إلى تلك الدرجة بمنه .

وأنشدنى عبد الله بن الأحوص :

تعزَّ بحسن الصبر عن كل هالك ففى الصبر مَسلاةُ الهموم اللوازم
إذا أنت لم تسلُ اصطباراً وخشية سلوتَ على الأيام مثل البهائم
وليس يذود النفس عن شهواتها من الناس إلا كلُّ ماضى العزائم

وأنشدنى ابن زنجى البغدادى :

غاية الصبر إذ يذ طعمها وَبَدِىءُ الصبر منه كالصَّبِرْ
إن فى الصبر لفضلا بَيِّنا فاحمل النفس عليه تصطبر

وأنشدنى الكريزى :

صبرت ومن يصبرْ يجد غِبَّ صبره ألذَّ وأحلى من جَنَى النحل فى الفم
ومن لا يطب نفساً ، ويستبق صاحبا ويغفر لأهل الود يُضْرَمْ وَيَصْرِمِ

أنبأنا محمد بن زنجويه القشيرى حدثنا عبد الأعلى عن حماد النرسى حدثنا حماد ابن سلمة عن ثابت البنانى عن معاذة امرأة صلة بن أشيم قالت : « لما أتاها نَعْى زوجها وابنها جاءها النساء ، فقالت : إن كنتُنَّ جئتن لتهنئتنا بما أكرمنا الله به وإلا فارجعن » .

Marfat.com

قال ثابت : وكان صلة يأكل يوماً فأتاه رجل ، فقال : مات أخوك ، قال : هيهات ، قد نُعى إلىّ ، اجلس فكل ، قال الرجل : ماسبقنى إليك أحد ،فقال قال الله (٣٩ : ٣٠ إنك ميت وإنهم ميتون) .

حدثنا عمرو بن محمد الأنصارى حدثنا الغلابى حدثنا ابن عائشة قال : كتب بعض الحكماء إلى أخ له يعزيه عن ابن له يقال له محمد :

اصبر لكل مصيبة ، وتجلَّد واعلم بأنَّ المرء غيرُ مُخلَّد
وإذا ذكرت محمداً ومصابَهُ فاذكر مصابك بالنبى محمد

وأنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

يعزِّى المعزى ، ثم يمضى لشأنه ويبقى المعزَّى فى أحرّ من الجمر
ويُرَمى المعزَّى بعد ذاك بسلوة ويَثْوى المعزَّى عنه فى وحشة القبر

وأنشدنى المنتصر بن بلال :

من يسبق السلوة بالصبر فاز بفضل الحمد والأجر
ياعجبى من هلع جازع يُصبحُ بين الذم والوزر
مصيبة الإنسان فى دينه أعظمُ من جائحة الدهر

وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

تجرى المقادير إن عُسراً وإنْ يسرا حاذرت واقعَها أو لم تكن حَذِرا
والعسر عن قدَر يجرى إلى يُسْرٍ والصبر أفضل شىء وافَقَ الظفرا

سمعت إسحاق بن أحمد القطان البغدادى بتستر يقول : كان لنا جار ببغداد كنا نسميه طبيب القراء ، وكان يتفقد الصالحين ويتعاهدهم ، فقال لى : دخلت يوماً على أحمد بن حنبل ، فإذا هو مغموم مكروب ، فقلت : ما لك يا أبا عبد الله ؟

Marfat.com

قال : خير ، قلت : وما الخبر ؟ قال : امتُحِنت بتلك المحنة ، حتى ضُربت ، ثم عالجوني ، وبرأت ، إلا أنه بقي في دُبُري موضع يُوجعني . هو أشدُّ عليّ من ذلك الضرب ، قال قلت : اكشف لي عن صلبك ، قال : فكشف لي ، فلم أرَ فيه إلا أثر الضرب فقط ، فقلت : ليس لي بذي معرفة ، ولكن سأستخبر عن هذا ، قال: فخرجت من عنده ، حتى أتيت صاحب الحبس ، وكان بيني وبينه فضل معرفة ، فقلت له : أدخل الحبس في حاجة ؟ قال : ادخل ، فدخلت وجمعت فتيانهم ، وكان معي دريهمات فرقتها عليهم ، وجعلت أحدثهم حتى أنسوا بي ، ثم قلت : من منكم ضرب أكثر ؟ قال : فأخذوا يتفاخرون حتى اتفقوا على واحد منهم أنه أكثرهم ضرباً ، وأشدهم صبراً ، قال : فقلت له : أسألك عن شيء ؟ فقال : هات فقلت : شيخ ضعيف ليس صناعته كصناعتكم ضرب على الجوع لقتل سياطاً يسيرة ، إلا أنه لم يمت ، وعالجوه وبرأ ، إلا أن موضعاً في صلبه يوجعه وجعاً ليس له عليه صبر ، قال : فضحك ، فقلت : مالك ؟ قال : الذي عالجه كان حائكا قلت : إيش الخبر ؟ قال : ترك في صلبه قطعة لحم ميتة لم يقلعها ، قلت : فما الحيلة ؟ قال : يُبَطُّ صلبه ، وتؤخذ تلك القطعة ويرمى بها ، وإن تركت بلغت إلى فؤاده فقتلته ، قال : فخرجت من الحبس ، فدخلت على أحمد بن حنبل فوجدته على حالته : فقصصت عليه القصة ، قال : ومن يبطه ؟ قلت أنا ، قال : أو تفعل؟ قلت : نعم ، قال : فقام ، فدخل البيت ، ثم خرج وبيده مخدتان ، وعلى كتفه فوطة ، فوضع إحداهما لي والأخرى له ، ثم قعد عليها ، وقال : استخر الله ، فكشف الفوطة عن صلبه ، وقلت : أرني موضع الوجع ، فقال : ضَعْ إصبعك عليه ، فإني أخبرك به ، فوضعت إصبعي ، وقلت : هاهنا موضع الوجع ؟ قال : هاهنا أحمد

الله على العافية ، فقلت : ههنا ؟ قال: هاهنا أحمد الله على العافية ، فقلت : هاهنا ؟ قال : هاهنا أسأل الله العافية ، قال : فعلمت أنه موضع الوجع ، قال : فوضعت المبضع عليه ، فلما أحس بحرارة المبضع وضع يده على رأسه ، وجعل يقول : اللهم اغفر للمعتصم ، حتى بططته ، فأخذت القطعة الميتة ورميت بها ، وشددت العصابة عليه ، وهو لايزيد على قوله : اللهم اغفر للمعتصم ، قال : ثم هدأ وسكن ، ثم قال : كأنى كنت معلقاً فأصدرت ، قلت : يا أبا عبد الله ، إن الناس إذا امتحنوا محنة دعوا على من ظلمهم ، ورأيتك تدعو للمعتصم ؟ قال: إنى أفكرت فيما تقول، وهو ابن عم رسول الله ﷺ ، فكرهت أن آتى يوم القيامة وبينى وبين أحد من قرابته خصومة . هو مِنِّى فى حِلٍّ .

* * *

Marfat.com

ذكر الحث فى العفو عن الجانى

حدثنا الفضل بن الحباب الجمحى[١] بالبصرة حدثنا القعنبى[٢] حدثنا عبدالعزيز[٣] ابن محمد عن العلاء[٤] بن عبدالرحمن[٥] عن أبيه عن أبى هريرة[٦] قال « أتى رجل فقال : يارسول الله ، إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى ، ويسيئون إلىّ ، وأحسن إليهم، ويجهلون علىّ ، وأحلم عنهم ؛ فقال رسول الله ﷺ لئن كان كما تقول ، فكأنما تسفهم الملّ ، ولا يزال من الله معك ظهير مازلت على ذلك » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل توطين النفس على لزوم العفو عن الناس كافة ، وترك الخروج لمجازاة الإساءة ، إذ لاسبب لتسكين الإساءة أحسنُ من الإحسان ، ولا سبب لنماء الإساءة وتهييجها أشدُّ من الاستعمال بمثلها .

ولقد أنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

سألزمُ نفسى الصفح عن كل مذنب وإن كثرت منه إلىّ الجرائم

رجال السند :

(١) الفضل بن الحباب الجمحى تقدم
(٢) القعنبى (١) ـ تقدم .
(٣) عبد العزيز بن محمد بن عبيد الداروردى أبو محمد الجهنى مولاهم المدنى صدوق يخطىء من ٨/ع
(٤) العلاء بن عبد الرحمن تقدم
(٥) عبد الرحمن تقدم
(٦) أبو هريرة ـ تقدم

تخريج الحديث :

وأخرجه أحمد فى المسند ٣٠٠ ، ٤١٢ ، ٢/٤٨٤ ومسلم فى كتاب البر ١٦/١١٥ عن أبى هريرة .

---

(١) الأصل ـ العقبى

فما الناس إلا واحـــد من ثلاثة : شريف ، ومشروف، ومثلٌ مقاوم
فأما الذى فوقى : فأعرف فضله وأتبع فيه الحقَّ ، والحقُّ لازم
وأما الذى دونى : فإن قال صنت عن إجابته عِرضى ، وإن لام لائم
وأما الذى مثلى : فإن زلَّ أو هفا تفضَّلتُ ، إن الحلم للفضل حاكم

أنبأنا محمد بن عثمان العتبى حدثنا محمد بن عامر الأنطاكى حدثنا ابن توبة حدثنا محمد بن مهاجر عن يونس بن ميسرة بن جليس قال : ثلاثة يحبهم الله : من كره سوءاً يأتيه إلى أخيه وصاحبه ، فذلك قَمِنٌ أن يستحى من الله ، ومن كان ذا رفعة من الناس فتواضع لله ، فذلك الذى عرف عظمة الله ، فيخاف مقته ، ومن كان عفوه قريباً من إساءته ، فذلك تقوم به الدنيا .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من أراد الثواب الجزيل ، واسْتِرْهانَ الوُدِّ الأصيل ، وتوقعَ الذكر الجميل ؛ فليحتمل من ورود نِقَلِ الردى ، ويتجرع مرارة مخالفة الهوى ، باستعمال السنة التى ذكرناها فى الصلة عند القطع ، والإعطاء عند المنع ، والحلم عند الجهل ، والعفو عند الظلم ، لأنه من أفضل أخلاق أهل الدين والدنيا .

ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا ابن أبى شيبة حدثنا إبراهيم بن محمد ابن ميمون عن داود بن الزبرقان قال : قال أيوب « لا يَنْبُل الرجل حتى يكونَ فيه خصلتان : العفة عما فى أيدى الناس ، والتجاوز عنهم » .

وأنشدنى محمد بن عبد الله بن زنجى البغدادى :

وإذا مذنب أتاه به الحق فغطاه عفـــوه فى ستوره
راجياً للثواب فى كل رُزْءٍ من خَفِىِّ الأمور ، أو مشهوره
فهو فى عاجل الحياة كريم ومن الفائزين يوم نشـــوره
خَصْلَةٌ جَزْلَةٌ بها خَصَّه الله لزين الدنيا ويوم كوره

أنبأنا محمد بن إسحاق بن خزيمة ، حدثنا عمر بن حفص الشيبانى ، حدثنا سفيان عن رجل ، قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول « أحب الأمور إلى الله ثلاثة : العفو فى القدرة، والقصد فى الجِدَةِ ، والرفق فى العبادة ، وما رَفَق أحد بأحد فى الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة » .

أنبأنا عمرو بن محمد الأنصارى، حدثنا الغلابى ، حدثنا ابن عائشة قال : كتب الحجاج إلى عبد الملك « إنك أعزّ ما تكون أحوجُ ما تكون إلى الله ، فإذا تعززت بالله فاعفُ ، فإنك به تعز ، وإليه ترجع » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الصفح عند ورود الإساءة عليه من العالَم بأسرهم، رجاء عفو الله جل وعلا عن جناياته التى ارتكبها فى سالف أيامه؛ لأن صاحب الصفح إنما يتكلف الصفح بإيثاره الجزاء ، وصاحب العقاب ، وإن انتقم كان إلى الندم أقرب ، فأما من له أخ يوَدُّه فإنه يحتمل عنه الدهر كلهُ زلاتِهِ .

ولقد أخبرنى محمد بن المنذر حدثنا أحمد بن داود التمار ، قال : سمعت مردويه الصائغ يقول : سمعت الفضيل بن عياض يقول : احتمل لأخيك إلى سبعين زَلّة ، قيل له : وكيف ذلك يا أبا على ؟ قال : لأن الأخ الذى آخيته فى الله ليس يزل سبعين زلة .

أنشدنى على بن محمد البسامى :

إذا لم تجاوزْ عن أخ لكَ عَثْرَةً ... فلستَ غداً من عثرتى متجاوزا
وكيف يرجيك البعيدُ لنفعه ... إذا كان عن مولاك برّك عاجزا

أنبأنا محمد بن صالح الطبرى ، حدثنا الرمادى ، حدثنا الجعفى يحيى بن سليمان ،

Marfat.com

حدثنا ابن أبجر حدثنى أبى قال : « أقبل الشعبى يوماً ، فإذا هو برجلين من قومه من وراء جدار قصير ، قال : فاستمع عليهما، فإذا هما يقعان فيه ويشتمانه، وينتقصانه حتى أكثرا ، فلما أطالا أشرف عليهما الشعبى ، فقال :

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر لعزة من أعراضنا ما استحلت

فقالا : والله يا أبا عمرو ، لا نَقَعُ فيك بعد اليوم » .

وأنشدنى بعض أهل العلم :

ولربما ابتسم الوقورُ من الأذى وضميرُه من حَرِّه يتأوه
ولربما خَزَنَ الحليم لسانه حَذَرَ الجواب وإنه لَفَوه

وأنبأنا أبو عوانة يعقوب بن إبراهيم ، أنبأنا عبد الله بن الحسين المصيصى ، أنبأنا يعقوب بن أبى عباد ، قال : قال الفضيل بن عياض : مَنْ طلب أخاً بلا عيب بقى بلا أخ .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أغنى الناس عن الحقد مَنْ عظم عن المجازاة ، وأجلُّ الناس مرتبة من صَدَّ الجهل بالحلم ، وما الفضل إلا لمن يحسن إلى من أساء إليه، فأما مجازاة الإحسان إحساناً فهو المساواة فى الأخلاق ، فلربما استعملها البهائم فى الأوقات ، ولو لم يكن فى الصفح وترك الإساءة خصلة تحمد إلا راحةُ النفس ووداع القلب لكان الواجب على العاقل ألا يكدِّر وقته بالدخول فى أخلاق البهائم، بالمجازاة على الإساءة إساءة ، ومن جازى بالإساءة إساءة فهو المسىء ، وإن لم يكن بادئاً .

كما أنشدنى الكريزى :

أسأت ، وأنكرتُ أنى أسأتُ فأفضل ، ولا تك عينَ المسىء
لك الفضل بالعفو مما عفوت وإلا فأنت القرين السوى

وعفــوك مقتــاراً نعمــة وعفو المنــاد غــير الهنى

سمعت محمد بن عثمان العقبي ، قال : سمعت هلال بن العلاء الباهلي يقول: جعلت على نفسي منذ أكثر من عشرين سنة ألا أكافىء أحداً بسوء ، وذهبتُ إلى هذه الأبيات :

لما عفوتُ ، ولم أحقــد على أحد أرحتُ قلبيَ من غَمِّ العداوات
إنى أحيي عدوى عنــد رؤيتــه لأدفع الشر عنى بالتحيــات
وأظهر البشر للإنسان أبغضــه كأنما قد حشى قلبى محبــات

أنبأنا ابن قتيبة ؛ حدثنا ابن أبى السرى،قال: سمعت أبا عمر الصنعانى يقول : حدثنا زيد بن أسلم قال : قال لقمان لابنه « كذب من قال : إن الشر يطفىء الشر فإن كان صادقاً فايوقد ناراً إلى جنب نار ، فلينظر هل تطفىء إحداها الأخرى ؟ وإلا فإن الخير يطفىء الشر ، كما يطفىء الماء النار » .

حدثنى محمد بن أبى على الخلادى ، حدثنا محمد بن خلف البسامى ، حدثنا محمد ابن عبدالله الدارى ، حدثنا محمد بن عمران الضبى ، قال : قال ابن السماك: لِنْ لمن يجفو ، وقَلِّ من يصفو .

وأنشدنى الأبرش :

توخّ من السبل أوساطــها وعدّ عن الحائر المشتبه
وسمعك صن عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به
فإنك عنــد استماع القبيح شريك لقائله ، فانتبه
فكم أزعج الحرص من طالب فوافى المنيــة فى مطلبــه

أنبأنا عمر بن حفص البزاز بجنديسابور ، حدثنا جعفر بن محمد بن حبيب الذارع ، حدثنا عبد الله بن رشيد ، حدثنا مجاعة بن الزبير ، قال : قال لقمان لابنه « أى بنى ، أى شىء أقل ؟ وأى شىء أكثر؟ وأى شىء أحلى؟ وأى شىء أبرد؟ وأى شىء آنس ؟ وأى شىء أوحش ؟ وأى شىء أقرب ؟ وأى شىء أبعد ؟ قال :

Marfat.com

أما أقل شيء فاليقين ، وأما أى شيء أكثر فالشك، وأما أى شيء أحلى فروح الله بين العباد يتحابون بها ، وأما أى شيء أبرد فعفو الله عن عباده ، وعفو الناس بعضهم عن بعض ، وأى شيء آنس حبيبك إذا أُغلق عليك وعليه باب واحد ، وأى شيء أوحش جسد إذا مات ، فليس شيء أوحش منه ، وأى شيء أقرب فالآخرة من الدنيا ، وأى شيء أبعد فالدنيا من الآخرة » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يحسن عند الجفوة ، ويغضى عند المجازاة عليها بمثلها .

وقد قيل : إن من لم يغضب من الجفوة لم يشكر النعمة .

وهو عندى ـ والله أعلم ـ غضب لايخرجه إلى المعاصى . ولا إلى الانتقام من الجانى ، كأنه فى نفسه يعلم محل الجفوة منه ، كما يعقل ورود النعمة عليه ، وما أقبح قدرة اللئيم إذا قدر ، ومن أساء سمعاً أساء إجابة ، ومن أتى المكروه إلى أحد فبنفسه بدأ ؛ لأن الشرور تبدو صغاراً ثم تعود كباراً .

ولقد أنبأنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا محمد بن إدريس الرازى ، حدثنا عبد الرحمن بن يحيى وإسماعيل بن عبيد الله المخزومى ، قالا : حدثنا عبد الأعلى ابن مسهر ، عن سعيد بن عبد العزيز قال: سمعت إسماعيل بن عبيد الله يقول لبنيه: « يا بنى أكرموا من أكرمكم ، وإن كان عبداً حبشياً ، وأهينوا من أهانكم ، وإن كان رجلا قرشيًّا » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه: هذا الذى قال إسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر إن استعمله العاقل فى الأحوال كلها مع الجاهل فلا ضير ، فأما من ارتفع عن حد الجهال ، واتضع عن حد العقلاء ، فالإغضاء عن مثله فى الأوقات أحمد مخافة الازدياد

منه، ولأن يصبر المرء على حرارة الجفاء ومرارتها أولى من الانتقام مما يستجلب عليه بما هو أحر وأمرّ مما مضى ؛ لأن من الكلام ما هو أشد من الحجر ، وأنفذ من الإبر ، وأمر من الصبر .

ولقد أحسن الذى يقول :

لقد أسمع القول الذى كاد كلما ... تذكرنيه النفس قلبى تصدّع
فأبدى لمن أبداه منى بشاشة ... كأنى مسرور بما منه أسمع
وما ذاك عن عجز به ، غير أننى ... أرى أن ترك الشر للشر أقطع

أنبأنا محمد بن صالح الطبرى بالصيمرة ، حدثنا أحمد بن مقدام المجلى ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوى عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبى عمرو فى هذه الآية (٧ : ١٩٩ خذ العفو وأمر بالعرف) قال : « أمر النبى ﷺ بالعفو عن أخلاق الناس » .

* * *

ذكر صفة الكريم واللئيم

أنبأنا محمد بن الحسن بن الخليل[١] بنسا ، حدثنا أبو كريب[٢] ، حدثنا عبدة ابن سليمان[٣] عن عبيد الله[٤] بن عمر ، عن سعيد المقبرى[٥] ، عن أبى هريرة[٦] قال « قيل يارسول الله ، أى الناس أكرم ؟ قال : أكرمهم عند الله أتقاهم ، قالوا : ليس عن هذا نسألك . قال : فعن معادن العرب تسألوننى ؟ قالوا : نعم ، قال : خياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام ، إذا فقهوا » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أكرم الناس من اتقى الله ، والكريم : التقى . والتقوى : هى العزم على إتيان المأمورات ، والانزجار عن جميع المزجورات

رجال السند :

(١) محمد بن الحسن بن الخليل بنسا . لم أجد له ترجمة فيما لدى من المراجع

(٢) أبو كريب ـ هو محمد بن العلا بن كريب الهمدانى الكوفى مشهور بكنيته ثقة حافظ من ١٠/ع

(٣) عبدة بن سليمان الكلابى أبو محمد الكوفى يقال اسمه عبد الرحمن ثقة ثبت من ٨/ع

(٤) عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العمرى المدنى أبو عثمان ثقة ثبت من ٥/ع

(٥) سعيد المقبرى هو ابن أبى سعيد كيسان أبو سعد المدنى ثقة من ٣/ع تغير قبل وفاته بأربع سنين يرسل عن عائشة وأم سلمة/ع

(٦) أبو هريرة تقدم

تخريج الحديث :

وأخرجه البخارى فى كتاب الانبياء ٣٨٧ . ٤١٤ . ٤١٧ وفى كتاب المناقب ٦/٥٢٥ وفى كتاب التفسير ٨/٣٦٢ وأبو داود الطيالسى فى كتاب العلم ١/٣٤ ومسلم فى فضائل يوسف ١٥/١٣٤ عن أبى هريرة . واحمد ٤/١٠١ عن معاوية . والخطيب فى الفقه والمتفقه ١/٩ عن أبى هريرة وجابر .

Marfat.com

فمن صح عزمه على هاتين الخصلتين فهو التقى الذى يستحق اسم الكرم ، ومن تعرى عن استعمالها ، أو إحداها ، أو شعبة من شعبهما ، فقد نقص من كرمه مثله .

ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا عيسى بن محمد بن سهل الأزدى عن أبيه عن المدائنى ، قال : قال زيد بن ثابت « ثلاث خصال لا تجتمع إلا فى كريم : حسن المحضر ، واحتمال الزلة ، وقلة الملالة » .

وأنشدنى ابن زنجى البغدادى :

رأيت الحق يعرفه الكريم ... لصاحبه وينكره اللئيم
إذ كان الفتى حسناً كريماً ... فكل فعاله حسن كريم
إذا ألفيته سمجاً لئيما ... فكل فعاله سمج لئيم

قال أبو حاتم رضى الله عنه: الكريم لا يكون حقوداً ولا حسوداً، ولا شامتاً ، ولا باغياً ، ولا ساهياً ، ولا لاهياً ، ولا فاجراً ، ولا فخوراً ، ولا كاذباً ، ولا ملولا ولا يقطع إلفه ، ولا يؤذى إخوانه ، ولا يضيع الحفاظ ، ولا يجفو فى الوداد ، يعطى من لا يرجو ، ويؤمن من لا يخاف ، ويعفو عن قدرة ، ويصل عن قطيعة .

أخبرنى محمد بن أبى على الخلادى ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلى عن على ابن محمد المرحبى عن محمد بن إبراهيم العباسى عن عبدالله بن الحجاج - مولى المهدى - عن إبراهيم بن شكلة ، قال « إن لكل شىء حياة وموتا ، وإن مما يحيى الكرم مواصلة الكرماء ، وإن مما يحيى اللؤم معاشرة اللئام » .

وأنشدنى الكريزى :

وما بال قوم لئام ليس عندهم ... عهد ، وليس لهم دين إذا ائتمنوا
إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحاً ... منا ، وما سمعوا من صالح دفنوا

Marfat.com

صُمٌّ إذا سمعوا خيراً ذُكرتُ به وإن ذُكرتُ بسوء عندهم أذنوا

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الكريم يلين إذا استُعْطِف ، واللئيم يقسو إذا أُلْطِف ، والكريم يجِلُّ الكرام ، ولا يُهين اللئام ، ولا يؤذى العاقل، ولا يمازح الأحمق ، ولا يعاشر الفاجر ، مؤثراً إخوانه على نفسه باذلا لهم ما ملك، إذا اطلع على رغبة من أخ لم يدع مكافأتها ، وإذا عرف منه مودة لم ينظر فى قلق العداوة ، وإذا أعطاه من نفسه الإخاء لم يقطعه بشىء من الأشياء .

كما أنشدنى الخلادى ، أنشدنا أحمد بن أبى على القاضى ، قال : أنشدنا محمد ابن مقيس الأزدى :

فإن الذى بينى وبين عشيرتى وبين بنى عمى لمختلف جدا
إذا قدحوا لى نار حرب بِزَنْدهم قدحتُ لهم فى كل مكْرُمة زَندا
وإن أكلوا لحمى وفَرْتُ لحومهمْ وإن هدموا مَجدى بنيتُ لهم مجدا
ولا أحمل الحِقْد القديم عليهمُ وليس رئيسُ القوم من يحمل الحقدا
وأعطيهمُ مالى إذا كنت واجدا وإن قلَّ مالى لم أكلفهمُ رفدا

أنبأنا ابن حوصا ، حدثنا النحاسى ، حدثنا ضمرة عن إبراهيم بن أبى علية قال : رأيت سالم بن عبد الله ومحمد بن عبد العزيز يتسايران بأرض الروم ، فأبال أحدهما دابته ، فأمسك عليه الآخر حتى لحقه .

أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا أحمد بن أبى بكر بن خالد اليزيدى عن قطبة ابن العلاء بن النهال ، قال : سمعت المبارك بن سعيد يقول سمعت الأعمش يقول : قال الشعبى « إن كرام الناس أسرعهم مودة ، وأبطؤهم عداوة ، مثل الكوب من الفضة يبطىء الانكسار ، ويسرع الانجبار ، وإن لئام الناس أبطؤهم مودة ،

Marfat.com

وأسرعهم عداوة، مثل الكوب من الفخار: يسرع الانكسار، ويبطىء الانجبار».

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الكريم مَنْ أعطاه شكره ، ومن منعه عذره، ومن قطعه وصله ، ومن وصله فضله ، ومن سأله أعطاه ، ومن لم يسأله ابتدأه، وإذا استضعف أحداً رحمه ، وإذا استضعفه أحد رأى الموت أكرم له منه ، والائم بضد ما وصفنا من الخصال كلها .

ولقد أنبأنا أحمد بن قريش بن عبد العزيز ، حدثنا إبراهيم بن محمد الذهلى ، حدثنا أحمد بن الخليل ، حدثنا يحيى بن أيوب عن أبى عيسى قال : كان إبراهيم ابن أدهم كريم النفس ، يخالط الناس بأخلاقهم ويأكل معهم ، قال : فربما اتخذ لهم الشواء والجواذبات والخبيص ، وربما خلا وأصحابه الذين يأنس بهم فيتصارعون قال: وكان يعمل عمل رجلين ، وكان إذا صار إلى نفسه أكل عجينا .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أجمع أهل التجارب للدهر ، وأهل الفضل فى الدين ، والراغبون فى الجميل : على أن أفضل ما اقتنى لنفسه فى الدنيا ، وأجلّ ما يَدَّخر لها فى العقبى هو لزوم الكرم ، ومعاشرة الكرام ؛ لأن الكرم يحسن الذكر ، ويشرف القدر ، وهو طباع ركّبها الله فى بنى آدم ، فمن الناس من يكون أكرم من أبيه ، وربما كان الأب أكرم من ابنه ، وربما كان المملوك أكرم من مولاه ، وربّ مولًى أكرمُ من مملوكه .

ولقد أحسن الذى يقول :

رب مملوك إذا كشفته ... كان من مولاه أولى بالكرمْ
فهو ممدوح على أحواله ... وترى مولاه يُهْجَى ويُذَم
وتراه كيف يعلو دائماً ؟ ... وترى مولاه من تحت القدم

Marfat.com

وفتى تلقى أباه دونـــه وأباً تلقـــاه أعلى وأتم
من بنيه ، ثم لا يعتلُّ إن طُلب المعروف منه بالصمم
وكذاك الناس ـ فاعلم ـ ربُّنا قدر الأخلاق فيهم وقسم

وأنشدنى الأبرش :

رأيت اللين لا يرضى بضـــيم لأن الضيم يسخطه الـكريم
وإن اللين أكرم كل شىء فليس يحبـــه خلق لئـــيم
فإن نَزَلَ الأذى واللين قلباً فإن اللين يرحـــل لا يقيم
ويبقى للأذى فى القلب صحب من البغضاء يلبث لا يَرِيمُ

حدثنا القطان بالرقة ، حدثنا أحمد بن أبى الحوارى ، قال : سمعت أبى يقول : ما من أحد إلا وله توبة ، إلا سيىء الخلق ؛ فإنه لايتوب من ذنب إلا دخل فى شر منه .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الـكريم محمود الأثر فى الدنيا ، مرضى العمل فى العقبى ، يحبه القريب والقاصى ، ويألفه المتسخط والراضى ، يفارقه الأعداء والآثام ، ويصحبه العقلاء والـكرام .

وما رأيت شيئاً أكثر عملا فى نقص كرم الـكريم من الفقر ، سواء كان ذلك بالقلب أو بالموجود .

ولقد أنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

لعمرك ، إن المالَ قد يجعل الفتى نسيباً ، وإن الفقر بالمرء قد يُزرِى
ولا رَفَع النفسَ الدنِيَّة كالغنى ولا وضع النفسَ الـكريمة كالفقر

حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا حميـــد ابن عبد الرحمن عن زكريا بن أبى زائدة عن على بن الأقمر عن أبى جحيفة قال : « جالسوا الـكبراء ، وخالطوا الحـكماء ، وسائلوا العلماء » .

Marfat.com

ذكر الزجر عن قبول قول الوُشاة

أنبأنا أبو يعلى[١] ، حدثنا عبد الله بن محمد[٢] بن أسماء ، حدثنا مهدى[٣] ابن ميمون ، حدثنا واصل[٤] الأحدب عن أبى وائل[٥] عن حذيفة[٦] « أنه بلغه أن رجلا يَنِمُّ الحديثَ ، فقال حذيفة : سمعت رسول الله ﷺ يقول « لايدخل الجنة نَمَّام » .

رجال السـند :

(١) أبو يعلى • تقدم
(٢) عبد الله بن محمد بن أسماء أبوعبيد الضبعى أبو عبد الرحمن القصرى ثقة جليل من ١٠/خ م د س
(٣) مهدى بن ميمون • الأزدى المعوى أبو يحيى البصرى ثقة من ٦/ع
(٤) واصل الأحدب ـ ابن حيان الاسدى الكوفى ثقة ثبت من ٦/ع
(٥) أبو وائل ـ هو شقيق بن سلمة الاسدى والكوفى ثقة مخضرم مات فى خلافة عمر بن عبد العزيز وله ١٠٠ سنة/ع
(٦) حذيفة • بن اليمان واسم اليمان حسيل العبسى حليف الانصار صحابى جليل ووالده صحابى استشهد فى أحد ومات حذيفة فى اول خلافة على بن أبى طالب سنة ٣٦ هـ/ع

تخريج الحديث :

وأخرجه أحمد فى مسنده ٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٦ ، ٣٩٩ ، ٤٠٦/ والبخارى فى كتاب الأدب من صحيحه ١٠/٤٧٢ ومسلم فى كتاب الايمان من صحيحه ١١٢ ـ ٢/١١٣ وأبو داود فى كتاب الأدب من سننه ٢/٥٦٦ والترمزى فى كتاب البر من سننه ٤/٣٧٥ وأبو نعيم فى الحلية ٤/١٧٩ والخطيب فى تاريخه ٦/٢٦٣ ، ١١/٢٣٧ كلهم عن حذفة بن اليمان رضى الله عنه الا ان بعضهم قال : نمام ، والبعض قال ـ قتات ـ ومعناه النمام •

والبخارى فى الأدب المفرد رقم ٣٢٢ ص ١/٤١٠ عن حذيفة •

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على الناس كافة : مجانبة الإفكار فى السبب الذى يؤدى إلى البغضاء والمشاحنة بين الناس ، والسعى فيما يفرق جمعهم ويشتت شملهم ، والعاقل لايخوض فى الإفكار فيما ذكرنا ، ولا يقبل سعاية الواشى بحيلة من الحيل ، لعلمه بما يرتكب الواشى من الإثم فى العقبى بفعله ذلك .

ولقد أنبأنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا عباس بن الوليد بن مزيد عن أبيه عن الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير قال : قال سليمان بن داود لابنه « يا بنى ، إياك والنميمة ، فإنها أحدّ من السيف » .

وأنشدنى الكريزى :

من نَمَّ فى الناس لم تؤمن عقاربه ... على الصديق ، ولم تؤمن أفاعيه
كالسيل فى النيل لا يدرى به أحد ... من أين جاء ، ولا من أين يأتيه ؟
فالويل للعهد منه كيف ينقضه ؟ ... والويل للود منه كيف يفتيه ؟

أخبرنا أحمد بن إسحاق الناقد بواسط ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبى إسحاق عن عمرو بن ميمون قال « لما تعجل موسى ابن عمران إلى ربه رأى رجلًا تحت العرش ، فغبطه بمكانه ، فسأل ربه أن يخبره باسمه ، قال : لكنى أخبرك من عمله بثلاث خصال : كان لايحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ، ولا يعق والديه ، ولا يمشى بالنميمة » .

أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن يعقوب الربعى ، حدثنا محمد بن إدريس المعدل عن العتبى قال « سمعت أعرابية توصى ابنًا لها ، فقالت : عليك بحفظ السرّ وإياك والنميمة ، فإنها لاتترك مودة إلا أفسدتها ، ولا ضغينة إلا أوقدتها » .

ثم لابد لمن عرف بها ونسب إلى مقارفتها من أن يُحترس من مجالسته ، وألا يوثق بمودته ، وأن يزهد فى مواصلته ومعاشرته .

Marfat.com

ولذلك يقول أخو ربيعة :

تمشَّيتَ فينا بالنميم ، وإنما تُفَرِّق بين الأصفياء النمائم
وما زلتَ منسوباً إلى كل آفة وما زال منسوباً إليك الملائم
لأنك لم تندم لشرٍّ فعلتـه وما تأت من خير فإنك نادم

أنبأنا عمرو بن محمـد ، حدثنا الغلابى ، حدثنا محمد بن عبيد الله الجشمى ، حدثنا على بن محمد المدائنى قال : « وشى واش بعبد الله بن همام السلولى إلى زياد ، قال : فبعث زياد إلى ابن همام ، فجاء فأدخل الرجل بيتاً ، فقال له زياد : يا ابن همام . بلغنى أنك هجوتنى ، فقال له : كلا ، أصلحك الله ! ما فعلتُ ، وما أنت لذلك أهل ، قال : فإن هذا أخبرنى — وأخرج الرجل — فأطرق ابن همام هنيهة ، ثم أقبل على الرجل ، فقال :

وأنت امرؤ : إما ائتمنتك خاليا فَخُنتَ ، وما قلتَ قولًا بلا علم
فأنت من الأمر الذى كان بيننا بمنزلةٍ بين الخيانة والإثم

قال : فأعجب زياد بجوابه ، وأدناه ، وأقصى الساعى ، ولم يقبل منه .

وأنشدنى ابن زنجى البغدادى :

يمشون فى الناس يبغون العيوبَ لمن لا عيب فيه ، لكى يستشرفَ العطب
إن يعلموا الخيرَ يخفوه ؛ وإنْ علموا شراً أذاعوا ؛ وإن لم يعلموا كذبوا

أخبرنى محمد بن أبى على ، حدثنا ابن أبى شيبة أبو جعفر ، حدثنا الحسن ابن صالح قال : سمعت حُجين بن المثنى يقول « سعى رجل بالليث بن سعد إلى والى مصر ، فبعث إليه فدعاه ، فلما دخل عليه قال له : يا أبا الحارث ، إن هذا أبلغنى عنك كذا وكذا ، فقال له الليث : سله — أصلح الله الأمير ! — عما أبلغك : أهو

Marfat.com

شيء ائتمناه عليه فخاننا فيه ، فما ينبغي لك أن تقبل من خائن ، أو شيء كذب علينا فيه ، فما ينبغي لك أن تقبل من كاذب ، فقال الوالي : صدقت يا أبا الحارث»

أخبرنا ابن حوصا، حدثنا عبدالله بن هانيء بن عبدالرحمن عن ابن أبي عُلَيَّة عن أبيه عن عمه إبراهيم بن أبي علية قال : « كنت جالساً مع أم الدرداء فأتاها آت فقال : يا أم الدرداء ، إن رجلا نال منكِ عند عبد الملك بن مروان ، فقالت : إن نُؤْبن بما ليس فينا فطالما زُكِّينا بما ليس فينا » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الإغضاء عما ينقل الوشاة وصرف جميعها إلى الإحسان ، وترك الخروج إلى مالا يليق بأهل العقل ، مع ترك الإفكار فيما يُزرى بالعقل، لأن من وشى بالشيء إلى إنسان بعينه يكون قصده إلى المخبَر أكثر من قصده إلى المخبر به ، لمشافهته إياه بالشيء الذي يَشُقّ عليه علمه وسماعه .

ولقد أحسن الذي يقول :

من يُخبرك بشتم عن أخ فهو الشاتم ، لا من شَتَمك
ذاك شيء لم يشافهك به إنما اللوم على من أعلمك
كيف لم ينصرك ؟ إن كان أخا ذا وفاء عند من قد ظلمك
إنما رام بإبلاغ الذي نمّ فيه ـ فاعلَمَنْ ـ أن يُرْغمك
فأهنه ، إنه من لؤمه إن تهنه يهوان أكرمك
لكن الحرُّ إذا أكرمته لم يُصغِّرك ، ولكن فَخْمك

أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن عبد الله السويدي قال : سمعت العباس ابن ميمون يقول : شيع المأمون الحسن بن سهل ذا الوزارتين ، فلما بلغا غاية التشييع،

Marfat.com

قال له المأمون : ياحسن ، ألك حاجة ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، تحفظ عليّ من قلبك مالا أستطيع إدراكه إلا بك ، ويكون بيني وبينك قول كُثَيِّر عزة :

وكوني على الواشين لَدّاء شَغْبة كما أن للواشي ألدُّ لَشَغُوب

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا محمد بن خزيمة البصري حدثنا حذيفة حدثنا عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبي كثير قال : « الذي يعمله النمام في ساعة لايعمله الساحر في شهر » .

أخبرنا محمد بن عثمان العقبي ، حدثنا محمد بن الحسن الهلالي حدثنا أبو عوانة البصري ، حدثنا داود بن شبيب ، حدثنا حماد بن سلمة قال « باع رجل من رجل غلاماً له ، وقال : أبرأ إليك من النميمة ، فاشتراه على ذلك ، فجاء إلى مولاته ، فقال : إن زوجك ليس يحبك ، وهو يتسرّى عليك ويتزوج ، أفتريدين أن يعطف عليك ؟ قالت : نعم ، قال : خذي موسى فاحلقي به شعرات من باطن لحيته وبخّريه بها ، وجاء إلى الرجل ، فقال : إن امرأتك تبغي ، وتصادق ، وهي قاتلتك ، أفتريد أن يبين لك ذلك ؟ قال : نعم ، قال : تناوم لها ، قال : فتناوم لها ، فجاءت بموسى تحلق الشعر ، فأخذها فقتلها ، فأخذه أولياؤها فقتلوه » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : هذا وأمثاله من ثمرة النميمة ، لأنها تهتك الأستار وتفشي الأسرار ، وتورث الضغائن ، وترفع المودة ، وتجدد العداوة ، وتبدد الجماعة ، وتهيج الحقد ، وتزيد الصد ، فمن وُشِيَ إليه عن أخ كان الواجب عليه معاتبته على الهفوة إن كانت ، وقبول العذر إذا اعتذر ، وترك الإكثار من العتب ، مع توطين النفس على الشكر عند الحفاظ ، وعلى الصبر عند الضياع ، وعلى المعاتبة عند الإساءة .

Marfat.com

وأنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

كافِ الخليـــل على المـــودة مثلَها وإذا أساء فكافِه بعتابه
وإذا عتبت على امرىء أحببته فتوقَّ ظاهـــر عيبه وسبابه
وألن جناحك ما اســـتلان لوده وأجب أخاك إذا دعا بجـــوابه

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

أعاتب إخوانى ، وأبقى عليهمُ ولستُ لهم بعـــد العتاب بقاطع
وأغفر ذنب المـــرء إن زَلَّ زلة إذا ما أتاها كارهاً غـــير طائع
وأجزع من لوم الحليم وعـــذله وما أنا من جهـــل الجهول بجازع

أخبرنى محمد بن على الخلادى ، أخبرنى محمد بن يزيد النحوى عن العتبى عن أبيه قال : عتب ابن الزبير على معاوية فى شىء ، فدخل عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين : اسمع أبياتاً أعتبتك فيها ، قال : هات ، فأنشده :

لعمرك ما أدرى ، وإنى لأوجـــل على أيّنا تعْـــدو المنيـــة أول
وإنى على أشـــياء منك تريبنى كثيراً لذو صفح على ذاك مُجمل
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طَرَف الهجران لو كان يعقل

فقال له معاوية : لقد شعرت بعدى يا أبا بكر ، فدخل عليه مَعْن بن أوس المزنى بعد ذلك ، فقال له معاوية : هل أحدثت بعدنا شيئًا ؟ قال : نعم ، ثم أنشده :

* لعمرك ما أدرى وإنى لأوجل *

فقال علىّ بابن الزبير ، فقال : أليس هذا لك فيما زعمت ؟ قال : أنا ألّفت المعنى ، وهو ألف القوافى ، وهو بعدُ ظِئْرى ، ومهما قال من شىء فأنا قلته ، فضحك معاوية ، وكان مَعْن بن أوس مُسْتَرضعاً فى مُزَينة .

سمعت الحسين بن إسحاق الأصفهانى يقول : كتب على بن حجر السعدى إلى بعض إخوانه :

أحنُّ إلى عتابك ، غـــير أنى أجِلُّك عن عتابٍ فى كتاب
ونحن إذا التقينا قبـــل مـــوت شفيتُ غليلَ صدرى من عتابى
وإن سبقتْ بنـــا أيدى المنايا فـكم من عاتب تحت التراب

وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

صحائف عنـــدى للعتاب طويتها ستنشر يوماً ، والعتاب يطولُ
كتاب لعمرى لابَنَانٌ يَخُطّه وسوف يؤديه إليك رســـول
سأكتب إن لم يجمع الله بيننا وإن نجتمع يوماً فسوف أقول

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل ألا يقصّر عن معاتبة أخيه على زلته ، لأن من لم يعاتب على الزلة لم يكن يحافظ للخُلَّة ، ومن أعتب لم يذنب ، كما أن من اغتفر لم يعاقب ، وظاهر العتاب خير من مكتوم الحقد ، ورُبَّ عَتْب أنفعُ من صفح ؛ ولذلك أنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

إذا ما امرؤ ساءتك منه خليقةٌ فـكاتمته ، فالوهْنَ فى ذاك تركبُ
لعلك لو عاتبتـــه ، ثم لمْتـــه لَسرّك ، حتى لم تكن تتعتَّبُ

وأنشدنى الـكريزى :

فإن تكن العتبى فأهلا ومرحبا وحقّ لهـــا العتبى لدينا وقَلّتِ
وإن تـكن الأخرى ، فإن وراءنا مفاوز لو سارت بها العِيس كَلّت

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لايجب على العاقل أن يناقش على تصحيح الإعتاب بالإكثار مخافةَ أن يعود المعاتب إلى ماعوتب عليه ؛ لأن من عاتب على

Marfat.com

كل ذنب أخاه ، فحقيق أن يمَلّه ويقلاه ، وإن من سوء الأدب كثرة العتاب .
كما أن من أعظم الجفاء ترك العتاب ، والإكثار فى المعاتبة يقطع الود ، ويورث الصد.

ولقد أنشدنى عبد الله بن أحمد النقيب البغدادى لابن المعتز :

معاتبة الإلفين تحسنُ مرّة فإن أكثروا إدمانها أفسد الحبّا
إذا شئتَ أن تُقْلَى فزر مُتتابعاً وإن شئت أن تزداد حُبًّا فزر غِبًّا

وأنشدنى محمد بن أبى على الصيداوى :

إذا كنت فى كل الأمور معاتباً خليلك لَمْ تلق الذى لاتعاتبه
فعش واحداً ، أو صِلْ أخاك فإنه مقارف ذنبٍ مرةً ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مِراراً على القَذَى ظَمِئت ، وأى الناس تصفو مشاربه؟

أخبرنا محمد بن المهاجر حدثنا محمد بن الحسن الذهلى عن أبى السائب قال : قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : « لاتكثر العتاب ، فإن العتاب يورث الضغينة والبغضة ، وكثرته من سوء الأدب » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت ما يشاكل هذه الحكايات فى كتاب « مراعاة الإخوان » فأغنى ذلك عن تكرارها فى هذا الكتاب .

* * *

Marfat.com

ذكر استحباب قبول الاعتذار من المعتذر

أنبأنا على[1] بن الحسن بن عبد الجبار ـ بنصيبين ـ حدثنا على بن حرب الطائى[2] حدثنا وكيع[3] عن الثورى[4] عن ابن جريج[5] عن العباس[6] بن عبد الرحمن بن مينا عن جودان[7] قال : قال رسول الله ﷺ « من اعتذر إلى أخيه فلم يقبل كان عليه مثلُ خطيئة صاحب مَكْس » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أنا خائف أن يكون ابن جريج رحمة الله ورضوانه عليه دلَّس هذا الخبر بأن سمعه من العباس بن عبدالرحمن فهو حديث حسن.

رجال السند :

(١) أحمد(١) بن الحسن بن عبد الجبار . تقدم
(٢) على بن حرب الطائى ـ ابن محمد بن على صدوق فاضل من صغار ١٠/ص
(٣) وكيع ـ ابن الجراح بن مليح الرؤاسى أبوسفيان الكوفى ثقة حافظ عابد من كبار ٩/ع
(٤) الثورى ـ تقدم
(٥) ابن جريج ـ تقدم
(٦) العباس بن عبد الرحمن بن مينا الاشجعى ضعيف من ٦/صد ق .
(٧) جودان ويقال ابن جودان مختلف فى صحبته وذكره ابن حبان فى ثقات التابعين / ق

تخريج الحديث :

وأخرجه ابن ماجه فى كتاب الادب ٢/١٢٢٥ عن جودان مرسلا وقد اختلف فى جودان هل له صحبة أم لا . والجمهور على انه ليست له صحبة ـ فقد قال ابن ابى حاتم فى كتاب المراسيل ص ٢١ سألت أبى عن جودان فقال : ليست له صحبة وهو مجهول وقال ابن حجر فى الاصابة ١/٢٥٧ : جودان العبدى غير منسوب .

وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد فى كتاب الأدب ٨/٨١ : رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه ابراهيم ابن أعين وهو ضعيف عن جابر .

(١) الأصل علي ولعله خطأ

Marfat.com

فالواجب على العاقل إذا اعتذر إليه أخوه لجرم مضى ، أو لتقصير سبق ، أن يقبل عذره ، ويجعله كمن لم يُذنب ؛ لأن من تُنُصِّل إليه فلم يقبل أخافُ ألا يَرِدَ الحوضَ على المصطفى ﷺ ومن فَرَط منه تقصير فى سبب من الأسباب يجب عليه الاعتذار فى تقصيره إلى أخيه .

ولقد أنشدنى محمد بن عبد الله بن زنجى البغدادى :

إذا اعتذر الصديق إليك يوماً ... من التقصير عذر أخ مُقرٍّ
فَصُنْه عن جفائك ، واعفُ عنه ... فإن الصفح شِيمَةُ كل حُرٍّ

وأنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

شفيع من أسلمه جرمه ... إقراره بالجرم والذنب
وتوبة المذنب من ذنبه ... إعتاب من أصبح ذا عتب

أنبأنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابى ، حدثنا ابن عائشة ، قال : غضب سليمان ابن عبد الملك على خالد بن عبد الله ، فلما دخل عليه قال : يا أمير المؤمنين القدرة تُذهب الحفيظة ، وأنت تَجِلُّ عن العقوبة ، فإن تعفُ فأهلُ ذاك أنت ، وإن تعاقب فأهل ذاك أنا ، قال : فعفا عنه .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب المرء أن يعتذر بحيلة إلى من لا يحب أن يجد له عذراً ، ولا يجب أن يكثر من الاعتذار إلى أخيه ، فإن الإكثار من الاعتذار هو السبب المؤدى إلى التهمة ، وإنى أستحب الإقلال من الاعتذار على الأحوال كلها ؛ لعلمى أن المعاذير يعتريها الكذب ، وقلّ ما رأيتُ أحداً اعتذر إلا شابَ اعتذارَه بالكذب ، ومن اعترف بالزلة استحق الصفح عنها ، لأن

Marfat.com

ذُلَّ الاعتذار عن الزلة يوجب تسكين الغضب عنها . والمعتذر إذا كان محقًّا خضع في قوله ، وذَلَّ في فعله ، كما أنشدني المنتصر بن بلال :

أيا ربَّ قد أحسنتَ عوداً وبدأةً ... إليّ ، فلم ينهض بإحسانك الشكر
فمن كان ذا عذر إليك وحُجَّةٍ ... فعذريَ إقراري بأن ليس لي عذر

وأنشدني الكريزي :

وإني وإن أظهرتَ لي منك جفوةً ... وألزمتني ذنباً وإنْ كنتُ مجرماً
لراضٍ لنفسي مارضيت لها به ... أراكَ بها مني أبرَّ وأرحما

أنبأنا محمد بن عثمان العقبي ، حدثنا الفيض بن الجهم التميمي ، حدثنا عبد الله ابن خُبيق قال : كان يقال : احتمل من دَلّ عليك ، واقبل ممن اعتذر إليك .

أنبأنا بكر بن محمد بن عبد الوهاب القزاز ـ بالبصرة ـ حدثنا إسماعيل بن إبراهيم أبو بشر قال: سمعت أبي قال: حدثنا مبارك بن فُضالة عن حميد الطويل عن أبي قلابة ، قال : إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فالتمس له عذراً ، فإن لم تجد له عذراً فقل : لعل له عذراً لا أعلمه .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لايجب للمرء أن يعلن عقوبة من لم يعلن ذنبه ، ولا يخلو المعتذر في اعتذاره من أحد رجلين : إما أن يكون صادقا في اعتذاره ، أو كاذباً ؛ فإن كان صادقا فقد استحق العفوَ ؛ لأن شرَّ الناس من لم يُنِل العثرات ولا يستر الزلات ، وإن كان كاذباً فالواجب على المرء إذا علم من المعتذر إثم الكذب وريبته وخضوع الاعتذار وذلته : ألا يعاقبه على الذنب السالف بل يشكر له الإحسان المحدَث ، الذي جاء به في اعتذاره وليس يَعيبُ المعتذر إن ذَلَّ وخضع في اعتذاره إلى أخيه .

وأنشدنى الأبرش :

هَبْنى أسأتُ ، كما زعمـــت فأين عاطفـــة الأخوّة ؟
أو إن أسأت ، كما أسأ ت فأين فضلك والمـــروّة ؟

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

هَبْنى مسيئاً كالذى قلتَ ظالما فعفوٌ جميل كى يكونَ لكَ الفضل
فإن لم أكن للعفو منك ـ لسُوءِ ما أتيتُ به ـ أهلا ، فأنتَ له أهل

وأنشدنى ابن زنجى البغدادى :

هبنى أسأت ، وكان جُـــرمى مثـــل جـــرم أبى لهبْ
فأنـــا أتـــوب كما أســـأ ت ، وكم أسأتَ فلم تتب ؟

وأنشدنى محمد بن أبى علىّ ، أنشدنا الربعى عن الأصمعى :

أتيتك تائباً من كل ذنب وخـــير الناس من أخطا فتـــابا
أليس اللهُ يُستعفَى فيعفو وقـــد ملك العقوبة والثـــوابا ؟

وأنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

عصيت وتبت ، كما قـــد عصى وتاب إلى ربـــه آدمُ
فقـــل قولَ يوسف لاتثرباً لـكُـمْ يغفـــر الغافـــر الراحمُ

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا محمد بن عبد الله الجرزى عن حميد بن سنان الخالدى ـ وكان نديماً لأبى دُلَف ـ قال : دخلت على أبى دلف يوماً ـ وبين يديه كتاب وهو يضحك ، فقال : هذا كتاب عبد الله بن طاهر ، وفيه أبيات أحبُّ أن أنشدك إياها ، وذلك أنى كنت استبطأته فى بعض المرات فكتبت إليه :

أرى وُدَّكم كالورد ليس بدائم ولا خير فيمن لايدوم له عهد
وودى بكم كالآس حُسناً وبَهْجَةً له نَضْرة تبقى إذا فنى الورد

فكتب إلىَّ بهذه الأبيات :

شَبَّهت ودى الورد ، فهو مشاكلى وهل زَهْرٌ إلا وسيدها الوردُ
وشَبَّهتَ منك الود بالآس فى البقا ولم تخلف التشبيه فيك ولم تَعْدُ
فودُّك كالآس المرير مذاقهُ وليس له فى الريح قبلُ ولا بعدُ

أخبرنا عبد الكبير بن عمر الخطابى بالبصرة ، حدثنا أبو حاتم السجستانى عن الأصمعى قال : حدثنا عيسى بن عمر قال : كان لأبى الأسود الدؤلى صديق ، فرأى عنه بعض ما يكره ، فقال أبو الأسود :

رأيت امرأً لم أكن أبلهُ أتانى ، فقال : اتخذنى خليلا
فخالَلْتُه ، ثم صافيته فلم ينقص الود منه فتيلا
فراجعته ، ثم عاتبته عتاباً رفيقاً ، وقولا جميلا
فألفيته غير مُسْتَعْتِبٍ ولا ذاكرَ الله إلا قليلا
ألستُ حقيقاً بتوديعه وأُتْبِعُ ذلك هجراً طويلا ؟

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الاعتذار يذهب الهموم ويُجلى الأحزان ، ويدفع الحقد ، ويذهب الصد ، والإقلال منه تستغرق فيه الجنايات العظيمة والذنوب الكثيرة ، والإكثار منه يؤدى إلى الاتهام وسوء الرأى ، فلو لم يكن فى اعتذار المرء إلى أخيه خَصْلة تُحمد إلا نفى التعجب عن النفس فى الحال لكان الواجب على العاقل ألا يفارقه الاعتذار عند كل زَلّة .

ولقد أنشدنى الكريزى :

Marfat.com

فانظر إلىّ بطرف غير ذى مرض فطال ماصحّ لى من طرفك النظرُ
أدرك بفضلك عَظْماً كنت تَجْبُره واجمع برفقك ماقد كاد ينتشر

أنبأنا عمرو بن محمد الأنصارى ، حدثنا الغلابى ، حدثنا مهدى بن سابق حدثنا عطاء بن مصعب قال : قدم عبد الرحمن بن عَنْبَسَة بن سعيد على معن بن زائدة باليمن ، وكانت بينهما عداوة ، فلما رآه قال له : ياعبد الرحمن ، بأى وجه أتيتنى ؟ ولأى خير أمّلتنى ؟ قال : أصلح الله الأمير ! اسمع منى حتى أنشدك بيتين قالهما نُصَيب فى عبد العزيز بن مروان ، قال : وما هما ؟ فأنشده :

لو كان فوق الأرض حىٌّ فعالُه كفعلك ، أو للفعل منك مقاربُ
لقلت له هذا ، ولكن تَمَيَّزَتْ سواكَ على المستعتبين المذاهبُ

فقال : أقم ، فإنى لا أؤاخذك فيما مضى ؛ ولا أُعَنِّفُك فيما بقى .

أنبأنا الخلادى حدثنا محمد بن موسى السَّمَرى عن حماد بن إسحاق ، قال ابن السماك لمحمد بن سليمان، أو حماد بن موسى لكاتبه : ورآه كالمعرض عنه: مالى أراك كالمعرض عنى ؟ قال : بلغنى عنك شىء كرهته ، قال : إذاً لا أبالى ، قال : ولم ؟ قال : لأنه إن كان ذنباً غفرته ، وإن كان باطلا لم تقبله ، قال : فعاد إلى المؤانسة .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت ما يشاكل هذه الحكايات فى كتاب « مراعاة العشرة » فأغنى ذلك عن تكرارها فى هذا الكتاب .

* * *

ذكر الحث على لزوم كتمان السر

أنبأنا محمد بن سليمان بن فارس الدلال[١] ، حدثنا محمد بن إبراهيم[٢] بن سعيد العبدى ؛ حـــدثنا الهيثم[٣] بن أيوب العطار السلمى ، حدثنا سهل[٤] بن عبد الرحمن عن محمـــد بن مطرف[٥] أبى غسان عن محمد بن المنكدر[٦] عن عروة[٧] عن أبى هريرة[٨] قال : قال رسول الله ﷺ : « استعينوا

رجال الســـند :

(١) محمد بن سليمان بن فارس الدلال أبو أحمد من أهل نيسابور كانت له ثروة ظاهرة وتجارة واسعة • مذهبت فاشتغل بالدلالة مات سنة ٣١٢ هـ انكروا عليه فحشا كان فى لسانه • انظر الانساب للسمعانى ٥/٤٣١ •

(٢) محمد بن ابراهيم بن سعيد العبدى ، أبو عبد الله البوشنجى • ذكره ابن أبى حاتم فى الجـرح والتعديل ولم يذكر فيه شـيئا ٧/١٨٧ وقال السيوطى فى ملخص التذكرة : وثقه ابن حبان ص ٢٨٧ ، انظر تذكرة الحفاظ للذهبى ٢/٦٥٧ مات سنة ٣٠٩ •

(٣) الهيثم بن أيـوب العطـار السلمى الطالقانى أبو عمران ثقـة من ١٠/س •

(٤) سهل بن عبد الرحمن ، لم أجد له ترجمة •

(٥) محمد بن مطرف أبو غسان بن داود الليثى المدنى نزيل عسقلان ثقة من ٧/ع •

(٦) محمد بن المنكدر ـ تقدم

(٧) عروة ـ تقدم

(٨) أبو هريرة ـ تقدم •

تخريـج الحـديث :

وأخرجه أبو نعيم فى الحلية ٩/٩٦ عن معـاذ بن جبـل والخطيب فى تاريخه ٨/٥٦ عن ابن عباس وفى سـنده الحسـين بن عبيد الله منقار كذبـة بعضهم •

وقد ذكر السيوطى فى الجامع الصغير وزيادته أن هذا الحديث جاء من عدة طرق وعن عدة صحابة منهم عمر وعلى وابن عباس وأبى هريرة ومعاذ • وصححه شيخنا الالبانى فى صحيح الجامع رقم ٩٥٦ ، وانظر المقاصد الحسنة للسخاوى رقم ١٠٣ ص ٥٦ وتخريج احاديث الكشاف للزيلعى فى سـورة الأنبياء •

على الحوائج بكتمان السر ، فإن لكل نعمة حاسداً » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا إسناد حسن ، وطريق غريب ، إن كان عروة هذا هو ابن الزبير بن العوام ، وسعيد بن سلام ، ما أرى حفظ حديثه ؛ فلذلك تنكبت عن ذكره .

فالواجب على من سلك سبيل ذَوِى الحجى لُزُومُ ما انطوى عليه الضمير بتركه إبداء المكنون فيه ، لا إلى ثقة ولا إلى غيره ؛ فإن الدهر لابد من أن يضرب ضرباته فيوقع ضدّ الوصل بينهما بحالة من الأحوال فيخرجه وجود ضد ما انطوى عليه قديماً من وفائه إلى صحة الخروج بالكلية إلى جفائه ، بإبداء مكتوماته ، والكشف عن مُخَبَّآته .

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقبى ، حدثنى محمد بن عبد الكريم العبدى ، حدثنا بكر بن يونس بن بكير ، حدثنى موسى بن على عن أبيه عن عمرو بن العاص أنه قال : عجبت من الرجل يفرُّ من القدر ، وهو مواقعه ، ومن الرجل يرى القَذَاة فى عين أخيه ، ويدع الجذع فى عينه ، ومن الرجل يخرج الضِّغن من موضع ويدع الضغن فى نفسه ، وما ندمت على أمر قط فَلُمت نفسى على تقدمى عليه ، وما وضعت سرى عند أحد فلمته على أن يفشيه ، كيف ألومه وقد ضقت به ؟ .

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

تبيح بِسِرِّك ضَيْقاً به ... وتبغى لسرك مَنْ يكتم
وكتمانك السرَّ ممن تخاف ... ومن لا تخافَنَّهُ أحْزَمُ
إذا ذاع سرك من مخبر ... فأنت وإن لمته ، ألوَمُ

Marfat.com

وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان :

إذا ضاق صدر المرء عن بعض سره ... فألقاه فى صدرى فصدرىَ أضيق
ومن لامنى فى أن أضيع سره ... وضيَّعه قبلى فذو السر أخـرق

أخبرنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا أحمد بن محمد الصيداوى ، حدثنا حماد بن إسحاق عن المدائنى قال : كان يقال : أصبر الناس الذى لايفشى سره إلى صديقه مخافة أن يقع بينهما شىء فيفشيه ، وأنشدنى البغدادى :

صُنِ السر بالـكتمان يرضيك غِبُّه ... فقد يظهر المـرء المضيع فيغـدم
فلا تلجئن سراً إلى غـير حرزه ... فيظهر حرز السوء ما كنت تـكتُمُ

وأنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

إذا المـرء لم يحفظ سريرة نفسه ... وكان لسرِّ الأخ غـيرَ كتوم
فَبُعْـدًا له من ذى أخ ومودة ... وليس على وُدٍّ له بمقيم

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من حَصَّن بالـكتمان سره تَم له تدبيره ، وكان له الظفر بما يريد ، والسلامة من العيب والضرر ، وإن أخطأه التمـكن والظفر . والحازم يجعل سره فى وِعاء ويكتمه عن كل مستودع ، فإن اضطره الأمر وغلبه أوْدَعه العاقلُ الناصح له ، لأن السر أمانة ، وإفشاؤه خيانة ، والقلب له وِعاؤُه فمن الأوعية مايضيق بما يودع ، ومنها ما يتسع لما استودع .

وأنشدنى الـكاريزى :

اجعـل لسرك من فؤادك منزلا ... لايستطيع له اللسان دخـولا
إن الانسان إذا استطاع إلى الذى ... كتم الفؤاد من الشئون وصولا
ألقيت سرّك فى الصديق وغـيره ... من ذى العـداوة فاشياً مبذولا

Marfat.com

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

سأكتمه سرى وأكتم سره ولا غرّنى أنى عليه كريم
حليم فيفشى ، أو جهول يذيعه وما الناس إلا جاهل وحليم

أخبرنى محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا إبراهيم بن الجنيد ، حدثنى على بن عيسى عن محمد عن ابن الأعرابى قال : كان يقال : العاقل مَنْ حَذِرَ صديقه .

وأنشدنى بعض إخواننا :

لعمرك كتمان الفتى سِرّ ما نوى أعفُّ وأدنى للرشاد وأكرمُ
وأجملُ فى بثّ الحديث مقالة وأحسن فى الأخلاق دوماً وأحزم

وأنشدنى الكريزى :

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها فأنت إذا حمّلته الناسَ أضيعُ
ويضحك فى وجهى إذا ما لقيته وينهشنى بالغيب يوماً ويلسع

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الإفراط فى الاسترسال بالأسرار عجز ، وما كتمه المرء من عدوه فلا يجب أن يظهره لصديقه ، وكفى لذوى الألباب عِبَراً ما جربوا ، ومن استودع حديثا فليستر ، ولا يكن مِهْتَاكاً ، ولا مِشْيَاعًا ؛ لأن السر إنما سمى سراً ؛ لأنه لايفشى .

فيجب على العاقل أن يكون صدره أوسع لسره من صدر غيره بألا يفشيه

ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن يعقوب الأعلم قال : أنشدنى محمد بن سليمان بن سلام الجمحى لرجل من عبد شمس :

إذا ما ضاق صدرك عن حديث فأفشاه الرجالُ فمن تلومُ
إذا عاتبتُ من أفشى حديثى وسرِّى عنده فأنا الظَّلوم

Marfat.com

وإنى يوم أسأم حمل سرى وقد ضمّنته صدرى سؤوم
فسلت مُحدِّثاً سرى خليلى ولا نفسى إذا حضرت هموم
وأطوى السرّ دون الناس : إنى لما استودعت من سر كَتُومُ

وأنشدنى على بن حيدة الكاتب ، قال : أنشدنا عبد الرحمن بن بنا لشيطان الطاق :

أمتِ السر بكتمان ولا يُسمعن منك إذا استودعت سرّ
فإذا ضقت به ذرعاً ، فلا تضعنْ سرك إلا عند حُر

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا الرمادى ، حدثنا مسدد قال : سمعت ابن داود يقول : سمعت الأعمش يقول : يضيق صدر أحدهم بسره ، حتى يحدث به ، ثم يقول : اكتمه علىّ .

وأنشدنى إبراهيم بن على الظفرى ، أنشدنى الحسين بن عبيد الله .

لا يكتم السر إلا من له شرف والسر عند كرام الناس مكتوم
السر عندىَ فى بيت له غَلَق ضلت مفاتيحه والبابُ مختوم

أنبأنا الخلادى ، حدثنا أحمد بن عبد الله بن شجاع البياضى ، قال : أنشدنا عبد الرحمن بن محمد :

وإنى لأنسى السر كيما أصُونه فيامَنْ رأى شيئاً يُصَان بأن ينسى
مخافة أن يجرى بباله ذكره فيخلسه قلبى إلى منطقى خلسا

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الظفر بالحزم ، والحزم بإجالة الرأى ، والرأى بتحصين الأسرار ، ومن كتم سره كانت الخيرة فى يده ومن أنبأ الناس بأسراره

Marfat.com

هان عليهم وأذاعوها ، ومن لايكتم السر استحق الندم ، ومن استحق الندم صار ناقص العقل ، ومن دام على هذا رجع إلى الجهل .

فتحصين السر للعاقل أولى به من التلهف بالندم بعد خروجه منه .

ولقد أحسن الذى يقول :

خشيتُ لسانى أن يكون خئونا فأودعته قلبى ، فكان أمينا
فقلت ،ليخفى دون شخصى وناظرى: أيا حركاتى كنَّ فىَّ سكونا

أنبأنا إبراهيم بن إسحاق الأنماطى ، حدثنا محمد بن سليمان المصيصى ، حدثنا ابن عيينة عن ابن شُبْرُمَة عن الحسن فى قوله تعالى (٣:١٩٥ وشاورهم فى الأمر) قال : ما كان يحتاج إليهم ، ولكن أحب أن يَسْتنّ به مَنْ بعده .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : المستشار مؤتمن ، وليس بضامن ، والمستشير متحصن من السقط متخير للرأى .

والوجب على العاقل السالك سبيل ذوى الحجى : أن يعلم أن المشاورة تفشى الأسرار ، فلا يستشير إلا اللبيب الناصح الودود الفاضل فى دينه ، وإرشاد المُشِيرِ المستشير قضاءُ حق النعمة فى الرأى ، والمشورة لاتخلو من البركة إذا كانت مع مثل من وصفنا نَعْته .

ولقد أنبأنا عمرو بن محمد ، حدثنا الفلابى ، حدثنا ابن عائشة ، قال : قال الحسن ماحزب قوما قط أمر فاجتمعوا فتشاوروا فيه إلا أرشدهم الله لأصوبه .

وأنشدنى الكزيزى :

دَبِّرْ إذا مارمت أمراً بفكرة لتعلم ما تأتى وما تتجنبُ
وشاور تقىّ الرأى عند التباسه لكى يَضِحَ الأمر الذى هو أصوب

وأنشدنى المنتصر بن يلال :

لاتسبقنَّ الناس بالرأى واتئد ... فإنك إن تعجَل إلى القول تَزْلِل
ولكن تصفَّح رأى من كان حاضراً ... وقل بعدهم رسلا ، وبالحق فاعمل

أنبأنا محمد بن عثمان العقبى ، حدثنى يحيى بن زيد بن محمد الأبلى ، حدثنى إسماعيل بن حبيب أبو حميد الأبلى عن عبد الله بن الديلمى عن وهب بن منبه أنه قال : فى التوراة أربعة أحرف مكتوبة : من لم يشاور يندم ، ومن استغنى استأثر ، والفقر الموت الأحمر ، وكما تَدين تُدان .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا أنْسَ آنَسُ مِنَ استشارة عاقل ودود ، ولا وحشةَ أوحش من مخالفته ؛ لأن المشاورة والمناظرة بابا بركة ومفتاحا رحمة ، من استشير فليشر بالنصيحة ، وليجتهد بالرأى ، وليلزم الحق ، وقصد السبيل وليجعل المستشير كنفسه بترك الخيانة ، وبذل النصيحة ، وليكن كما أنشدنى على بن محمد البسامى :

ومن الرجال إذا زَكَت أحلامُهُمْ ... مَنْ يستشار إذا استشير فيطرق
حتى يجول بكل واد قلبُه ... فيرى ويعرف مايقول وينطق
إن الحليم إذا تفكر لم يكد ... يخفى عليه من الأمور الأوفق

أنبأنا أبو يعلى ، حدثنا غسان بن الربيع ، حدثنا يزيد بن ثابت عن إياس ابن دغفل عن الحسن : أن رسول الله ﷺ قال « ما شاور قوم قط إلا هدوا إلى رشدهم » .

أخبرنى محمد بن المنذر ، حدثنا أحمد بن خالد السيرافى ، حدثنا شيبان ، حدثنا أبو الأشهب قال : قال الحسن : لا يندم من شاور مرشدا .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل إذا استشير قوم هو فيهم أن يكون آخر من يشير : لأنه أمكن من الفكر وأبعد من الزلل ، وأقرب من الحزم ، وأسلم من السقط ، ومن استشار فلينفذ الحزم بأن لا يستشير عاجزاً، كما أن الحازم لايستعين كسِلا ، وفى الاستشارة عين الهداية، ومن استشار لم يعدم رشدا ، ومن ترك المشاورة لم يعدم غيًّا ولا يندم من شاور مرشدا ، وقد أنشدنى الواسطى:

الهمُّ ما لم تمضه لسبيله ... سقمُ القلوب وآفة الأبدان
ومُعَوَّل الرجل الموفق رأيه ... عند اعتراض طوارق الأحزان
وإذا الحوادث سادت أسبابه ... كان التبصر أنجد الأعوان
وإذا أضل سبيله تدبيرُه ... طاب الهدى بتشاور الإخوان

أنبأنا محمد بن عثمان العقبى ، حدثنا مطروح بن شاكر ، حدثنا أصبغ عن ابن وهيب عن إبراهيم بن نشيط عن ابن أبى حسين قال : كان يقال : ما هلك امرؤ عن مشورة ، ولا سعد بتوحد .

قال أبو حاتم رضى الله عنه: إن من شيم العاقل عند النائبة تَنُوبه: أن يشاور عاقلا ناصحا ذا رأى ثم يطيعه ، وليعترف للحق عند المشورة ، ولا يتمادى فى الباطل بل يقبل الحق ممن جاء به ، ولا يحقر الرأى الجليل إذا أتاه به الرجل الحقير ؛ لأن اللؤلؤة الخطيرة لايشينها قلة خطر غائصها الذى استخرجها، ثم ليستخر الله وليمض فيما أشار عليه ، وقد أنشدنى البغدادى :

أطع الحليم إذا الحليمُ عصاكا ... إن الحليم إذا عصاك هداكا
وإذا استشارك من تودُّ،فقل له : ... أطع الحليم إذا الحليم نهاكا
ولئن أبيتَ لتأتينَّ خلافه ... أربًا يحوطك،أو يكون هلاكا

واعلم بأنك لن تسود ، ولن ترى سُبل الرشاد إذا أطعت هوا كا

أنبأنا أبو محمد عبد الرحمن بن عبد المؤمن بجرجان، حدثنا محمد بن حميد البزاز حدثنا جرير عن ابن المقفع عن وزير كسرى قال : ثلاثة ليس لهم رأى فلا تستشيروهم : صاحبُ الخفِّ الضيِّق ، وحاقنُ البول ، وصاحب المرأة السوء السَّليطة .

* * *

ذكر الحث على لزوم النصيحة للمسلمين كافة

أنبأنا الحسين بن محمد بن أبى معشر[١] ـ بحران ـ حدثنا عبد الرحمن بن عمرو البجلى[٢] ، حدثنا زهير بن[٣] معاوية عن سهيل[٤] بن أبى صالح عن عطاء[٥] ابن يزيد الليثى عن تميم الدارى[٦] قال : قال رسول الله ﷺ « الدين النصيحة ، قيل : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم » .

رجال السند

(١) الحسين بن محمد بن أبى معشر، أبو عرويه الحافظ محدث حران صاحب التاريخ وثقه الذهبى فى التذكرة ٢/٧٧٤ .

(٢) عبد الرحمن بن عمرو البجلى ، لم اجد له ترجمة .

(٣) زهير بن معاوية بن حديج أبو خيثمة الجعفى الكوفى نزيل الجزيرة ثقه ثبت . ص ٧/ع

(٤) سهيل بن أبى صالح تقدم ص ٦٧ .

(٥) عطاء بن يزيد الليثى المدنى نزيل الشام ثقه ص ٣/ع .

(٦) تميم الدارى ـ هو ابن أوس بن خارجة أبو رقية صحابى مشهور سكن بيت المقدس بعد قتل عثمان ، مات سنة ٤٠ / خت م م

تخريج الحديث :

واخرجه البخارى فى كتاب الايمان من صحيحه تعليقا ١/١٣٧ ومسلم فى صحيحه باب الايمان ٢/٣٧ ، والنسائى فى كتاب البيعة ٧/١٥٦ واحمد فى مسنده ١٠٢ ، ٤/١٠٣ ، وأبو داود فى كتاب ابدب ٢/٥٨٣ .

والبخارى فى كتابه التاريخ الكبير فى ترجمة عطاء بن زيد الليثى ٦/٤٥٩ والخطيب فى تاريخه ١٤/٢٠٧ كلهم عن تميم الدارى .

وأخرجه الترمذى فى كتاب البر ٤/٣٢٤ ، والنسائى فى البيعة ٧/١٥٦ ، واحمد فى مسده ، ٢/٢٩٧ ، ٤/١٠٣ والبخارى فى تاريخه ٦/٤٥٩ عن ابى هريرة ، وفيه ابن عجلان مضطرب اختلطت عليه أحاديث ابى هريرة .

واحمد عن ابن عباس ١/٣٥١ وفيه رجل لم يسم ، والدارمى فى كتاب الرقاق من سننه ٢/٢٢٠ ـ عن ابن عمر وسنده جيد .

وذكر ابن حجر فى الفتح ١/١٣٨ انه قد جمع كل ماورد فى ذلك فى كتابه تعليق التعليق .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم النصيحة للمسلمين كافة، وترك الخيانة لهم بالإضمار والقول والفعل معا، إذ المصطفى ﷺ كان يشترط على من بايعه من أصحابه « النصح لكل مسلم » مع إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة » .

وأخبرنى محمد بن أبى على الخلادى، حدثنا محمد بن الحسن الذهلى عن أبى السائب قال : قال على بن أبى طالب رضى الله عنه « لاتعمل بالخديعة فإنها خُلُق اللئام ، وامْحَضْ أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة ، وزُلْ معه حيث زال » .

وأنشدنى الكربزى :

قل للنصيح الذى أهدى نصيحته ... سِرًّا إلينا ، وساءته التكاليفُ
النصح ليس له حدٌّ فتعرفه ... والنصح مستوحش منه ومألوف
حتى إذا صَرَّحَتْ عَنَّا عواقبه ... كانت لنا عِظَةٌ منه وتعنيف
لو كان للنصح حدٌّ يُستبان به ... ما نالنا حَسْرَةٌ منه وتلهيف
لكن له سُبُلٌ شَتَّى مخالفة ... بعضٌ لبعضٍ ، فمجهول ومعروف
والناس غاوٍ ، وذو رشد ، ومختلط ... والنصح ممضى، ومردود ، وموقوف

قال أبو حاتم رضى الله عنه : خير الإخوان أشدهم مبالغة فى النصيحة ، كما أن خير الأعمال أحمدها عاقبة ، وأحسنها إخلاصاً ، وضرب الناصح خير من تحية الشانىء .

ويجب أن يكون للعاقل نصيحة مبذولة للعامة مكتومًا من العام والخاص ما قدر عليه ، وليس الناصح بأولى بالنصيحة من المنصوح له .

وأنبأنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابى ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن القاسم

التيمى ، حدثنى أبى قال : « لما قدم على الكوفة لقيه المغيرة بن شُعبة ، فقال له : إنى أشير عليك برأى فاقبله ، قال : هات ، قال : أقرّ معاوية على الشام ؛ يسمح لك طاعته ، فإن أهل الشام قد ذاقوه فاستعذبوه ، ووليهم عشرين سنة لم يعتبوا عليه ، ولم يعتبوه فى عرض ولا مال ، فقال : والله لو سألنى قرية ما وليته إياها ، قال : فقال المغيرة : أراه سَيَلى أرضين وقَرْيات » .

أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا ابن أبى شيبة ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا ابن المبارك عن معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قال « المؤمن شُعبة من المؤمن ، وهو مرآة أخيه ، إن رأى منه مالا يعجبه سدّده وقوّمه ونصحه السر والعلانية » وأنشدنى على بن محمد البسامى :

أَمِنْتُ على السر امرأً غير حازم ... ولكنه فى النصح غيرُ مريب
فذَاع به فى الناس حتى كأنما ... بعليـاء نارٌ أوقدت بثَقُوب
فما كل ذى لب بمؤتيك نُصْحَه ... وما كل مؤتٍ نصحه بلبيب
ولكن إذا ما استجمعا عند واحد ... فحق له من طاعة بنصيب

سمعت محمد بن نصر بن نوفل المروزى يقول : سمعت أبا داود السنجى يقول : سمعت ابن الأعرابى يقول : قال بعض الحكماء « اثنان ظالمان : رجل أهديت له النصيحة فاتخذها ذنباً ، ورجل وسع له فى مكان ضيق فجلس متربعاً » .

قال أبو حاتم رضى الله : النصيحة محاطة بالتهمة ، وليست النصيحة إلا لمن قبلها ، كما أن الدنيا ليست إلا لمن تركها ، ولا الآخرة إلا لمن طلبها ، وليس على كل ذى نصح إلا الجهد ، ولو لم يقبل من نصحائه ما يثقل عليه لم يحمد غب رأيه ،

Marfat.com

ومشاورة الأصم أحمد من الناصح المعرض عنه ، ومن بذل نصيحة لمن لايشكر كان كالباذر فى السباخ ، وأكثر ما يوجد ترك قبول النصيحة من المعجب برأيه وأنشدنى الأبرش :

إذا نصحت لذى عُجْب لترشده فلم يطعك ، فلا تنصح له أبداً
فإن ذا العجب لايعطيك طاعته ولا يجيب إلى إرشاده أحدا
وما عليك ، وإن غاوٍ غوى حِقَباً إن لم يكن لك قُرْبَى ،أو يكن ولدا

قال أبو حاتم رضى الله عنه : النصيحة تجب على الناس كافة على ما ذكرنا قبل ، ولكن إبداؤها لايجب إلا سراً ؛ لأن من وعظ أخاه علانية فقد شانه، ومن وعظه سراً فقد زانه ، فإبلاغ المجهود للمسلم فيما يزين أخاه أحرى من القصد فيما يشينه .

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقبى ، حدثنا الرمادى ، حدثنا على بن المدينى ، حدثنا سفيان قال : قلت لِمسعَر « تحب أن يخبرك رجل بعيوبك ؟ قال : أما أن يجىء إنسان فيوبِّخنى بها فلا ، وأما أن يجىء ناصح فنعم » .

أخبرنا محمد بن أبى على الخلادى ، حدثنا محمد بن المغيرة النوفلى ، حدثنا محمد ابن على الشقيقى ، حدثنا أبى عن ابن المبارك قال « كان الرجل إذا رأى من أخيه ما يكره أمره فى ستر، ونهاه فى ستر ، فيؤجر فى ستره ، ويؤجر فى نهيه، فأما اليوم فإذا رأى أحد من أحد ما يكره استغضب أخاه ، وهتك ستره » .

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا محمد بن منصور ، حدثنى على بن المدينى عن سفيان قال : جاء طلحة إلى عبد الجبار بن وائل ـ وعنده قوم ـ فسارّه بشىء ،

Marfat.com

ثم انصرف ، فقال: أتدرون ما قال لى؟ قال: رأيتك التفتَّ أمس وأنت تصلى » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : النصيحة إذا كانت على نعت ما وصفنا تقيم الألفة ، وتؤدى حق الأخوة .

وعلامة الناصح إذا أراد زينة المنصوح له أن ينصحه سراً ، وعلامة من أراد شينه أن ينصحه علانية ، فليحذر العاقل نصيحة الأعداء فى السر والعلانية .

ولقد أنشدنى ابن زنجى البغدادى :

فكم من عدو مُعْلِنٍ لك نصحَه ... علانيــة ، والغش تحت الأضالع
وكم من صديق مرشدٍ قد عصيتَه ... فكنتَ له فى الرشد غيرَ مطاوع
وما الأمر إلا بالعواقب ؛ إنها ... سيبدو عليها كل سر وذائع

وأنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

وصاحبٍ غيرِ مأمون غوائلُه ... يبدى لىَ النصحَ منه وهو مشتمل
على خلاف الذى يُبْدِى ويظهره ... وقد أحطت بعلمى أنه دَغِــل
عفوت عنه انتظاراً أن يثوبَ له ... عقــلٌ إليه من الزلات ينتقل
دهراً فلمــا بدا لى أنَّ شيمته ... غش وليس له عن ذاك مُنْتَقَلُ
تركته ترك قالٍ لا رجــوع له ... إلى مــودته ما حَنَّتْ الإبل

أخبرنا عبد الله بن محمد القيراطى ، حدثنا محمد بن يزيد الملقب يَحْمش ، حدثنا يعلى بن عبيد ، حدثنا أبو حيان عن أبيه قال: كتب الربيع بن خثيم وصية : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به الربيع بن خُثيم ، وأشهد عليه وكفى بالله شهيداً وجازياً لعباده الصالحين مثيباً ، إنى رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبيًّا ، وأن يعبد الله من أطاعنى فى العابدين ويحمَدَه فى الحامدين ، وينصح لجماعة المسلمين » .

* * *

Marfat.com

وصية الخطاب بن المعلى المخزومى ابنه

أخبرنى محمد بن المنذر بن سعيد ، حدثنا أبو حاتم محمد بن إدريس الحنظلى، حدثنى عبد الرحمن بن أبى عطية الحمصى عن الخطاب بن المعلى المخزومى القرشى : أنه وعظ ابنه فقال « يا بنى ، عليك بتقوى الله وطاعته ، وتجنب محارِمَه باتباع سننه ومعالمه حتى تصح عيوبك ، وتقر عينك ، فإنها لاتخفى على الله خافية ، وإنى قد وَسمت لك وَسْماً ، إن أنت حفظته ووعيته وحملت به ملأت أعين الملوك ، وانقاد لك به الصعلوك ، ولم تزل مرتجًى مشرفا يُحتاج إليك ، ويُرغب إلى ما فى يديك ، فأطع أباك ، واقتصر على وصية أبيك ، وفرِّغ لذلك ذهنك ، واشغل به قلبك ولُبَّك ، وإياك وهَذْرَ الكلام، وكثرةَ الضحك والمزاح، ومهازلةَ الإخوان فإن ذلك يذهب البهاء ، ويوقع الشحناء . وعليك بالرزانة والتوقر، من غير كِبر يوصف منك ، ولا خُيلاء تحكى عنك والقَ صديقك وعدوك بوجه الرضى ، وكفّ الأذى، من غير ذِلّة لهم ولا هيبة منهم، وكن فى جميع أمورك فى أوسطها؛ فإن خير الأمور أوساطُها ، وقلل الكلام ، وأفش السلام وامش متمكناً قَصْداً ، ولا تخطّ برجلك ، ولا تسحب ذيلك ، ولا تَلْوِ عنقك ، ولا ردائك ، ولا تنظر فى عِطْفك ، ولا تكثر الالتفات، ولا تقف على الجماعات، ولا تتخذ السوق مجلساً، ولا الحوانيت متحدثاً ، ولا تكثر المراء ، ولا تنازع السفهاء ، فإن تكلمت فاختصر ، وإن مزحت فاقتصر، وإذا جلستَ فتربع، وتحفظ من تشبيك أصابعك وتفقيعها ، والعَبَث بلحيتك وخاتمك ، وذؤابة سيفك وتخليل أسنانك ، وإدخال يدك فى أنفك ، وكثرة طرد الذباب عنك ، وكثرة التثاؤب والتمطى، وأشباه ذلك مما يستخفه الناس منك، ويغتمزون به فيك .

Marfat.com

وليكن مجلسك هادياً ، وحديثك مقسوماً ، وأصغ إلى الكلام الحسن ممن حدثك ، بغير إظهار عجب منك ، ولا مسألة ولا إعادة ، وغُضَّ عن الفكاهات من المضاحك والحكايات ، ولا تحدث عن إعجابك بولدك ، ولا جاريتك ، ولا عن فرسك ولا عن سيفك ، وإياك وأحاديثَ الرؤيا ، فإنك إن أظهرت عجباً بشيء منها طمع فيها السفهاء ، فولدوا لك الأحلام ، واغتمزوا فى عقلك، ولا تصَنَّع تصَنُّع المرأة ، ولا تَبذَّل تَبذُّل العبد ، ولا تهلُب لحيتك ولا تُبَطِّنها، وتوق كثرة الحفّ ، ونتف الشيب ، وكثرة الكحل ، والإسراف فى الدهن ، وليكن كحلك غِبًّا ، ولا تلحَّ فى الحاجات ، ولا تخشع فى الطلبات ، ولا تُعلم أهلك وولدك ـ فضلا عن غيرهم ـ عدَد مالك ، فإنهم إن رأوه قليلًا هُنتَ عليهم ، وإن كان كثيراً لم تبلغ به رضاهم ، وأخِفْهم فى غير عنف ، ولِنْ لهم فى غير ضعف ، ولا تهازل أمَتك . وإذا خاصمت فتوقَّر ، وتحفظ من جهلك ، وتجنب من عجلتك ، وتفكر فى حُجَّتك ، وأر الحاكم شيئاً من حلمك ، ولا تكثر الإشارة بيدك ، ولا تحفَّز على ركبتيك ، وتوقَّ حمرة الوجه، وعرَق الجبين وإن سُفِه عليك فاحلم ، وإذا هدأ غضبك فتكلم ، وأكرم عرضك ، وألق الفضول عنك ، وإن قربك سلطان فكن منه على حد السنان،وإن استرسل إليك فلا تأمن من انقلابه عليك، وارفُق به رفقك بالصبي ، وكلمه بما يشتهى ، ولا يحملنك ما ترى من إلطافه إياك ، وخاصته بك : أن تدخل بينه وبين أحد من ولده وأهله وحشمه ، وإن كان لذلك مناك مستمعاً ، وللقول منك مطيعاً ، فإن سقطة الداخل بين الملك وأهله صَرْعةٌ لا تنهض ، وزلَّة لا تُقال ، وإذا وعدت فحقق ، وإذا حدثت فاصدق ، ولا تجهر بمنطقك كمنازع الأصم ، ولا تخافت به كتخافت الأخرس ، وتخير محاسن القول

بالحديث المقبول ، وإذا حدثت بسماع فانسبه إلى أهله ، وإياك والأحاديث العابرة المشنّعة التى تنكرها القلوب ، وتقفُّ لها الجلود ، وإياك ومضعّف الكلام ، مثل : نعم ، نعم ، ولا ، لا ، وعجل ، عجل ، وما أشبه ذلك ، وإذا توضأت فأجدْ عَرْك كفيك ؛ وليكن وضعك الحُرْض من الأشنان فى فيك كفعلك بالسواك ، ولا تنخعَّ فى الطِّست ، وليكن طرحك الماءَ من فيك مترسلا ، ولا تَمُجَّ فتَمْضحَ على أقرب جلسائك ، ولا تَعَضَّ نصف اللقمة ، ثم تعيد ما بقى منها منصبغاً ، فإن ذلك مكروه ، ولا تكثر الاستسقاء على مائدة الملك ، ولا تعبث بالمُشاش ، ولا تَعِبْ شيئاً مما يقرب إليك على مائدة بقلة خل أو تابل أو عسل ، فإن السحابة قد صيرت لنفسها مهابة . ولا تمسك إمساك المثبور ، ولا تُبذِّر تبذير السفيه المغرور ، واعرف فى مالك واجبَ الحقوق ، وحرمةَ الصديق ، واستغن عن الناس يحتاجوا إليك ، واعلم أن الجَشَع يدعو إلى الطَبَع ، والرغبةُ ـ كما قيل ـ تدق الرقبة ، ورُبَّ أكلة تمنع أكلات ، والتعفف مال جسيم وخلق كريم ، ومعرفة الرجل قدره ، تشرف ذكره ، ومن تعدى القدر ، هوى فى بعيد القعر ، والصدق زين ، والكذب شين ، ولَصِدقٌ يُسرع عطبَ صاحبه أحسنُ عافبة من كذب يسلم عليه قائله ، ومماداة الحليم خير من مصادقة الأحمق ، ولزوم الكريم على الهوان خير من صحبة اللئيم على الإحسان ، ولقرب ملك جواد ، خير من مجاورة بحر طرّاد ، وزوجة السوء الداء العُضال . ونكاح العجوز يذهب بماء الوجه ، وطاعة النساء تزرى بالعقلاء .

تشبه بأهل العقل تكن منهم ، وتصنع بالشرف تدركه .

واعلم أن كل امرىء حيث وضع نفسه ، وإنما ينسب الصانع إلى صناعته ، والمرء يعرف بقرينه ، وإياك وإخوانَ السوء . فإنهم يخونون من رافقهم ، ويحزنون

من صادقهم، وقربهم أعدى من الجرب، ورفضهم من استكمال الأدب ، واستخفار المستجير لؤم . والعجلة شؤم ، وسوء التدبير وهن .

والإخوان اثنان : فمحافظ عليك عند البلاء ، وصديق لك فى الرخاء ، فاحفظ صديق البلاء ، وتجنب صديق العافية ، فإنهم أعدى الأعداء .

ومن اتبع الهوى ، مال به الردى ، ولا يعجبنك الجهم من الرجال ، ولا تحقر ضئيلا كالخلال فإنما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه، ولا ينتفع به أكثر من أصغريه .

وتوق الفساد ، وإن كنت فى بلاد الأعادى ، ولا تفرش عرضك لمن دونك ، ولا تجعل مالك أكرم عليك من عرضك، ولا تكثر الكلام فتثقل على الأقوام. وامنح البِشر جليسك ، والقبول ممن لاقاك .

وإياك وكثرة التبريق والتزليق ، فإن ظاهر ذلك ينسب إلى التأنيث . وإياك والتصنع لمغازلة النساء ، وكن متقرباً ،متعززاً، منتهزاً فى فرصتك، رفيقاً فى حاجتك متثبتاً فى حملتك ، والبس لكل دهر ثيابه ، ومع كل قوم شكلهم .

واحذر ما يلزمك اللائمة فى آخرتك ، ولا تعجل فى أمر حتى تنظر فى عاقبته ، ولا تردحتى ترى وجه المصدر .

وعليك بالنورة فى كل شهر مرة ، وإياك وحلاق الإبط بالنورة ، وليكن السواك من طبيعتك، وإذا استكت فعرضاً . وعليك بالعمارة، فإنها أنفع التجارة، وعلاج الزرع خير من اقتناء الضرع ، ومنازعتك اللئيم تطمعه فيك ، ومن أكرم عرضه أكرمه الناس ، وذم الجاهل إياك أفضل من ثنائه عليك ، ومعرفة الحق من أخلاق الصدق ، والرفيق الصالح ابن عم ، ومن أيسر أكْبِرَ ، ومن افتقر احتقر .

Marfat.com

قصر فى المقالة، مخافة الإجابة، والساعى إليك غالب عليك، وطول السفر ملالة، وكثرة المنى ضلالة ، وليس للغائب صديق ، ولا على الميت شفيق ، وأدب الشيخ عناء ، وتأديب الغلام شقاء ، والفاحش أمير ، والوَقاح وزير ، والحلم مطية الأحمق، والحمق داء لاشفاء له. والحلم خير وزير، والدين أزين الأمور، والسماحة سفاهة، والسكران شيطان ، وكلامه هذيان ، والشعر من السحر ، والتهدد هُجْر ، والشح شقاء ، والشجاعة بقاء ، والهدية من الأخلاق السَّرية ، وهى تورث المحبة ، ومن ابتدأ المعروف صار دَيْنًا ، ومن المعروف ابتداء من غير مسألة ، وصاحب الرياء يرجع إلى السخاء ، ولَرياء بخير خير من معالنة بشر، والعرق نزّاع، والعادة طبيعة لازمة: إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، ومن حل عَقداً احتمل حقداً، ومراجعة السلطان خُرق بالإنسان ، والفرار عار ، والتقدم مخاطرة ، وأعجل منفعة إيسار فى دعة ، وكثرة العلل من البَخَل ، وشر الرجال ، الكثير الاعتلال، وحسن اللقاء يذهب بالشحناء ، ولين الكلام من أخلاق الكرام .

يا بنى، إن زوجة الرجل سَكَنه ، ولا عيش له مع خلافها، فإذا هممت بنكاح امرأة فسلْ عن أهلها ، فإن العروق الطيبة تنبت الثمار الحلوة .

واعلم أن النساء أشد اختلافاً من أصابع الكف، فتوقَّ منهن كل ذات بداء مجبولة على الأذى، فمنهن المعجبة بنفسها ، المزرية ببعلها ، إن أكرمها رأته لفضلها عليه ، لاتشكر على جميل ، ولا ترضى منه بقليل ، لسانها عليه سيف صقيل ، قد كشفت القِحَة ستر الحياء عن وجهها ، فلا تستحى من عوارها ، ولا تستحى من جارها ، كلبة هرّارة ، مُهارشة غَفّارة ، فوجه زوجها مكلوم ، وعرضه مشتوم،

ولا ترعى عليه لدين ولا لدنيا ، ولا تحفظه لصحبة ولا لكثرة بنين ، حجابه مهتوك ، وستره منشور ، وخيره مدفون ، يصبح كئيبا، ويمسى عاتبا ، شرابه مر، وطعامه غيظ ، وولده ضياع ، وبيته مستهلَك ، وثوبه وسخ ، ورأسه شعث ، إن ضحك فواهن ، وإن تكلم فمتكاره ، نهاره ليل ، وليله ويل ، تلدغه مثل الحية العقارة ، وتلسَعُه مثل العقرب الجرارة .

ومنهن شفشليق شعشع سلفع ، ذات سم منقع ، وإبراق واختلاق ، تهب مع الرياح ، وتطير مع كل ذى جناح ، إن قال : لا ، قالت : نعم ، وإن قال : نعم ، قالت : لا ، مولدة لمخازيه ، محتقرة لما فى يديه ، تضرب له الأمثال ، وتقصر به دون الرجال ، وتنقله من حال إلى حال، حتى قلا بيتَه، ومَلّ ولده، وغثّ عيشه ، وهانت عليه نفسه ، وحتى أنكره إخوانه ، ورحمه جيرانه .

ومنهن الورْهاء الحمقاء : ذات الدّال فى غير موضعها، الماضغة لسانها، الآخذة فى غير شأنها ، قد قنعت بحبه ، ورضيت بكسبه ، تأكل كالحمار الراتع ، تنتشر الشمس ولما يُسمعْ لها صوت ، ولم يكنس لها بيت، طعامها بائت، وإناؤها وضِر، وعجينها حامض ، وماؤها فاتر ، ومتاعها مزروع ، وماعونها ممنوع ، وخادمها مضروب ، وجارها محروب .

ومنهن العطوف الودود، المباركة الولود، المأمونة على غيبها، المحبوبة فى جيرانها، المحموده فى سرها وإعلانها ، الكريمة التبعل ، الكثيره التفضل ، الخافضة موتاً ، النظيفة بيتاً، حادمها مسمن ، وابنها مزين، وخيرها دائم ، وزوجها ناعم ، مومومة مألوفة ، وبالعفاف والخيرات موصوفة .

Marfat.com

جملك الله يا بنى ممن يقتدى بالهدى ، ويأتم بالتقى ، ويجتنب السخط ، ويحب الرضى .

والله خليفتى عليك، والمتولى لأمرك ، ولا حول ولا قوه إلا بالله العلى العظيم ، وصلى الله على محمد نبى الهدى وعلى آله وسلم تسليما كثيراً .

* * *

Marfat.com

ذكر الزجر عن تهاجر المسلمين كافة

حدثنا أبو يعلى الموصلى[١]، حدثنا وهب[٢] بن بقية الواسطى ، حدثنا خالد[٣] ابن عبد الله عن عبد الرحمن[٤] بن إسحاق عن الزهرى[٥] عن أنس[٦] قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تباغَضوا ، ولا تنافَسوا ، ولا تَحاسدوا ، ولا تَدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لايحل التباغض ولا التنافس ولا التحاسد ولا التدابر بين المسلمين، والواجب عليهم أن يكونوا إخواناً كما أمرهم الله ورسوله فإذا تألم واحد منهم تألم الآخر بألمه ، وإذا فرح فرح الآخر بفرحه ، ينفى الغش والدَّغل، مع استسلام الأنفس لله عز وجل، مع الرضاء بما يوجب القضاء فى الأحكام

رجال السند

(١) أبو يعلى الموصلى ـ تقدم .

(٢) وهب بن بقية الواسطى بن عثمان أبو محمد يقال له وهبان ثقه من ١٠/م د ى .

(٣) خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد الطحان الواسطى الزنى مولاهم ثقه ثبت من ٨/ع .

(٤) عبد الرحمن بن اسحاق بن عبد الله بن الحارث بن كنانة المدنى نزيل البصرة ويقال عباد صدوق على القدر ٦/خت ع م م .

(٥) الزهرى ـ هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشى وكنيته ابو بكر الفقيه الحافظ ٤/ع

(٦) انس ـ تقدم .

تخريج الحديث :

رجال السند ثقات الا عبد الرحمن ففيه لين .

وقد سبق تخريجه رقم الحديث ٢٢ .

Marfat.com

كلها. ولا يجب الهجران بين المسلمَيْنِ عند وجود زلة من أحدهما، بل يجب عليهما صرفها إلى الإحسان والعطف عليه بالإشفاق، وترك الهجران.

ولقد حدثنى محمد بن المهاجر، حدثنى موسى بن محمد الأخبارى عن النميرى حدثنى محمد يحيى الكتانى قال: أنشدنى أبو غزية لمعاوية بن عبد الله بن جعفر:

لا يُزْهِدَنَّك فى أخ لك أن تراه زل زلّه
والمرء يطرحه الذين يلونه فى شر ألّه
ويخونه من مأمن أهل البطانة والدَّخِله
والموت أعظم حادث مما يمر على الجبِله

أنشدنى محمد بن الحسن بن قتيبة أنشدنى حميد بن عياش:

ولا تك فى حب الأخلاء مفرطا فإن أنت أبغضت البغيض فأجملِ
فإنك لاتدرى متى أنت مبغض حبيبَك أو تهوى البغيض، فاعقل

وأنشدنى عمرو بن محمد بن عبد الله النسوى لثعلب:

وما صدودُ ذوات الدّل يُرْعضُنى لكنما الموت عندى صدُّ إخوانى
إنى لأصْبِرُ من عَوْد به جُلَب عند الملمّاتِ إلا عند هجران
إذا رأيت ازورارا من أخى ثقة ضاقت علىّ برحب الأرض أوطانى

وأنشدنى الأبرش:

أبلْ الرجال إذا أردتَ إخاءهم وتوسمنّ أمورهم وتفقَّد
فإذا ظفرت بذى اللبابة والتقى فيه اليدين قريرَ عين فاشدُدِ
فمتى يَزلّ، ولا محالة، زلةً فعلى أخيك بفضل حلمك فاردد
وإذا انَحنى نقض الحُبى فى مجلس ورأيتَ أهل الطيش قاموا فاقعد

Marfat.com

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لايجب للمرء أن يدخل فى جملة العوام والهمج بإحداث الود لإخوانه ، وتكديره لهم بالخروج بالسبب الذى يؤدى إلى الهجران الذى نهى المصطفى ﷺ عنه بينهم ، بل يقصد قصده الإعضاء عن ورود الزلات ، ويتحرى ترك المناقشة على الهفوات ، ولا سيما إذا قيل فى أحدهم الشىء الذى يحتمل أن يكون حقًّا وباطلا معا ، فإن الناس ليس يخلو وصلهم من رشق أسهم العذال فيه .

ولقد سمعت محمد بن عثمان العقبى يقول : سمعت عبد العزيز بن عبد الله يقول : قال محمد بن حميد :

ومن ذا من عيوبِ الناس تاجٍ ... بحقٍّ قيل فيه ، أو قراف
قبيح بى إذا خالتُ خلا ... ولازَم خُلتى أن لا أكافى
وكلُّ مودة لاخير فيها ... إذا لم تحتمل حقَّ المُصافى
فأما فى الكلام فكم وفىٍّ ... ولكنْ فى الشدائد لايوافى
إذا أحببتُ لم أنقض إخائى ... ولم أبْنِ الإخاء على اعتساف
ولكن أمنحُ الكرماءَ وُدًّا ... ولا أدعو اللئام إلى العطاف
متى تقطعْ صديقك بعد وصل ... ولا تثبت ، فعهدك غير واف
إذا ما المرء أدبر لم تُطِقْه ... وصار المستقيم إلى خلاف

سمعت محمد بن المنذر يقول: سمعت محمد بن عبد الرحمن يقول: سمعت أباعمار الحسين بن حريث يقول : قيل لرجل : ألك عيوب ؟ قال : لا ، قيل له : فلك مَنْ يلتمسها ؟ قال : نعم ، قال : فما أكثر عيوبك ! :

قال أبو حاتم رضى الله عنه : السبب المؤدى إلى الهجران بين المسلمين ثلاثة

Marfat.com

أشياء : إما وجود الزلة من أخيه ـ ولا مجالة يزل ـ فلا يغضى عنها ولا يطلب لها ضدها ، وإبلاغ واشٍ يقدح فيه ، ومشى عاذل بثالث له ، فيقبله ولا يطلب لتكذيبه سبباً ولا لأخيه عذراً ، وورود مثل يدخل على أحدهما ، فإن الملالة تورث القطع ولا يكون لملول صديق .

ولقد أخبرنى محمد بن أبى على الخلادى ، حدثنا محمد بن إبراهيم اليعمرى حدثنى عبد الرحمن بن إبراهيم الأصبهانى أنشدنى بعض أهل الأدب :

إنَّ المـلولةَ ودُّهُ مثل السراب يذم ودُّهُ
أو كالسحاب الزائد الـ برّاق لم يصدقك وعدُهُ
أو كالحسام هززْتَهُ عند الضراب فكَلَّ حدُّه
لاتقبـــلنَّ إخاءه فوعيده كَذِبٌ ووعده
بينا يودك رأى عيـ نك إذ بدا لك منه صده
وتغـيرت أخـلاقُهُ وازورَّ حتَّى مال خده

أنبأنا محمد بن يعقوب الخطيب بالأهواز حدثنا معمر بن سهل حدثنا إبراهيم ابن بشار عن سفيان قال : كان لابن شُبْرُمَةَ أخ فجفاه ، فكتب إليه :

كلانا غنى عن أخيه حياتَهُ ونحن إذا متنا أشـد تغانيا

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لايحل لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاث أيام ؛ فمن فعل ذلك كان مرتكباً لنهى النبى ﷺ ، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام والسَّابق بالسَّلام يكون السابق إلى الجنة ، ومَنْ هجر أخاه سنة كان كسفك دمه ، ومن مات وهو مهاجر أخاه دخل النار . إن لم يتفضل الله عليه بعفو منه ورحمة ، وغاية ما أبيحُ من الهجران بين المسلمين ثلاثة أيام .

Marfat.com

ولقد أنشدنى عبيد الله بن محمد الأنماطى قال : أنشدنى محمد بن الحسن :

ياسيدى عندك مظلمة فاستفت فيها ابن أبى خيثمه
فإنه يرويه عن شيخه قلل : روى الضحاك عن عكرمه
عن ابن عباس عن المصطفى نبينا المبعوث بالمرحمه
إن صدود الخل عن خِلِّهِ فوق ثلاثٍ رَبُّنَا حرمه

وأنشدنى محمد بن شاه الأبيوردى بالموصل :

ما ودنى أحد إلا بذلت له صفو المودةِ منى آخرَ الأبدِ
ولا جفانى وإن كنت المحب له إلا دعوت له الرحمن بالرشد
ولا ائتمنت على سر فبحتُ له ولا مددتُ إلى غير الجميل يدى
ولا أخون خليلى فى خلياته حتى أُغَيَّبَ فى الأكفان واللحد

أنبأنا محمد بن المهاجر حدثنا أحمد بن عبدالله بن شجاع حدثنا محمد بن سَماعة ، قال : جئت يوماً إلى أبى على المصرى أسلم عليه ، قال : فبشّ بى واحتملنى فى حِجْرِهِ ، ثم قال :

حسبى بوصلك فى حياتى لذة ورضيتُ فى ذاك المعاد ثوابا
لو كنتَ رزقى ما أردت زيادة ولقلتُ أحسنَ خالقى وأطابا

* * *

Marfat.com

ذكر الحث على لزوم الحلم عند الأذى

أنبأنا محمد بن الحسن بن قتيبة[١] حدثنا يزيد[٢] بن خالد بن موهب الرملى حدثنا ابن وهب[٣] عن عمرو[٤] بن الحارث عن دراج[٥] أبى الهيثم[٦] عن أبى سعيد[٧] قال : قال النبى ﷺ « لاحليم إلا ذو عَثْرة ، ولا عليم إلا ذو تجربة » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الخبر فى الضرب الذى ذكرت فى كتاب « فصول السنن » بأن العرب تُضيف الاسم إلى الشىء للقرب من التمام ، وتنفى الاسم عن الشىء للنقص من الكمال ، فلما كان الغالب على المرء أن لا يكون

رجال السند :

(١) محمد بن الحسن بن قتيبة تقدم ص ١٠٧ .

(٢) يزيد بن خالد بن موهب الرملى أبو خالد ثقة عبد من ١٠/دسق

(٣) ابن وهب ـ هو عبد الله بن مسلم القرشى ثقة حافظ من ٩/ع .

(٤) عمرو بن الحارث بن يعقوب الانصارى مولاهم المصرى أبو أيوب ثقة فقيه حافظ ٧/ع .

(٥) دراج بن سمعان أبو السمح قيل أسمه عبد الرحمن ودراج لقبه السهمى مولاهم المصرى القاضى ضعيف ٤/نج عم لاسيما اذا روى عن أبى الهيثم هذا .

(٦) أبو الهيثم ـ هو سليمان بن عمرو بن عبيد العنوارى ثقة من ٤/نج عم .

(٧) ابو سعيد ، تقدم ص ١٢١ .

تخريج الحديث :

واخرجه الترمذى فى كتاب البر ٤/٣٧٩ .

وأحمد فى مسنده ٨ ، ٣/٦٩ .

والحاكم فى مستدركه فى كتاب الادب ٤/٣٩٣ كلهم عن طريق دراج عن أبى سعيد الخدرى .

Marfat.com

حليما حتى يكون ذا عَثْرة نفى النبى ﷺ اسم الحليم عمن لم يكن بذى عثرة ، لنقصه عن الكمال .

فالحليم عظيم الشان ، رفيع المكان ، محمود الأمر ، مرضى الفعل .

والحلم : اسم يقع على زَمِّ النفس عن الخروج عند الورود عليها ضد ما تحب إلى ما نهى عنه .

فالحلم يشتمل على المعرفة والصبر والأناة والتَّثَبُّت ، ولم يقرن شىء إلى شىء أحسنَ من عفو إلى مقدرة .

والحلم أجمل ما يكون للقادر على الانتقام .

ولقد حدثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفى ببغداد حدثنا يحيى بن معين قال : حدثنا الحسن بن واقع عن ضمرة قال « الحلم أرفع من العقل ؛ لأن الله تبارك وتعالى تسمى به » .

وأنشدنى محمد بن عبد الله بن زنجى البغدادى :

ألم تر أنَّ الحلم زَينٌ مُسَوِّدٌ لصاحبه والجهلَ للمرء شائن
فكن دافناً للشر بالخير تسترحْ من الهم ، إن الخير للشر دافن

وأنشدنى محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطى :

إذا شئت يوماً أن تسود عشيرة فبالحلم سُدْ ، لا بالتسرع والشتم
وللحُلمُ خيرٌ — فاعلمنّ — مَغَبَّةً من الجهل ، إلا أن تَشْرِسَنَّ من الظلم

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

فارضَ بما حُمَّ من قضاء يُصِبْك من ذلك الخيار
وعِشْ حميداً ، رَخِىَّ بال ما زَانَكَ الحلم والوقارُ

Marfat.com

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من نفاسة اسم « الحلم » وارتفاع قدره : أن الله جل وعلا تسمى به ، ثم لم يُسَمِّ بالحلم فى كتابه أحداً إلا إبراهيم خليله وإسحاق ذبيحه حيث قال (٩ : ١١٤ إن إبراهيم لأوّاهٌ حليم) وقال : (٣٧ : ١٠١ فبشرناه بغلام حليم) .

ولو لم يكن فى الحلم خصلة تحمد إلا ترك اكتساب المعاصى ، والدخول فى المواضع الدنسة لكان الواجب على العاقل أن لايفارق الحلم ما وجد إلى استعماله سبيلا .

والحلم : سَجِيَّة ، أو تجربة ، أو هما .

حدثنا أبو حمزة محمد بن عمر بن يوسف حدثنا عبد الله بن سعيد الكندى حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه قال : سمعت معاوية بن أبى سفيان يقول « لاحلم إلا بالتجربة » .

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

صافِ الصديق بودِّه وإذا دنا شبراً فزدْهُ
واحلم إذا نطق السفيـ ـه ، فمن يُرِدْ جهلاً يَجده

أنبأنا محمد بن على الصيرفى بالبصرة حدثنا ابن أبى الشوارب حدثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن رجاء بن حيوة عن أبى الدرداء قال « إنما العلم بالتعلُّم وإنما الحلم بالتحلم ، ومن يتوخَّ الخير يُعْطَه ، ومن يتوق الشر يُوَقَّه » .

وأنشدنى الكريزى :

إذا أنا كافأت الجهول بفعله فهل أنا إلا مثلُهُ ، إذ أحاوره ؟
ولكن إذا ما طاش بالجهل طائش علىَّ ، فإنى بالتحلم قاهره

Marfat.com

أنبأنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار حدثنا يحيى بن معين حدثنا عثمان بن صالح حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث ، أن رجلا كتب إلى أخ له : اعلم أن الحلم لباسُ العلم . فلا تَعْرَيَنَّ منه .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يلزم الحلم عن الناس كافة ، فإن صَعُب ذلك عليه فليتحالَمْ ؛ لأنه يرتقى به إلى درجة الحلم .

وأول الحلم : المعرفة ، ثم التثبت ، ثم العزم ، ثم التصبر ، ثم الصبر ، ثم الرضا ثم الصمت والإغضاء ، وما الفضل إلا للمحسن إلى المسىء ، فأما من أحسن إلى المحسن ، وحَلُم عمن لم يؤذه ، فليس ذلك بحلم ، ولا إحسان .

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقبى حدثنا إسحاق بن زكريا حدثنا عبد الصمد ابن حسان حدثنا أبو عمر المازنى عن وهب بن منبه : أنه قال : يابنى لاتجادلن العلماء فتهونَ عليهم فيرفضوك ، ولا تمارِيَنّ السفهاء فيجهلوا عليك ويشتموك ،فإنه يلحق بالعلماء من صبر ورأى رأيهم ، وينجو من السفهاء من صَمت وسكت عنهم ولا تحسبن أنك إذا ما ريتَ الفقيه إلا زدته غيظاً دائباً ، ولا نَحمِيَنَّ من قليل تسمعه فيوقعك فى كثير تكرهه ، ولا تفضح نفسك لتشفىَ غيظك ، فإن جهل عليك جاهل فايمنعنَّ إياك حلمُك، وإنك إذا لم تحسن حتى يحسن إليك فما أجرُك وما فضلك على غيرك ؟ فإذا أردت الفضيلة فأحسن إلى من أساء إليك ، واعف عمن ظلمك ، وانفع من لم ينفعك ، وانتظر ثواب ذلك من قبل الله ، فإن الحسنة الكاملة : التى لايريد صاحبها عليها ثواباً فى الدنيا .

وأنشدنى محمد بن حبيب الواسطى :

إذا المرء لم يصرفْ عذاباً من الأذى حياءً ، ولم يغفر لأخرَق مذنب

Marfat.com

فلم يصطنع إلّا نليلا صديقه ومن يدفع العوراء بالحلم يغلب

وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

احفظْ لسانك إن لقيتَ مشاتما لا تجرينّ مع اللئيم إذا جرى

أنبأنا إبراهيم بن نصر العنبرى حدثنا على بن الأزهر الرازى حدثنا إبراهيم ابن رستم قال : سمعت ابن المبارك يقول : دعانا عبد الله بن عون إلى طعامه ، فكنا نأكل ، فجاءت الخادم ومعها صحفة ، فعثرت فى ثوبها ، فسقطت الصحفة من يدها فقال لها ابن عون : مترَس آزادى .

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابى ، حدثنا ابن عائشة قال : قال محمد بن السعدى لابنه عروة ، لما ولى اليمن : إذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك ، وإلى الأرض تحتك ، ثم عظّم خالقهما .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل ، إذا غضب واحتدّ أن يذكر كثرة حلم الله عنه ؛ مع تواتر انتهاكه محارمه وتعديه حرماته ، ثم يحلم ، ولا يخرجه غيظه إلى الدخول فى أسباب المعاصى .

والناس على ضروب ثلاثة : رجل أعزُّ منك ، ورجل أنت أعزُّ منه ، ورجل ساواك فى العز ؛ فالتجاهل على من أنت أعزُّ منه لؤم ، وعلى من هو أعز منك جنَف ، وعلى من هو مثلك هِراش كهراش الكلبين ، ونقار كنقار الديكين ، ولا يفترقان إلا عن الخَدْش والعَقْر والهُجْر ، ولا يكاد يوجد التجاهل وتركُ التحالم إلا من سفيهين ، ولقد أحسن الذى يقول :

ماتمّ حلمٌ ولا علمٌ بلا أدبٍ ولا تجاهلَ فى قوم حليمانِ

وما التجاهل إلا ثوبُ ذى دنَس وليس يَلْبَسهُ إلا سفيهان

Marfat.com

وأنشدنى ابن زنجى البغدادى :

وما شىء أشرُّ إلى لئيم إذا شتم الكرام من الجواب
متاركة اللئيم بلا جواب أشدُّ عليه من مُرِّ العذاب

وأنشدنى الكريزى :

تجرد ما استطعت من السفيه بحسن الحلم ، إن العزّ فيه
وقد يعصى السفيه مؤدبيه ويُبْرِمُ بالاجاجة منصفيه
تلينُ له ، فيغلظ جانباه كمير السوء يرمَحُ عالفيه

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا الحسن بن محمد الأزدى الكوفى ، حدثنا عمر بن حفص بن غياث عن أبيه قال : كنت جالساً عند جعفر بن محمد ، ورجل يشكو رجلا عنده ، قال لى كذا ، وفعل لى كذا ، فقال له جعفر : من أكرمك فأكرمه ، ومن استخف بك فأكرم نفسك عنه .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : ما ضُمّ شىء إلى شىء هو أحسن من حلم إلى علم ، وما عدم شىء فى شىء هو أوحش من عدم الحلم فى العالم ، ولو كان للحلم أبوان لكان أحدهما العقل والآخر الصمت ، وربما يُدفع العاقل الوقت بعد الوقت إلى من لا يُرضيه عنه الحلم ، ولا يمنعه عنه الصفح ؛ فحينئذ يحتاج إلى سفيه ينتصر له ؛ لأن ترك الحلم فى بعض الأوقات من الحلم .

ولقد حدثنى محمد بن المنذر ، حدثنا يزيد بن عبد الصمد ، حدثنا عبد الرحمن ابن إبراهيم ، حدثنا الوليد عن سعيد بن عبد العزيز ؛ أن وجلا استطال على سليمان بن موسى ، فسكت سليمان وانتصر له أخوه ، قال : فقال مكحول : ذَلّ مَنْ لاسفيه له .

Marfat.com

حدثنا عمرو بن محمد الأنصارى ، حدثنا الغلابى ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن ابن القاسم عن أبيه قال : قال أبو حنيفة لشيطان الطاق : ماتقول فى المتعة ؟ قال : حلال : قال : فَيَسُرُّكَ أن أمَّك تزوجت متعة ؟ فسكت عنه ساعة ، ثم قال يا أبا حنيفة ، ماتقول فى النبيذ ؟ قال : حلال ، قال : وشربه وبيعه وشراؤه ؟ قال : نعم ، قال : فيسرك أن أمك نَبَّاذة ؟ قال : فسكت عنه أبو حنيفة .

أنشدنى على بن محمد البسامى :

إذا كنت بين الحلم والجهل قاعداً ... وخُيِّرت : أنى شئت فالحلم أفضل
ولكن إذا أنصفت ليس منصفا ... ولم يرض منك الحلم فالجهل أفضل

وأنشدنى محمد بن حبيب الواسطى :

إذا أمن الجَهَّال جهلك مرة ... فعرضُك لاجهال غُنْمٌ من الغنم
فَعُمَّ عليه الجهلَ والحلم وَالْقَهُ ... بمرتبة بين العداوة والسِّلم
فيرجوك تارات ، ويخشاك تارة ... وتأخذُ فيما بين ذلك بالحزم

حدثنا محمد بن عثمان العقبى ، حدثنا يزيد بن عبد الصمد الدمشقى ، حدثنا أبو مسهر ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن مكحول قال : لاحلم لمن لاجاهل له .

وحدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابى ، حدثنا مهدى بن سابق قال : قال المأمون : يحسنُ بالملوك الحلم عن كل أحد ، إلا عن ثلاثة : قادح فى ملك ، أو مذيع لسر ، أو متعرض لحرمة .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحلم على ضربين :

أحدهما : مايرد على النفس من قضاء الله من المصائب التى امتحن الله بها عباده ، فيصبر العاقل تحت ورودها ، ويحلم عن الخروج إلى مالا يليق بأهل العقل .

Marfat.com

والآخر : مايرد على النفس بصد ما تشتهيه من المخلوقين ، فمن تعود الحلم فليس بمحتاج إلى التصبر ، لاستواء العدم والوجود عنده .

كما حدثنا أبو حمزة محمد بن يوسف بن عمر بنسا ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقى حدثنا عبد الله بن صالح العجلى قال : سمعتُ ابن أبى عتبة يقول :

قيل للأحنف بنُ قيس التميمى ، ممن تعلَّمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم التميمى ، أتاه آتٍ وهو محتبٍ ، فقال : ابن أخيك قتلَ ابنك ؟ قال : عصى ربه وفَتَّ عَضُده ، وقطع رحمه ، جهزوه ، وما حَلَّ حُبْوته ، فمنه تعلمت الحلم .

حدثنا محمد بن شاذ الهاشمى ، حدثنا أحمد بن الخليل البغدادى ، حدثنا على ابن الحسين بن شقيق ، أخبرنا عبد الله عن جعفر بن سليمان قال : كانت امرأة بالبصرة متعبدة تصيبها المصائب ، فتنكر من صبرها ، حتى أصابتها مصيبة موجعة ، فصبرت ، فذكرت ذلك لها ، فقالت : مامن مصيبة تصيبنى فأذكر معها النار إلا صارت فى عينى مثل التراب .

حدثنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحى بالبصرة ، حدثنا عمرو بن إسحاق بن خلاد الجهضمى ، حدثنا خالد بن خداش ، حدثنا وهب عن بكر بن مُضَر قال : كان أبو الهيثم مات ولده ، وبقى له بُنَىٌّ صغير ، فمات ، فأتاه إخوانه يعزونه ، وهو فى ناحية المسجد ، فقال لهم : تركنى حزن يوم القيامة لا آسَى على شىء فاتنى ، ولا أفرح لما أتانى .

حدثنا محمد بن إسحاق الثقفى ، حدثنا القاسم بن الحسن الزبيدى ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، قال : مات ابن لشريح ، فلم يصيحوا عليه ، ولم يشعر به أحد ، فقيل له : يا أبا آمنة ، كيف هو ؟ قال : قد سكن عَلَزُه ورجاه أهله ، ولم يكن منذ اشتكى أسكنَ منه الليلة .

Marfat.com

ذكر الحث على لزوم الرفق في أموره وكراهية لعجلة فيه

حدثنا محمد بن صالح[1] بالعصيرة . حدثنا عبد الجبار[2] بن العلاء العطار حدثنا سفيان[3] عن عمرو بن[4] قيس عن أبي[5] عليسة عن يعلى[6] بن مملك أم[7] الدرداء عن الدرداء[8] قال : قال رسول الله ﷺ « من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير ، ومن منع حظه من الرفق فقد منع حظه من خير » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الرفق في الأمور كله

رجال السند :

(١) محمد بن صالح الطبري العصيري - تقدم -

(٢) عبد الجبار بن العلاء العطار البصري أبو بكر روى عنه [illegible] ثقة .

(٣) سفيان - الثوري تقدم .

(٤) عمرو بن قيس أبو محمد الأزدي الحنفي مولاهم [illegible] ثقة ت .

(٥) أبي مليكة - هو عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن جدعان [illegible] قال [illegible] أبي مليكة رضي الله عنه [illegible] ثقة فقيه من ٣ ع .

(٦) يعلى بن مملك مولى جعفر أبي [illegible] من ٣ ع [illegible] .

(٧) أم الدرداء ثقة ت .

(٨) أبو الدرداء - تقدم

تخريج الحديث :

أخرجه الترمذي في كتاب البر ٣٦٧ ، والبخاري في الأدب المفرد [illegible] الحديث ٣٠٤ وغيرهما من الدرداء .

وقد قال الألباني في تصحيح هذا الحديث [illegible] الجامع في [illegible] الحديث الصحيحة [illegible] الحديث ٨٧٠ ، ٢ .

وترك العجلة والخفّة فيها ؛ إذ الله تعالى يحب الرفق فى الأمور كلها ، ومن منع الرفق منع الخير ، كما أن من أعطى الرفق أعطى الخير ، ولا يكاد المرء يتمكن من بغيته فى سلوك قصده فى شىء من الأشياء على حسب الذى يُحبُّ إلا بمقارنة الرفق ومفارقة العجلة .

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

الرفق يُمن سيلقى اليُمْنَ صاحبُهُ ... والخُرْق منه يكون العُنْفُ والزلل
والحزم أن يتأنّى المرء فرصته ... والكف عنها إذا ما أمكنت فَشَلُ
والبرُّ لله خير الأمر عاقبةً ... والله للبَرِّ عونٌ ماله مثل
خيرُ البرية قولا خيرهم عملاً ... لايصلح القول حتى يصلح العمل

وأنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

الرفق أيمن شىء أنت تتبعه ... والخرق أشأم شىء يقدم الرجلا
وذو التثبت من حمد إلى ظَفَر ... من يركبِ الرفق لايستحقبِ الزَّللا

حدثنا محمد بن أبى على الخلادى ، حدثنا محمد بن خلف البسامى عن أحمد ابن موسى الأزرق أنه أنشده :

وزنِ الكلام إذا نطقت ، فإنما ... يبدى العقولَ أو العيوبَ المنطق
لا ألفَينك ثاوياً فى غربة ... إن الغريب بكل سَهْم يُرشَق
لو سار ألف مُدَجَّج فى حاجة ... لم يقضها إلا الذى يترفق

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يلزم الرفق فى الأوقات ، والاعتدال فى الحالات ؛ لأن الزيادة على المقدار فى المبتغى عيب ، كما أن النقصان فيما يجب من المطلب عجز ، وما لم يصلحه الرفق لم يصلحه العنف . ولا دليل أمهر من رفق ،

Marfat.com

كما لاظهير أوثق من العقل ، ومن الرفق يكون الاحتراز ، وفى الاحتراز ترجى السلامة . وفى ترك الرفق يكون الخرق ، وفى لزوم الخرق تخاف الهلكة .

ولقد أنشدنى الأبرش :

عليك بوجه القصْد فاسلكْ سبيلَهُ ففى الجور إهلاك ، وفى القصد مسلك
إذا أنت لم تعرف لنفسك قدرها تُحَمِّلها مالا تطيق فتهلك

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الرافق لا يكاد يُسبق ، كما أن العَجِل لايكاد يَلْحق ، وكما أن من سكت لايكاد يندمُ ، كذلك من نطق لايكاد يسلم والعَجِل يقول قبل أن يعلم ، ويجيب قبل أن يفهم ، ويَحمد قبل أن يُجرِّب ، ويذم بعد مايحمد ، ويعزم قبل أن يفكر ، ويمضى قبل أن يعزم ، والعَجل تصحبه الندامة ، وتعتزله السلامة ، وكانت العرب تكنى العَجلة : أمّ الندامات .

ولقد أنشدنى بعض أهل العلم :

العجز ضُرٌّ ، وما بالحزم من ضرر وأحزم الحزم سوءُ الظن بالناس
لاتترك الحزم فى أمر تحاذره فإن أمنت فما بالحزم من باس

أخبرنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابى حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب قال : كان يقال : لايوجد العجول محموداً ، ولا الغضوب مسروراً ، ولا الحر حريصاً ، ولا الكريم حسوداً ، ولا الشره غنياً ، ولا الملول ذا إخوان .

وأنشدنى محمد بن عبد الله البغدادى :

إذا ما أتيتَ الأمر من غير بابه تَصَعَّبَ ، حتى لاترى فيه مُرْتَقَى
وإن الذى يصطاده الفَخُّ إن عنا على الفخ كان الفخ أعتى وأضيقا

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العجلة تكون من الحِدّة ، وصاحب العجلة

Marfat.com

إن أصاب فرصته لم يكن محموداً ، وإن أخطأها كان مذموماً ، والعجل لايسير إلا مفاكباً للقصد منحرفا عن الجادَّة ، يلتمس ماهو أنكد وأوعَر وأخفى مَسَارا يحكم حكم الوَرْهاء ، ويناسب أخلاق النساء .

ولقد حدثنا عمرو بن محمد الأنصارى حدثنا الغلابى حدثنا مهدى بن سابق قال : قال خالد بن بَرْمك : من استطاع أن يمنع نفسه من أربعة أشياء فهو خليق أن لاينزل به كبير مكروه : العجلة ، واللَّجاجة ، والعُجب ، والتوانى ، فثمرة العجلة الندامة ، وثمرة اللجاجة الحيرة ، وثمرة العجب البغضة ، وثمرة التوانى الذل .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العجلة موكل بها الندم ، وما عجل أحد إلا اكتسب ندامة ، واستفاد مذمة ؛ لأن الزلل مع العجلة ، والإقدامُ على العمل بعد التأنى فيه أحزم من الإمساك عنه بعد الإقدام عليه ، ولا يكون العجول محموداً أبداً ، والعاقل يعلم أن العجز فى الأمور يقوم فى النقض مقام الإفراط فى السعى فيتجنبها معاً ، ويجعل لنفسه مسلكاً بينهما .

ولقد حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو الدرداء عبد العزيز بن منيب حدثنى إبراهيم بن عاصم قال : سمعت صدقة يقول : سمعت الشمردل يقول : نكح العجزُ التوانى ، فولَّد الندامة .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : سبب النجاح ترك التوانى ، ودواعى الحرمان الكسل ، لأن الكسل عدو المروءة ، وعذاب على الفتوة ، ومن التوانى والعجز أنتجت الهلكة ، وكما أن الأناة بعد الفرصة أعظم الخطأ كذلك العجلة قبل الإمكان نفس الخطأ ، والرشيد من رَشَد عن العجلة ، والخائب من خاب عن الأناة ، والعجِل مخطىء أبداً ، كما أن المتثبت مصيب أبداً .

Marfat.com

حدثنى محمد بن عثمان المقبى ، حدثنا محمد بن الحسن المصرى حدثنى نعيم ابن حماد حدثنا ابن المبارك حدثنا معمر قال : كتب عمرو إلى معاوية يعاتبه فى التأنى « أما بعد ، فإن التفهم فى الخير زيادة ورشد ، وإنه من لا ينفعه الرفق نصره الخُرْق ومن لاتنفعه التجارِب لايدرك المعانى ـ أو قال : المعالى ـ ولا يبلغ الرجل مبلغ الرأى حتى يغلب حلمه جهله ، وتصيره شهوته ، ولا يدرك ذلك إلا بقوة الحلم » .

وأنشدنى محمد بن حبيب الواسطى :

بُنىَّ إذا ما ساقك الضر فائِدٍ فَلِلرِّفقُ أولى بالأريب وأحـرز
فلا تحمين عند الأمور تعزُّزًا فقد يُورث الذل الطويل التعزز

أخبرنى محمد بن المنذر حدثنا إسماعيل بن إسحاق حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد عن أيوب قال : قال أكثم بن صَيْفى : مايسرنى أنى نزلت بدار معجزة ، فأسمنت وألبنت ، قيل له : لم ؟ قال : لأنى أخاف أن أتخذ العجز عادة .

وأنشدنى المنتصر بن بلال :

وعليك فى بعض الأمور صعوبة والرفق للمستعصيات مدان
وبحسن عقل المـرء ينبت حاله وعلى الْمَغَارس تثمر العيدان

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابى ، حدثنا مهدى بن سابق عن عبد الله ابن عياش عن أبيه قال : شهد أعرابى عند معاوية شهادة ، فقال معاوية : كذبت فقال الأعرابى ، إن الكاذب لَلمتزمِّل فى ثيابك ، فقال معاوية : هذا جزاء من يعجل .

* * *

Marfat.com

ذكر الحث على تعلم الأدب ولزوم الفصاحة

حدثنا الحسين بن إدريس [١] الأنصارى أنبأنا أحمد [٢] بن أبى بكر عن مالك عن زيد [٣] بن أسلم عن ابن عمر [٤] قال : قال رسول الله ﷺ « إن من البيان لسحراً » .

رجال السند :

(١) الحسين بن ادريس الأنصارى بن المبارك بن الهيثم أبو على الهروى ثقة حافظ قاله الذهبى فى التذكرة ٢/٦٩٥ .

(٢) أحمد بن أبى بكر بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن

(٣) مالك بن انس بن مالك بن ابى عامر بن عمرو الاصبحى ابو عبد الله المدنى الفقيه امام دار الهجرة رأس المثقفين وكبير المتثبتين وهو أحد السلسلة الذهبية ، من ٧/ع .

(٣) زيد بن أسلم العدوى مولى عمر أبو عبد الله أو أبو اسامة المدنى ثقه عالم وكان يرسل من ٣/ع .

(٤) ابن عمر تقدم .

تخريج الحديث :

اخرجه البخارى فى كتاب النكاح من صحيحة ٢٠١ وفى كتاب الطب ٩/٢٣٩٧ ومالك فى الموطا ٢/٢٥٢ وابوداود فى كتاب الادب ٥/٣١٧ واحمد فى مسنده ٢/١٦، ٥٩ ، ٦٢ ، ٩٤/ ١ ، الترمذى فى كتاب البر ٤/٣٧٦ ، وأبو نعيم فى الحلية ٣/٢٢٤ كلهم عن ابن عمر .

وأخرجه مسلم فى كتاب الجمعة من صحيحه ٦/١٥٨ . وأحمد فى مسنده ٤/٢٦٢ والترمذى فى كتاب الصلاة ١/٣٠٣ عن عمار .

وأخرجه أبو داود فى كتاب الادب ٢/٥٩٧ ، وأحمد ٢٦٩ ، ٣٠٣ ، ٣٠٩ . ٣١٣ ، ٣٢٧ ، ١/٣٣٢ والبخارى فى الادب المفرد رقم الحديث ٨٧٢ص ٢/٢٣٠عن ابن عباس .

وأخرجه أحمد ١/٣٩٧ عن ابن مسعود ، و ٣/٤٧٠ عن خعين بن يزيد — وفى سنده سهيل بن دراع ضعيف ، والخطيب البغدادى فى تاريخه ١٠/٣٤٩ عن ابى هريرة والطبرانى عن أنس ، وفيه العباس بن الفضل الازرق متروك قاله الهيثمى فى المجمع رقم ٧٥٦ ص ١/٢٣٣ .

Marfat.com

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد شبه النبى ﷺ فى هـذا الخبر البيان بالسحر ؛ إذ الساحر يستميل قلب الناظـر إليه بسحره وشعوذته . والفصيح الذَّرِبُ اللسان يستميل قلوب الناس إليه بحسن فصاحته ونظم كلامه ، فالأنفس تـكون إليه تائقة ، والأعين إليه رامقة .

ولقد حدثنا أبو خليفة حدثنا أبو محمد التوزى البغوى حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا حبان بن علىّ قال : سمعت ابن شُبرمة يقول : ما رأيت لباساً على رجل أحسن من فصاحة ، ولا على امرأة أحسن من شحم ، وإن الرجل ليتكلم فيُمرِب؛ فـكأن عليه الخزّ الأدكن ، وإن الرجل ليتكلم فيلحن فـكأن عليه أسمالا وإن أحببت أن يصغر فى عينك الـكبير ، ويكبر فى عينك الصغير ؛ فتعلم النحو .

وأنشدنى الـكريزى :

أكرم بذى أدب أكرم بذى حسب ... فإنما العزم فى الأحساب والأدب
والناس صنفان ذو عقل وذو أدب ... كمعدِن الفضة البيضاء والذهب
وسائر الناس من بين الورى همَج ... كانوا موالىَ أو كانوا من العرب

وأنشدنى البسَّامى :

ليس المسوّدُ مَنْ بالمال سؤدده ... بل المسود من قـد ساد بالأدب
لئن ساد بالأموال سـؤدده ... ما دام فى جمع ذى الأموال والنشب
إن قَلّ يوماً له مال يصـير إلى ... هُون من الأمر فى ذُل وفى تعب

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الفصاحة أحسن لباس يلبسه الرجل ، وأحسن إزار يتّزر به العاقل ، والأدب صاحب فى الغربة ، ومؤنس فى القلة ، وزين فى المحافل ، وزيادة فى العقل ، ودليل على المروءة ، ومن استفاد الأدب فى حداثته

انتفع به فى كبره ؛ لأن من غرس فَسيلاً يوشك أن يأكل رُطَبها ، وما يستوى عند أولى النهى ، ولا يكون سيان عند ذوى الحجى : رجلان : أحدهما يلحن ، والآخر لايلحن .

وقد حدثنا الحسين بن محمد بن مصعب السمجى حدثنا أبو داود حدثنا عبد الله ابن بكر بن حبيب حدثنا أبو سالم بن قتيبة قال : كنت عند ابن هبيرة فجرى الحديث ، حتى ذكروا العربية ، فقال : والله ما استوى رجلان حَسَبهما واحد ، ومروءتهما واحدة ، أحدهما يلحن ، والآخر لايلحن ، إلا أن أفضلهما فى الدنيا والآخرة الذى لايلحن ، قال : فقلت : أصلح الله الأمير ! هذا أفضل فى الدنيا لفضل فصاحته وعربيته ، أرأيت الآخرة ، ما باله فُضِّل فيها ؟ قال : إنه يقرأ كتاب الله على ما أنزل ، والذى يلحن يحمله لحنه على أن يدخل فى كتاب الله ما ليس فيه ، ويخرج منه ماهو فيه . قال : قلت : صدق الأمير وبَرَّ .

وأنشدنى محمد بن عبد الله البغدادى :

أيها الطالب فخراً بالنسبْ ... إنما الناس لأم ولأب
هَلْ تراهم خلقوا من فضة ... أو حديد أو نحاس أو ذهب ؟
أو ترى فضلهم فى خَلقهم ... هل سوى لحمٍ وعظمٍ وعَصَب ؟
إنما الفضل بحلم راجح ... وبأخلاق كرام وأدب
ذاك مَن فاخر فى الناس به ... فاق من فاخر فيهم وغلب

وأنشدنى محمد بن نصر بن نوفل أنشدنى عبد العزيز بن أحمد بن بكار إمام مسجد مكة :

ما حُلَّة نُسجت بالدُّرِّ والذهب ... إلا وأحسن منها المرءُ بالأدب

Marfat.com

حدثنا محمد بن أبي على الخلادى حدثنا أحمد بن محمد المسروقى حدثنا محمد بن الحسين البرجلانى حدثنا أبو عمر العمرى حدثنى عبد الله بن سلمة بن مرداس عن أبيه قال : قال لى رجل من حكماء الفرس : أقربُ القرابة المودة الدائمة ، وأفضل ما ورث الآباء الأبناء حسن الأدب .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أفضل ما ورث أب ابناً ثناء حسن وأدب نافع، والخرس عندى خير من البيان بالكذب ، كما أن الحصور خير من العاهر .

فيجب على العاقل أن يذكى قلبه بالأدب ، كما يذكى النار بالحطب ؛ لأن من لم يذك قلبه رَان حتى يَسْوَدَّ، ومن تعلم الأدب فلا يتخذه للمهاراة عُدَّة، ولا للمباراة ماجاً ، ولكن يقصد قصد الانتفاع بنفسه ، وليستعن به على مايقربه إلى بارئه .

ولقد أنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

أدبُ المرء كاحم ودمٍ ما حواه رجل إلا صَلحْ
لو وزنتم رجلا ذا أدب بألوف عن ذوى الجهل رجح

أنبأنا أحمد بن بشر الكرخى حدثنا محمود بن الخطاب حدثنا رُستَه عبد الرحمن بن عمر قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول : ما ندمت على شىء ندامتى أنى لم أنظر فى العربية .

سمعت إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل القاضى يقول : سمعت ابن أخى الأصمعى يقول : سمعت عمى يقول : تعلموا النحو ، فإن بنى إسرائيل كفروا بكلمة واحدة ، كانت مشددة فخففوها : قال الله « ياعيسى إنى ولَدْتك » فقرأوا ياعيسى إنى ولَدْتك مخففا فكفروا .

حدثنا الحسن بن إسحاق الأصبهانى حدثنا أبو أمية حدثنا عبد الله بن صالح

Marfat.com

حدثنا أبو زيد النحوى قال : جاء رجل إلى الحسن ، فقال : ما تقول فى رجل ترك أبيه وأخيه ؟ فقال الحسن : ترك أباه وأخاه ، قال الرجل : فما لأباه ولأخاه ؟ فقال الحسن : فما لأبيه ولأخيه ، فقال الرجل : كلما تابعتك خالفت .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لازينة أحسن من زينة الحسب ، كما أن من أجمل الجمال استعمال الأدب ، ولا حسن لمن لا أدب له ، ومن كان من أهل الأدب ممن لاحسب له يبلغ به أدبه مراتب أهل الأحساب ؛ لأن حسن الأدب خَلَف من الحسب ، وليست الفصاحة إلا إصابة المعنى والقصد ، ولا البلاغة إلا تصحيح الأقسام واختيار الكلام ، ومن أحمد الفصاحة الاقتدار عند البداهة والغزارة عند الإطالة ، وأحسن البلاغة وضوح الدلالة ، وحسن الإشارة .

ولقد سمعت محمد بن نصر بن نوفل المروزى يقول : سمعت أبا داود السنجى يقول : سمعت الأصمعى يقول : ليست البلاغة بخفة اللسان ، ولا كثرة الهذيان ، ولكن بإصابة المعنى والقصد إلى الحاجة ، وإن أبلغ الكلام مالم يكن بالقروى المجدّع ، ولا البدوى المعرّب .

وأنشدنى الكربزى :

ولم أر فضلاً تمّ إلا بشيمة ولم أر عقلا صح إلا على أدب
ولم أر فى الأعداء حين اختبرتهم عدوًّا لعقل المرء أعدى من الغضب

حدثنا عمر بن محمد حدثنا الغلابى حدثنا محمد بن عبيد الله الجشمى قال : قال المدائنى : ذكر عند على بن عبد الله بن عباس بلاغة رجل ، فقال : إنى لأكره أن يكون مقدار لسانه فاضلا على مقدار علمه ، كما أكره أن يكون مقدار علمه فاضلا على مقدار عقله .

Marfat.com

قال أبو حاتم رضى الله عنه: الكلام مثل اللؤلؤ الأزهر، والزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر، إلا أن بعضه أفضل من بعض، ومنه ما يكون مثل الخزف والحجر والتراب والمدَر، وأحوج الناس إلى لزوم الأدب وتعلم الفصاحة أهل العلم؛ لكثرة قراءتهم الأحاديث، وخوضهم فى أنواع العلوم.

ولقد سمعت محمد بن نصر بن نوفل يقول: سمعت أبا داود السنجى أو حدثنى سهل بن هانئ عنه، قال: سمعت الأصمعى يقول: إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل فيما قال النبى ﷺ: «مَنْ كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» لأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن لحاناً، ولم يلحن فى حديثه، فهما رويت عنه ولحنت فيه كذبت عليه.

وأنشدنى ابن زنجى البغدادى:

ليس الفتى كلُّ الفتى إلا الفتى فى أدبه
وبعضُ أخلاق الفتى أولى به من نسبه
حَتْفُ امرىء لسانه فى جِدِّه أو لعبه
بين اللَّهَى مقتله رُكِّبَ فى مركَّبه

سمعت أحمد بن الخطاب بن مهران بتُسْتَر يقول: سمعت عثمان خُرْزَادَ يقول: سمعت على بن الجعد يقول: سمعت شعبة يقول: مثل الذى يطلبُ الحديث ولا يعرف النحو مثل الدَّابة عليها الخلاة، ليس فيها شىء.

* * *

Marfat.com

ذكر إباحة جمع المال للقائم بحقوقه

حدثنا أحمد بن محمد[١] بن الحسين[٢] ابن بنت الحسن بن عيسى بن ماسَرْجِسَ حدثنا جدى حدثنا ابن المبارك[٣] أنبأنا موسى[٤] بن على بن رباح[٥] عن أبيه عن أبى قيس[٦] مولى عمرو بن العاص عن عمرو بن[٧] العاص أن رسول الله ﷺ قال : « **ياعمرو** نِعِمَّا المال للرجل الصالح » .

رجال السند :

(١) أحمد محمد بن الحسين ابن بنت الحسن بن عيسى بن ما سرجس

(٢) جده لم اجده ٠

(٣) ابن المبارك ـ تقدم ٠

(٤) موسى بن على رباح اللخمى أبو عبد الرحمن البصرى صدوق ربما خطأ من ٧/ نج م عم ٠

(٥) على بن رباح بن قصير اللخمى أبو عبد الله البصرى ثقه والمشهور فيه على بالصغير من ٣/ نج م عم ٠

(٦) أبو قيس مولى عمرو بن العاص اسمه عبد الرحمن بن ثابت ثقه من ٢ / ع ٠

(٧) عمرو بن العاص بن وائل السهمى الصحابى المشهور أسلم عام الحديبية وولى أمرة مصر وفتحها ومات بها بعد ٤٠ هـ/ع ٠

تخريج الحديث :

أخرجه أحمد فى مسنده ١٩٧ / ٢٠٢ / ٤ عن عمرو بن العاص ٠ والبخارى فى الادب المفرد رقم ٢٩٩ ص ٣٩٢ / ١ ٠

والحاكم فى أول كتاب البيوع ٢ / ٢ وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبى وابن حبان فى كتاب البيوع (رقم الحديث ١٠٨٩ ـ موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان) للهيثمى ص ٢٦٨ وأبو داود الطيالسى فى مسنده ٤٤ / ٢ من منحة المحمود عن عمرو بن العاص ٠

Marfat.com

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الخبر يصرح عن النبى ﷺ بإباحة جمع المال رالرجل معاً بياناً واضحاً ؛ لأنه إنما أباح فى جمع المال الذى لايكون بمحرم على جامعه ، ثم يكون الجامع له قائماً بحقوق الله فيه ، ولقد ذكرت هذه المسألة بتمامها بالعلل والحكايات فى كتاب « الفصل بين الغنى والفقر » بما أرجو الغنية فيها لمن أراد الوقوف على معرفتها ، فأغنى ذلك عن تكرارها فى هذا الكتاب .

أنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

إذا كان ما جمّعت ليس بنافع ... فأنتَ وأقصى الناسِ فيه سواءُ
على أن هـذا خارجٌ من أنامه ... وأنت الذى تجـزى به وتساء

أنبأنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا أبو عياد حدثنا شعبة عن قتادة قال : سمعت مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير يحدث عن حكيم بن قيس بن وصم عن أبيه أنه أوصى بنيه عند موته ، فقال : عليكم بالمال واصطناعه فإنه مَنبهة للكريم ، ويستغنى به عن اللئيم ، وإياكم ومسألة الناس ؛ فإنها كسب الرجل .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أحسن ماينتفع المرء [به] فى عمره وبعد الممات تقوى الله رالعمل الصالح .

فالواجب على العاقل أن يعمل فى شبابه فيما يقيم به أَوَدَهُ ، كالشىء الذى لايفارقه أبداً ، وفيما يصلح به دينه كالشىء الذى لايجده غداً ، وليكن تعاهدهُ لماله ما يصلحُ به معاشُه ، ويصون به نفسه ، وفى دينه ما يقدم به لآخرته ، ويرضى به خالقه ، والفاقة خير من الغنى بالحواله ، والغنى الذى لامروءة له أهون من الكلب ، وإن هو طُوِّقَ وخُلْخِل .

Marfat.com

حدثنى محمد بن عثمان العقبى حدثنا عمران بن موسى بن أيوب حدثنى أبى حدثنى عيسى بن يونس عن محمد بن سُوقة عن محمد بن المنكدر قال : نعم العون على تقوى الله الغنى .

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

أرى كلَّ ذى مال يسود بماله ... وإن كان لا أصلٌ هناك ولا فصلُ
وآخرَ منسوباً إلى الرأى خاملا ... وأنوكَ مجهولا ، لهُ الجاهُ والنُّبْلُ
فلا ذا بفضل الرأى أدرك بُلْغَةً ... ولم أرَ هذا ضَرَّهُ النَّوْكُ والجهلُ

وأنشدنى منصور بن محمد الكريزى بيحيى بن أكثم :

إذا قَلَّ مال المرء قَلَّ بهاؤه ... وضاقت عليه أرضه وسماؤه
وأصبح لايدرى ، وإن كان حازماً ... أقُدامهُ خيرٌ له أم وراؤه
ولم يمض فى وجه من الأرض واسع ... من الناس إلا ضاق عنه فضاؤه
وأصبح مردوداً عليه مقالُه ... وكأن به قد يَقتدى خطباؤه
وإن يبق لم يَضرُرْ عدوًّا بقاؤه ... وإن يَفْنَ لم يفقد الخير فَناؤه

حدثنى محمد بن المهاجر حدثنا أحمد بن حماد البربرى عن سليمان بن أبى شيخ حدثنى الزبيرى قال : مر عمر بن الخطاب بمحمد بن مَسلمة وهو يغرس وَدِياً ، فقال : ما تصنع يا ابن مسلمة ؟ قال : ماترى ، أستغنى عن الناس ، كما قال صاحبكم أحيحة بن الجُلاح :

استغن، أومُت فلا يَغْرُرْكَ ذو نَسبٍ ... من ابن عم ، ولا عم ، ولا خال
إنى أَظَلُّ على الزوراء أعمرها ... إن الحبيب إلى الإخوان ذو المال

أنبأنا محمد بن المنذر حدثنا على بن عبد الرحمن عن عبدان قال : دخلت على

Marfat.com

عبد الله بن المبارك ، وهو يبكى ، فقلت له : مالك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : بضاعة لى ذهبت ، قال : قلت . أو تبكى على المال ؟ قال : إنما هو قوام دينى .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أسعد الناس من كان فى غناه عفيفاً . وفى مسكنته قنعا ؛ لأن من نزل به الفقر لم يجد بُدًّا من ترك الحياء ، والفقرُ يذهب العقل والمروءة ، ويذهب العلم والأدب ، وكاد الفقر أن يكون كفراً ، ومن عُرف بالفقر صار مَعْدِناً للتهمة ، ومجمعاً للبلايا ؛ اللهم إلا أن يرزق المرء قلباً نقيًّا قنعاً ، يرى الثوب المدّخر من الضجر الشديد ، فحينئذ لايبالى بالعالم بأسرهم والدنيا وما فيها ، والفقر داعية إلى المهانة ، كما أن الغنى داعية إلى المهابة ، ولقد أحسن الذى يقول :

يغطِّى عيوبَ المرءِ كثرةُ ماله ... وصُدِّقَ فيما قال ، وهو كذوبُ
ويُزْرى بعقل المرء قِلَّةُ ماله ... يُحَمِّقُه الأقوام وهو لبيبُ

أنبأنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحى حدثنا النمر بن قادم حدثنا حماد بن زيد عن أيوب قال : قال لى أبو قِلابة : يا أيوب ، الزم سوقك ، فإنك لاتزال كريماً على إخوانك مالم تحتج إليهم .

وأنشدنى العقبى أنشدنى محمد بن خلف التميمى بالكوفة :

كان مُقِلًّا حين يغدو لحاجة ... إلى كل من يلقى من الناس مذنبُ
وكان بنو عمى يقولون : مرحباً ... فلما رأونى مُعْدِماً مات مرحبُ

وأنشدنى الكريزى :

لعمرك إن المال قد يجعل الفتى ... نسيباً ، وإن الفقر بالمرء قد يُزْرى
ولا رفع النفس الدنيئة كالغنى ... ولا وضع النفس الكريمة كالفقر

Marfat.com

حدثنا محمد بن يحيى العمى ببغداد حدثنا الصمت بن مسعود حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب قال : قال لى أبو قلابة : الزم السوق ، فإن الغنى من العافية .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : ليس خلة هى للغنىّ مدح إلا وهى للفقير عيب ؛ فإن كان الفقير حليما قيل : بليد ، وإن كان عاقلا قيل : مكار ، وإن كان بليغاً قيل : مهذار ، وإن كان ذكياً قيل : حديد ، وإن كان صموتاً قيل . عَيِىٌّ ، وإن كان متأنياً قيل : جبان ، وإن كان عازماً قيل : جرىء ، وإن كان جواداً قيل : مسرف ، وإن كان مقدِّراً قيل : ممسك .

وشر المال ما اكتُسب من حيث لايَحِلّ وأُنفق فيما لا يَجْمُل ، ووجوده وعدمه ليسا بتجلد ولا بكثرة حيلة ، ولكنه أقسام ومواهب من الخلّاق العليم ولقد أنشدنى الأبرش :

يشقى رجالٌ ، ويشقى آخرون بهم ... ويُسعدُ الله أقواماً بأقوام
وليس رزق الفتى من حُسن حيلته ... لكن جُدود بأرزاق وأقسام
كالصيد يُحْرِمُهُ الرامى المجيد ، وقد ... يَرمى فيرزقُهُ من ليس بالرامى

حدثنى محمد بن سعيد القزاز حدثنا أحمد بن داود بن موسى العطار حدثنا أحمد بن نصر الثدنى حدثنا المندنى قال : قال أبو قيس بن معد يكرب ، وكان له أحد عشر ذَكرا : يابَنِىّ ، اطلبوا هذا المال أجمل الطلب ، واصرفوه فى أحسن مذهب ، صِلوا به الأرحام ، واصطنعوا به الأفوام ، واجعلوه جُنَّةً لأعراضكم تحسن فى الناس قالَتُكم ، فإن جمعه كمال الأدب ، وبذلَه كمال المروءة ، حتى إنه ليسود غير السيد ، ويقوِّى غير الأيّد ، وحتى إنه ليكون فى أنفس الناس نبيها ، وفى أعينهم مهيبا . ومن جمع مالا فلم يَصُن عرضا ، ولم يعط سائلا ، بحث الناس

Marfat.com

عن أصله ؛ فإن كان مدخولا هتكوه ، وإن كان صحيحاً نسبوه إما إلى عِرْضٍ دنية ، وإما إلى لَوْص لئيم حتى يُهَجِّنوه .

حدثنى مطهر بن يحيى بن ثابت بواسط حدثنا سنان حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال « سمع رجل صوتا فى غمام : اذهبى إلى أرض فلان فاسقيه ، قال : فقال الرجل : لآتين فلانا هذا فلأنظرنّ مايعمل فى أرضه ، فأتاه وقد مُطر فيها وهو قائم يفتح الأواعى ، فسلم عليه وقال : يا عبد الله، أخبرنى ماتعمل فى أرضك هذه ؟ قال : أنظر إلى ما أخرج الله منها ، فأرد فيها ثلثه ، وأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالى ثلثه . قال علقمة : فكان ابن مسعود يبعثنى إلى أرض له بزازان أفعل فيها مثل ذلك .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن شر المال مالا يُخرج منه حقوقه ، وإن شراً منه ما أُخذ من غير حِله ، ومنع من حقه ، وأنفق فى غير حله ، واستثمار المال قِوام المعاش ، ولا بد للمرء من إصلاح ماله ، وما ارتفع أحد قط من إصلاح ماله صالحا كان أو طالحا .

ولا يجب للعاقل أن يعتمد على مجاورة نعم الله عنده فلا يقضى منها حقوقها ؛ لأن من أساء مجاورة نِعَم الله أساءت مجاورته ، وتحولت عنه إلى غيره .

ولقد أنشدنى ابن زنجى البغدادى :

فإن كنتَ فى خير ، فلا تغترر به ... ولكن قل : اللهمّ سَلِّم وتمِّم
فمن لَمْ يَصُنْ عِرْضا إذا ما استفاده ... ويشكر لأهل الخير يُسْلَبْ ويُذمم

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابى أنشدنا مهدى بن سابق :

Marfat.com

ورُب مُمَلَّكٍ مالا كثيراً ولكن حَظاهُ منه قليل
يعيش بفضله هذا وهذا وقد سالت به فيه سيول
له منه الذى يحيا عليه بعيشته ، وسائره فضول

حدثنا أحمد بن الحسين الحرازى ـ بالموصل ـ حدثنا أحمد بن سنان القطان حدثنا كثير بن هشام عن عيسى بن إبراهيم عن معاوية بن عبد الله عن كعب قال : أول من ضرب الدينار والدرهم آدم ، وقال : لا تصلح المعيشة إلا بهما .

قال أبو حاتم رضى الله عنه: قد ذكرت ما شاكل هذه الحكايات فى كتاب « السخاء والبذل » فأغنى عن ذلك عن تكرارها فى هذا الكتاب .

☆ ☆ ☆

Marfat.com

ذكر الحث على إقامة المروءات

حدثنا إسحاق[١] بن إبراهيم بن إسماعيل القاضى وعبد الله[٢] بن محمود بن سليمان السعدى قالا : حدثنا عبد الوارث[٣] بن عبيد الله العنكى حدثنا مسلم[٤] ابن خالد الزنجى عن العلاء[٥] بن عبد الرحمن[٦] عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال النبى ﷺ « كرم الرجل دينه ، ومروءته عقله ، وحسبه خُلُقُهُ » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : صرح النبى ﷺ فى هذا الخبر بأن المروءة هى العقل ، والعقل اسم يقع على العلم بسلوك الصواب واجتناب الخطأ .

رجال السند :

(١) **اسحاق بن ابراهيم بن اسماعيل القاضى أبو عمران الغزى قاضيها** ضعفه الدار قطنى كما فى تهذيب .

(٢) عبد الله بن محمود بن سليمان السعدى بن عبد الله أبو عبد الرحمن المروزى وثقه الحاكم قاله الذهبى فى التذكرة ٢ / ٧١٨ .

(٣) عبد الوارث بن عبيد الله العنكى المروزى صدوق من ١٠ / ت .

(٤) مسلم بن خالد الزنجى المخزومى مولاهم المكى فقيه صدوق كثير الاوهام من ٨ / د ق .

(٥) العلاء بن عبد الرحمن تقدم .

(٦) عبد الرحمن تقدم .

(٧) أبو هريرة ـ تقدم .

تخريج الحديث :

فيه مسلم بن خالد الزنجى منكر الحديث كما قال البخارى .

وقد أخرجه أحمد ٣٦٥ / ٢ والحاكم فى مستدركه فى كتاب العلم ١٢٣ / ١ وفى كتاب النكاح كلهم من طريق مسلم الزنجى ، وله شاهد عند الحاكم ١٢٣ / ١ وفيه عبد الله بن سعيد المقرى . متروك .

فالواجب على العاقل أن يلزم إقامة المروءة بما قدر عليه من الخصال المحمودة ، وترك الخلال المذمومة .

وقد نبغت نابغة اتكلوا على آبائهم ، واتكلوا على أجدادهم ، فى الذكر والمروءات ، وبعدوا عن القيام بإقامتها بأنفسهم .

ولقد أنشدنى منصور بن محمد فى ذَمِّ مَنْ هذا نعته :

إن المروءة ليس يدركها امرؤ ... ورثَ المروءة عن أبٍ ، فأضاعها
أمرته نفس بالدناءة وانحنا ... ونهته عن طلب العلى فأطاعها
فإذا أصاب من الأمور عظيمةً ... يبنى الكريم بها المروءة باعها

وأنشدنى محمد بن إسحاق :

خساسة أخلاق الرجال تُشينهم ... وقلّ غناء عنهم النسب المحضُ
يصولون بالآباء فى كل مشهد ... وقد غيّبت آباءهم عنهمُ الأرضُ
طويلٌ تبدّيهم بمجدِ أبيهمُ ... وما لهمُ فى المجد طول ولا عرضُ

وأنشدنى الحسين بن أحمد البغدادى :

ليس الكريم بمن يُدَنِّس عرضه ... ويرى مروءته تكون بمن مضى
حتى يشيدَ بناءه بيَنانه ... ويزينَ صالحَ ما أتوه بما أتى

قال أبو حاتم رضى الله عنه: ما رأيت أحداً أخسرَ صفقة ، ولا أظهر حسرة ، ولا أخيب قصداً ، ولا أقلّ رشداً ، ولا أحمقَ شعاراً ، ولا أدنسَ دثارا ، من المفتخر بالآباء الكرام وأخلاقهم الجسام ، مع تعرّيه عن سلوك أمثالهم ، وقصد أشباههم ، متوهّما أنهم ارتفعوا بمن قبلهم ، وسادوا بمن تقدمهم ، وهيهات ! أنّى يسود المرء على الحقيقة إلا بنفسه ؟ وأنّى يَنْبُل فى الدارين إلا بكده ؟

ولقد أنشدنى البسامى :

وكم قائل : إنى ابن بيت ، هو ابنه ... وقد هدم البيتَ الذى ماتَ عامرُهْ
فأودى هُمُودَاه ، ورثّت حِباله ... وأصلحَ أولاهُ ، وأفسد آخرُهْ

وأنشدنى الأبرش :

فإن قلتَ : لى آباءُ صدق ومنصبٌ ... كريم وإخوانٌ مَضتْ وجدودُ
صدقتَ ، ولكن أنت هدّمتَ ما بَنَوْ ... يكفك هداً ، والبناء جديدُ

وأنشدنى محمد بن عبد الله البغدادى :

إن لم تكن بفِعَال نفسك سامياً ... لم يغن عنك سُموُّه من تسمو به
ليس القديم على الحديث براجع ... إن لم تجده آخذاً بنصيبه
ولربما اقترب البعيد بوُدِّه ... وغداً القريب مباعداً لقريبه

أنبأنا الحسين بن محمد بن مصعب السنجى حدثنا أبو داود السنجى حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الحسن قال : لادين إلا بمروءة .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : اختلف الناس فى كيفية المروءة :

فمن قائل قال : المروءة ثلاثة : إكرام الرجل إخوانَ أبيه ، وإصلاحه مالَه ، وقعوده على باب داره .

ومن قائل قال المروءة : تقوى الله ، وإصلاح الضيعة ، والغداء والعشاء فى الأفنية .

ومن قائل قال : المروءة : إنصاف الرجل مَنْ هو دونه ، والسمو إلى من هو فوقه ، والجزاء بما أتى إليه .

من قائل قال : مروءة الرجل : صدق لسانه ، واحتماله عَثَرات جيرانه ، وبذله

المعروف لأهل زمانه ، وكَفُّه الأذى عن أباعده وجيرانه .

ومن قائل قال : إن المروءة التباعد من الخُلق الدَّنِىِّ فقط .

ومن قائل قال : المروءة : أن يعتزل الرجل الريبة ؛ فإنه إذا كان مريباً كان ذليلا ، وأن يصلح ماله ؛ فإن من أفسد ماله لم يكن له مروءة ، والإبقاء على نفسه فى مطعمه ومشربه .

ومن قائل قال : المروءة حسن العشرة ، وحفظ الفرج واللسان ، وترك المرء مايعاب منه .

ومن قائل قال : المروءة : سَخَاوة النفس ، وحسن الخلق .

ومن قائل قال : المروءة : العِفّة والحِرْفه ، أى يَعِفّ عما يحرم الله ، ويحترف فيما أحل الله .

ومن قائل قال : المروءة : كثرة المال والولد .

ومن قائل قال : المروءة : إذا أُعطيتَ شكرتَ ، وإذا ابتُليت صبرت ، وإذا قدرتَ غفرت ، وإذا وعدت أنجزت .

ومن قائل قال : المروءة : حسن الحيلة فى المطالبة ، ورقة الظرف فى المكاتبة .

ومن قائل قال : المروءة : اللطافة فى الأمور . وجودة القطنة .

ومن قائل قال : المروءة : مجانبة الريبة ؛ فإنه لا يُنبَل مريب ، وإصلاح المال ؛ فإنه لاينبل فقير ، وقيامه بحوائج أهل بيته ؛ فإنه لاينبل من احتاج أهل بيته إلى غيره .

ومن قائل قال ؛ المروءة : النظافة ، وطيب الرائحة .

ومن قائل قال : المروءة : الفصاحة والسماحة .

ومن قائل قال : المروءة : طلب السلامة ، واستعطاف الناس .

ومن قائل قال : المروءة : مراعاة العهود ، والوفاء بالعقود .

ومن قائل قال : التذلل للأحباب بالتملق ، ومداراة الأعداء بالترفق .

ومن قائل قال : المروءة : ملاحة الحركة ، ورقة الطبع .

ومن قائل قال : المروءة : هى المفاكهة والمباسمة .

حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مسلم بن عبيد أبو فراس قال : قال ربيعة : المروءة مروءتان : فللسفر مروءة ، وللحضر مروءة :

فأما مروءة السفر فبذل الزاد ، وقلة الخلاف على الأصحاب ، وكثرة المزاح فى غير مَسَاخط الله .

وأما مروءة الحضر : فالإدْمَان إلى المساجد ، وكثرة الإخوان فى الله ، وقراءة القرآن .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : اختلفت ألفاظهم فى كيفية المروءة ، ومعانى ما قالوا قريبة بعضها من بعض .

والمروءة عندى خصلتان : اجتناب ما يكره الله والمسلمون من الفعال ، واستعمال ما يحب الله والمسلمون من الخصال .

وهاتان الخصلتان يأتيان على ما ذكرنا قبلُ من اختلالهم ، واستعمالها هو الثقل نفسه : كما قال المصطفى ﷺ « إن مروءة المرء عقله » .

ومن أحسن ما يستعين به المرء على إقامة مروءته المال الصالح .

وأنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

احتل لنفسك أيها المحتالُ فمن المروءة أن يُرَى لك مالُ

Marfat.com

كم ناطق وسط الرجال وإنما عنهم هناك تَكلُّمُ الأموالُ

قال أبو حاتم رضى الله عنه: الواجب على العاقل أن يقيم مروءته بما قدر عليه، ولا سبيل إلى إقامة مروءته إلا باليسار من المال، فمن رزق ذلك وضَنَّ بإنفاقه فى إقامة مروءته. فهو الذى خسر الدنيا والآخرة، ولا آمن أن تفجأه المنية فتسلبه مما ملك كريها، وتودعه قبراً رحيماً. ثم يرث المال بعد من يأكله ولا يحمده، وينفقه ولا يشكره، فأى ندامة تشبه هذه؟ وأى حسرة تزيد عليها؟

ولقد أنشدنى محمد بن عبد الله البغدادى:

يا جامع المال فى الدنيا لوارثه هل أنت بالمال قبل الموت منقطعُ
قدم لنفسك قبل الموت فى مَهَلٍ فإنَّ حظك بعد الموت منقطعُ

أنبأنا الفضل بن محمد الجندى ـ بمكة ـ حدثنا إسحاق بن إبراهيم الطبرى حدثنا أزهر عن ابن عون عن ابن سيرين قال: ثلاثة ليست من المروءة: الأكل فى الأسواق، والادِّهان عند العطار، والنظر فى مرآة الحجام.

حدثنا محمد بن إسحاق الثقفى، حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقانى، حدثنا هُشَيْم عن مغيرة عن الشعبى قال: ليس من المروءة النظر فى مرآة الحجام.

حدثنا محمد بن يحيى بن الحسن العمى ببغداد، حدثنا الصلت بن مسعود، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا أيوب قال: سمعت أبا قلابة يقول: ليس من المروءة أن يربح الرجل على صديقه.

وأنشدنى البسامى:

اعلم بأنك ـ لا أبا لك ـ فى الذى أصبحت تجمعُهُ لغيرك خازنُ

Marfat.com

إنَّ المنية لا تؤامر مَنْ أتت فى نفسه يومًا ، ولا تستأذنُ

أنبأنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابى ، حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال : كان يقال : مجالسة أهل الديانة تجلو عن القلب صَدَأَ الذنوب ، ومجالسة ذوى المروءات تدل على مكارم الأخلاق ، ومجالسة العلماء تذكى القلوب .

حدثنى محمد بن أبى على الخلادى، حدثنا أبو أحمد بن حماد البربرى عن سليمان ابن أبى شيخ ، حدثنا محمد بن الحكم عن عوانة قال : قال معاوية بن أبى سفيان : آفة المروءة إخوان السوء .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : والواجب على العاقل تفقد الأسباب المستحقرة عند العوام من نفسه حتى لا يثلم مروءته ؛ فإن المحقرات من ضد المروءات تؤذى الكامل فى الحال بالرجوع فى القهقرى إلى مراتب العوام وأوباش الناس .

ولقد حدثنا جعفر بن محمد الهمدانى ـ بصور ـ قال: سمعت طلحة بن إسحاق ابن يعقوب قال : سمعت موسى بن إسحاق الأنصارى يقول : سمعت على بن حكيم الأودى يقول : سمعت شريكا يقول : ذل الدنيا خمسة : دخول الحمام سحَراً بلا كرنيب ، وعبور الممبر بلا قطعة ، وحضور مجلس العلم بلا نسخة ، وحاجة الشريف إلى الدنىّ ، وحاجة الرجل إلى امرأته .

حدثنا أبو شعبة الحسن بن محمد الإصطخرى ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد ابن منصور ، حدثنا محمد بن عبد العزيز الرملى ، حدثنا رشدين بن سعد ، حدثنا طلحة بن زيد عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : « من قلة مروءة الرجل نظاره فى بيت الحائك ، وحمله الفلوس فى كمه .

Marfat.com

باب الحث على لزوم السخاء ، ومجانبة البخل

أنبأنا أحمد بن يحيى[١] بن زهير بتُسْتَرَ ، حدثنا الحسن[٢] بن عرفة بن يزيد العبدى، حدثنا سعيد[٣] بن محمد الوراق ، حدثنا يحيى[٤] بن سعيد الأنصارى عن الأعرج[٥] عن أبى هريرة[٦] قال: قال رسول الله ﷺ « السخىّ قريب من الله قريب من الناس ، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس ، ولَسَخِىٌّ جاهلٌ ، أحبُّ إلى الله من بخيل عابد » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن كان حفظ سعيد بن محمد إسناد هذا الخبر فهو غريب غريب .

فالواجب على العاقل إذا أمكنه الله تعالى من حُطام هذه الدنيا الفانية ، وعلم زوالها عنه ، وانقلابها إلى غيره ، وأنه لاينفعه فى الآخرة إلا ماقدم من الأعمال

رجال السند :

(١) أحمد بن يحيى بن زهير . تقدم

(٢) الحسن بن عرفة بن يزيد العبدى أبو على البغدادى صدوق من ١٠ / ت س ق .

(٣) سعيد بن محمد الوراق الثقفى أبو الحسن الكوفى نزيل بغداد ضعيف من ٨ / ت ق .

(٤) يحيى بن سعيد الانصارى بن قيس المدنى أبو سعيد القاضى ثقه ثبت من ٥ / ع .

(٥) الاعرج – هو عبد الرحمن بن هرمز أبو داود المدنى مولى ربيعة بن الحارث ثقه ثبت عالم ٣ / ع .

تخريج الحديث :

وأخرجه – الترمذى فى كتاب الادب ٣٤٢ / ٤ وقال غريب .

وقد أطال شيخنا فى رده فى السلسلة الضعيفة رقم ١٥٤ الحديث .

الصالحة : أن يبلغ مجهوده فى أداء الحقوق فى ماله ، والقيام بالواجب فى أسبابه ، مبتغياً بذلك الثواب فى العقبى ، والذكر الجميل فى الدنيا ، إذ السخاء محبة ومحمدة كما أن البخل مذمة ومبغضة ، ولا خير فى المال إلا مع الجود ، كما لا خير فى المنطق إلا مع الخبر .

ولقد أنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

الجـود مكرمة ، والبخل مبغضة ... لايستوى البخل عند الله والجودُ
والفقر فيه شخوص ، والغنى دَعَة ... والناس فى المال مرزوق ومحدود

حدثنى محمد بن أبى على الخلادى ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلى ، حدثنا محمد ابن يوسف السدوسى ، حدثنا أحمد بن خالد القُشَمى ، حدثنا سليمان مولى عبد الصمد ابن على : أن المنصور أمير المؤمنين قال لابنه المهدى « اعلم أن رضاء الناس غاية لاتدركُ ، فتحبب إليهم بالإحسان جُهدك ، وتودَّد إليهم بالإفضال ، واقصد بإفضالك موضع الحاجة منهم » .

وأنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

أعاذلىّ اليوم ، ويحكما مَهْلًا ... وكُفّا الأذى منى ، ولا تكثرا العذلا
دعانى تَجُد كَفِّى بما ملكت يدى ... سأصبح يوماً أترك الجود والبخلا
إذا وضعوا فوق الضريح جنادلا ... علىّ وخلَّفْتُ المطية والرحلا
فلا أنا مختار إذا ما نزلته ... ولا أنا لاف ماثَوَيت به أهلا

أنبأنا إبراهيم بن إسحاق الأنماطى ، حدثنا لوين ، حدثنا ابن أبى الزناد عن هشام بن عروة قال : كان أبى يقول « ما لِئِمَ قومٌ قط أقاموا على ماء عذب » .

Marfat.com

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابى ، حدثنا بكر بن عامر العترى ، حدثنا هشام بن محمد عن أبيه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال « من آتاه الله منكم مالا فليصل به القرابة ، وليُحْسِن فيه الضيافة ، وليَفُكَّ فيه العانى والأسير وابن السبيل والمساكين والفقراء والمجاهدين ، وليصبر فيه على النائبة ، فإن بهذه الخصال ينال كرم الدنيا وشرف الآخرة » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أجود الجود من جاد بماله ، وصان نفسه عن مال غيره ، ومن جاد ساد ، كما أن من بخل ردل .

والجود حارس الأعراض ، كما أن العفو زكاة العقل ، ومن أتم الجود أن يتعرّى عن المِنَّة ؛ لأن من لم يمتن بمعروفه وفّره ، والامتنان بهذه الصنائع ، وإذا تعرّت الصنيعة عن إزار له طرفان ، أحدهما الامتنان ، والآخر طلب الجزاء — كان من أعظم الجود ، وهو الجود على الحقيقة .

ولقد أنشدنى ابن زنجى :

يا رُبَّ عاذلة فى الجود قلتُ لها : قِلِّى ، على الله فيما أنفقُ الخلفا
هَلْ من بخيل رأيت المال أخلده ؟ أم هل رأيتِ جواداً ميتاً عجفاً ؟
لما رأتنى أوتى المال طالبَهُ ولا أبالى تِلادا كان أم طرُفا
عدّت سماحىَ تبذيراً ولست أرى ما يُكسِبُ الحمدَ تبذيراً ولا سرفا

أنبأنا الحسين بن سفيان ، حدثنا حبان بن موسى قال : قسم ابن المبارك يوماً بين إخوانه وأصحاب الحديث ألف درهم ، ثم أنشأ يقول :

لا خير فى المال لكُنّازه إلا جواد الكف وهّابه
يفعل أحياناً بزوّاره ما تفعل الخمر بشرابه

Marfat.com

حدثنى محمد بن عثمان العتبى ، حدثنا الحسن بن محمد عن ابن السماك ، قال : يا عجبى لمن يشترى المماليك بالثمن ، ولا يشترى الأحرار بالمعروف .

قال أبو حاتم رضى الله عنه: إن من أحسن خصال المرء الجود من غير امتنان، ولا طلب ثواب ، والحلم من غير ضعف ولا مهانة .

وأصل الجود ترك الضنّ بالحقوق عن أهلها ، كما أن أصل تربية الجسد أن لايحمل عليه فى الأكل والشرب والباه ، فكما لاتنفع المروءة بغير تواضع ، ولا الحفظ بغير كفاية ، كذلك لاينفع العيش بغير مال ، ولا المال بغير جود ، وكما أن القرابة تبع للمودة ، كذلك المحمدة تبع للإنفاق .

أنبأنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار ، حدثنا يحيى بن معين ، حدثنا المبارك ابن سعيد الثورى قال : كان يقال : ثلاث هنّ أحسن شىء فيمن وجدت فيه : تُؤَدة فى غير ذل ، وجود لغير ثواب ، ونصب لغير الدنيا .

حدثنا أبو يعلى ـ بالموصل ـ حدثنا محمد بن الصباح الدولابى ، حدثنا إسماعيل ابن زكريا عن عاصم الأحول قال: قلت للحسن : ما معنى قوله ﷺ « اليد العليا خير من اليد السفلى » ؟ قال : يد المعطى خير من يد المانع .

حدثنا أبو خليفة ، حدثنا ابن كثير ، أنبأنا سفيان عن الأعمش عن ذكوان وعبد الله بن مرة عن كعب قال: من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله فقد استكمل الإيمان .

وأنشدنى الكريزى ليحيى بن أكثم :

ويُظهرُ عيبَ المرء فى الناس بُخله ... ويستره عنهم جميعاً سخاؤه
تغطَّ بأثواب السخاء ؛ فإننى ... أرى كل عيب والسخاء غطاؤه

Marfat.com

وأنشدنى أحمد بن محمد بن عبد الله اليمانى لبعض القرشيين :

سأبذلُ مالى كلما جاء طالبٌ وأجعله وقفاً على القَرض والفَرض
فإما كريماً صُنتُ بالجود عِرْضه وإما لئيما صُنت عن لؤمه عرضى

وأنشدنى كامل بن مكرم أبو العلاء ، أنشدنى هلال بن العلاء بن عمر الباهلى:

ملأتُ يدى من الدنيا مراراً فما طمع العواذل فى اقتصادى
وما وجبتْ علىّ زكاة مالٍ وهل تجب الزكاة على الجواد

قال أبو حاتم رضى الله عنه : البخل شجرة فى النار ، أغصانها فى الدنيا ، مَنْ تعلق بغصن من أغصانها جرّه إلى النار ، كما أن الجود شجرة فى الجنة أغصانها فى الدنيا ، فمن تعلق بغصن من أغصانها جرّه إلى الجنة ، والجنة دار الأسخياء .

والبخيل يقال له فى أول درجته : البخيل ، فإذا عتا وطغى فى الإمساك يقال له : الشحيح ، فإذا ذم الجود والأسخياء يقال له : لئيم ، فإذا صار يحتج للبخلاء ويعذرهم فى فعالهم يقال له : الملائم .

وما اتزر رجل بإزار أهتك لعرضه ، ولا أثلم لدينه من البخل .

ولقد أنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

لكلِّ همٍّ من الهموم سَعَهْ والبخل واللؤم لا فلاح مَعَهْ
قد يجمع المالَ غيرُ آكله ويأكل المال غير من جمعه
اقبلْ من الدهر ما أتاك به من قَرَّ عينا بعيشه نفعه

سمعت الحطابى بالبصرة يقول: سمعت أبا حاتم السجستانى يقول: سأل كسرى: أى شىء أضر على ابن آدم ؟ قالوا : الفقر ، قال : الشح أضرُّ منه ، إن الفقير إذا وجد اتسع ، وإن الشحيح لا يتسع إذا وجد .

Marfat.com

أنبأنا إبراهيم بن محمد بن يعقوب، حدثنا ابن أبي القعقاع قال: قال أبو الهزيل: كنت عند يحيى بن خالد البرمكي، فدخل عليه رجل هندي، ومعه مترجم له، فقال المترجم: إن هذا رجل شاعر، قد حاول مدحتك، فقال يحيى: لينشد، فقال الهندي:

أرَهِ أصرَهِ كَكَرا كي كَرِهِ مَنْدَرِهِ

فقال يحيى للمترجم: ما يقول؟ قال: يقول:

إذا المكارم في آفاقنا ذكرت فإنما بك فيها يضربُ المثل

قال: فأمر له بألف دينار.

وأنشدني عبد الرحمن بن محمد المقاتلي:

إذا المرء لم يدنَس من اللؤم عِرْضُهُ فكلُّ رِداءٍ يرتديه جميلُ
إذا قلتَ: لا، في كل شيء سُئلته فليس إلى حسن الثناء سبيلُ

وأنشدني عمرو بن محمد الأنصاري أنشدني الغلابي أنشدني مهدي بن سابق:

يا مانع المال، كم تَضِنُّ به تطمع بالله في الخلود مَعَهْ؟
هل حمل المالَ ميتٌ معه؟ أما تراه لغيره جمَعَهْ؟

أنبأنا عمران بن موسى السختياني، حدثنا سليمان بن معبد المروزي، حدثنا عثمان بن صالح، حدثنا ابن وهب أخبرني يحيى بن أيوب عن أبي علي الغافقي سمع عامر بن عبد الله اليحصبي قال: كان ابن منبه يقول: أجود الناس في الدنيا من جاد بحقوق الله، وإن رآه الناس بخيلا بما سوى ذلك، وإن أبخل الناس في الدنيا من بخل بحقوق الله، وإن رآه الناس كريماً جواداً بما سوى ذلك.

وأنشدنى علىّ بن محمد البسامى :

رب مال سينعَمُ الناس فيه ... وهو عن ربه قليل الغَنـــاء
كان يشقى به ، وينصب فيه ... ثم أضـــحى لمعشر غرباء
ماله عندهم جـــزاء إذا ما ... نعموا فيه غير ســـوء الثناء
رب مال يكون ذمًّا وغَمًّا ... وغنىً يعد فى الفقـــراء

حدثنا أحمد بن الحسن بن أبى الصغير المدائنى ، حدثنا الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعى يقول : كان أبو حاتم ـ يعنى الطائى ـ سخيًّا ، وكان يضع الأشياء مواضعها ، وكان حاتم مبذراً ، فاجتمع يوماً عند أبيه أصحابه ، وشكا إليهم حاتما ، قال : والله ما أدرى ما أصنع ؟ لا يأخذ شيئاً إلا بَذَّره ، فاجتمع رأيهم على أن لايعطيه شيئاً سنة ، قال : فأقام أبوه ، ولم يمكنه من شىء سنة ، مع ما هو فيه من الضر ، فلما مضت السنة أمر له بمائة ناقة حمراء ، قال : فلما وقفت عليه قال حاتم : من أحب شيئاً فهو له ، حتى أخذوها كلها ، فدعاه أبوه ، فقال له : أى بنى ، ماذا تصنع ؟ قال : والله يا أبى لقد بلغ الجوع منى شيئًا ، لا يسألنى أحد شيئًا إلا أعطيته إياه .

وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان :

تجـــود بالمـال على وارثٍ ... ولا ترى أهلا له نفسكا
قدَّمَ حسن الظن بالله مَنْ ... جاهَ ، وسوء الظن من أمسكا

أنبأنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابى ، حدثنا ابن عائشة قال : كان عمر ابن عبد العزيز كثيراً ما يتمثل بهذا الشعر ويعجبه :

وما تزوّدَ ممـا كان يجمعـه ... إلا حَنوطا غداة البين مع خِرَقِ

Marfat.com

وغيرَ نَفْحةِ أعـــواد تشدُّ له وقلَّ ذلك من زادٍ لمنطلِقِ

أنبأنا أبو يعلى، حدثنا يحيى بن أيوب المقابرى، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا أيوب عن نافع قال « مرض ابن عمر بالمدينة، فاشتهى عنباً فى غير زمانه، قال: فطلبوا، فلم يجدوا إلا عند رجل، فاشترى سبع حبات بدرهم، فجاء سائلٌ فأمر له به، ولم يذقه ».

قال أبو حاتم رضى الله عنه: ما رأيت أحداً من الشرق إلى الغرب ارتدى برداء الجود واتّزر بإزار ترك الأذى إلا رأسَ أشكاله وأضداده، وخضع له الخاص والعام، فمن أراد الرفعة العالية فى العقبى، والمرتبة الجليلة فى الدنيا، فليلزم الجود بما ملك، وتركَ الأذى إلى الخاص والعام، ومن أراد أن يهتك عرضه، ويثلم دينه، ويمَلّه إخوانه، ويستثقله جيرانه، فليلزم البخل.

ولقد ذم البخل أهل العقل فى الجاهلية والإسلام إلى يومنا هذا، فمنه ما أنشدنى محمد بن عبد الله البغدادى:

لكنّما نُقرت كفّاه من حجر فليس بين يديه والنّدَى عملُ
يرى التيمم فى بحر وفى بلد مخافة أن يُرى فى كفّه بللُ

وأنشدنى عمرو بن محمد أنشدنى الغلابى أنشدنا مهدى بن سابق:

لو أن دارك أنبتت لكَ، واحقَشَتْ إبرًا يضيق بها فِناء المنزلِ
وأتاك يوسفُ يستعيرُك إبرة ليخيط قدَّ قميصه لم تفعل

وأنشدنى أحمد بن محمد بن أيوب:

وكفّاك لم يخلقا للندى ولم يك بخلهما بدْعَه
فكفٌّ عن الخير مقبوضة كما حط من مائة سبعه

وأخرى ثلاثة آلافها وتسع مئيها لها شِرْعه

سمعت محمد بن نصر بن نوفل المروزى يقول: سمعت محمد بن صالح الوركانى يقول : قيل للنضر بن شُميل : أى بيت قالته العرب أسخى ؟ قال : الذى يقول :

فلو لم تكن فى كفِّه غيرُ روحه لجادَ بها ، فليتق الله سائلهُ

قال : وأى بيت قالته العرب أبخل ؟ فقال :

لو جُعِلَ الخردلُ فى كفِّه ما سَقَطَتْ من كفِّه خردَلَة

قال : وأى بيت قالته العرب أهجى ؟ قال :

العَجْرَفيُّون لا يوفون ما وعدوا والعجرفيّات ينجزن المواعيدا

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل ، إذا لم يُعرف بالسماحة ، أن لايعرف بالبخل ، كما لايجب ، إذا لم يعرف بالشجاعة ، أن يعرف بالجبن ، ولا إذا لم يعرف بالشهامة أن يعرف بالمهانة ، ولا إذا لم يعرف بالأمانة ، أن يعرف بالخيانة ، إذ البخل بئس الشعارُ فى الدنيا والآخرة ، وشر ما يُدّخر من الأعمال فى العقبى .

حدثنا أحمد بن عمرو بن جابر بالرملة، حدثنا أبو عتبة الحمصى أحمد بن الفرج حدثنا ضمرة ، حدثنا إبراهيم بن أبى عبلة قال : سمعت أم البنين أخت عمر ابن عبد العزيز تقول : أفٍّ للبخل ، والله لو كان طريقاً ماسلكته ، ولو كان ثوباً ما لبسته .

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابى ، حدثنا العباس بن بكار الهذلى قال: قال الحسن : من أيقن بالْخَلَفِ جاد بالعطية .

* * *

ذكر الزجر عن ترك قبول الهدايا من الإخوان

حدثنا محمد بن صالح الطبرى[١] حدثنا عبد الله[٢] بن عمران الأصبهانى ـ بالرى ـ حدثنا يحيى[٣] بن ضريس ، حدثنا مسلم[٤] بن إبراهيم ، حدثنا سفيان[٥] الثورى عن الأعمش[٦] عن أبى وائل[٧] عن عبد الله[٨] قال : قال رسول الله ﷺ : « أجيبوا الداعى ، ولا تردوا الهدية ، ولا تضربوا المسلمين » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : زجر النبى ﷺ فى هذا الخبر عن ترك قبول الهدايا بين المسلمين .

فالواجب على المرء إذا أهديت إليه هدية أن يقبلها ولا يردها ، ثم يثيب عليها

رجال السند :

(١) محمد بن صالح الطبرى تقدم .
(٢) عبد الله بن عمران الاصبهانى ابن أبى على الاسدى ابو محمد نزيل الرى صدوق من كبار ١١ / ق .
(٣) يحيى بن ضريس البجلى الرازى القاضى صدوق من ٩ / م ت .
(٤) مسلم بن ابراهيم الازدى الفراهيدى أبو عمرو البصرى ثقة مأمون مكثر من صغار ٩ / ع .
(٥) سفيان الثورى تقدم .
(٦) الاعمش تقدم .
(٧) أبو وائل تقدم .
(٨) عبد الله . هو ابن مسعود تقدم .

تخريج الحديث :

وقد أخرجه أحمد ٤٠٤ / ١ والبخارى فى الادب المفرد .

وأبو نعيم فى الحلية ١٢٨ / ٧ عن ابن مسعود .

وذكر السيوطى فى الجامع أن الطبرانى والبيهقى فى الشعب أخرجاه .

وصححه شيخنا الالبانى فى صحيح الجامع . رقم الحديث ١٥٦ .

Marfat.com

إذا قدر ويشكر عنها ، وإنى لأستحب للناس بعثَ الهدايا إلى الإخوان بينهم إذ الهدية تورث المحبة وتذهب الضغينة . ولقد حدثنى محمد بن المهاجر ، حدثنا الدارمى ، حدثنا عبد الله بن صالح ، أنبأنا الليث قال : سمعت عبد الملك بن رفاعة الفهمى يقول الهدية هو السحر الظاهر . حدثنى إبراهيم بن أبى أمية بطرسوس ، حدثنا حامد بن يحيى البلخى ، حدثنا سفيان قال : لما قعد أبو حنيفة قال لناس مساور الوراق :

كنا من الدين قبل اليوم فى سعة ... حتى بلينا بأصحاب المقاييس
قوم إذا اجتمعوا صاحوا كأنهم ... ثعالب ضبحت بين الغواويس

قال فبلغ ذلك أبا حنيفة فبعث إليه بمال فقال مساور حين قبض المال :

إذا ما الناسُ يوما قايسونا ... بآبدةٍ من الفتيا طريفه
أتيناهم بمقياس صحيح ... مصيب من طراز أبى حنيفه
إذا سمع الفقيه بها وعاها ... وأثبتها بحبر فى صحيفه

وأنشدنى الكريزى :

إن الهدية حلوة ... كالسحر تختلبُ القلوبا
تدنى البعيدَ من الهوى ... حتى تصيره قريبا
وتعيد مضطغن العدا ... وة بعد بغضته حبيبا
تنفى السخيمة من ذوى الـ ... ـشحناء وتمتحق الذنوبا

أنبأنا الحسين بن إسحاق الأصبهانى بالكرج وإبراهيم بن محمد الدستوائى بتستر قالا: حدثنا محمد بن عبيد بن عتبة الكندى، حدثنا بكار بن أسود العامرى

Marfat.com

حدثنا إسماعيل بن أبان قال : بلغ الحسن بن عمارة أن الأعمش يقع فيه ، فبعث إليه بكسوة ، فلما كان بعد ذلك مدحه الأعمش ، فقيل له : كيف تذمه ثم تمدحه ؟ قال : إن خيثمة حدثنى عن عبد الله قال:« إن القلوب جبلت على حب من أحسن إليها ، وبغض من أساء إليها » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قال لنا هذان الشيخان عن النبى ﷺ ، وأنا أهابه ، قال : والبَشر مجبولون على محبة الإحسان ، وكراهية الأذى ، واتخاذ المحسن إليهم حبيباً ، واتخاذ المسىء إليهم عدوًّا .

فالعاقل يستعمل مع أهل زمانه لزوم بعث الهدايا بما قدر عليه لاستجلاب محبتهم إياه ، ويفارقه تركه مخافة بغضهم .

ولقد أنشدنى الأبرش :

هدايا الناس بعضهمُ لبعض ... تُولِّد فى قلوبهمُ الوصالا
وتزرع فى الضمير هوًى وودا ... وتكسوك المهابة والجلالا
مصايد للقلوب بغير لَغب ... وتمنحك المحبة والجمالا

حدثنى محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا عبد الله بن لقمان البهرانى النجرانى ، حدثنا موسى بن أيوب ، حدثنا خداش بن المهاجر عن الحسن بن دينار عن ابن سيرين قال : كانوا يتهادَون الدراهم فى الجوالقات والأطباق .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يستعمل الأشياء على مايوجب الوقت ، ويرضى بنفاذ القضاء ، ولا يتمنى ضد ما رزق ، وإن كان عنده الشىء التافه لايحب أن يمتنع من بذله لاستحقاره واستقلاله ؛ لأن أهون ما فيه

Marfat.com

لزوم البخل والمنع ، ومن حقر شيئاً منعه ، بل يكون عنده الكثرة والقلة فى الحالة سيان ؛ لأن ما يورث الكثير من الخصال أورث الصغير بقدره من الفعال .

حدثنا عمرو بن محمد الأنصارى ، حدثنا الثلابى ، حدثنا إبراهيم بن عمر ابن حبيب عن الأصمعى قال: دخلنا على كَهْمَس العابد، فجاء بخمسة وعشرين بُسرة حمراء فقال : هذا الجهد من أخيكم ، والله المستعان :

وأنشدنى ابن زنجى :

إن المنى عجبٌ لله صاحبها ... لعلَّ حَتْفَ امرىء فيما تمناه
فإن ترى عبراً فيهنَّ معتبرٌ ... يجرى بها قدر ، فالله أجراه
لا تحقِرنَّ من الإحسان محقرة ... أحسن ، فعاقبة الإحسان حُسناه

حدثنا محمد بن أيوب بن مشكان ـ بطبرية قصبة الأردن ـ حدثنا أبو عتبة حدثنا سلمة بن عبد الملك العرضى حدثنا المعافى بن عمران قال : سمعت ميمون يقول : من رضى من خلة الإخوان بلا شىء فليواخ أهل القبور .

حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسى حدثنا محمد بن الوليد بن أبان العُقيلى حدثنا نعيم بن حماد قال : أنشدنى ابن المبارك :

ما ذاق طعمَ الغنى من لا قُنوع له ... ولن ترى قانعا ما عاش مفتقرا
والعرف من يأته يحمد عواقبه ... ما ضاع عُرْف ، ولو أوليته حجرا

سمعت يوسف بن يونس الفَرْغَانى يقول : بعث أبو النور الشاعر إلى الأمير أبى الأشعث بطبق وردٍ يوم النيروز هدية ، وبعث إليه بهذه الأبيات :

بعثنا ببرٍّ تافهٍ ، دون قدركم ... وما تبعث الألطاف للقُلِّ والكثر
ولكنَّ ظرفا أن تزيدة مودة ... فهل تكرمَنَّا بالقبول وبالعذر ؟

Marfat.com

فلو كان بِرى حَسْبَ ما أنت أهله أتاك إذاً روحى على طبق البر

سمعت عمر بن محمد الهمدانى يقول : سمعت وزيره بن محمد الغسانى يقول : قدم بعض الكتاب العسكر ، فأهدى إليه إخوانه ، وكان فيهم مَنْ قعدت به الحال ، فوجّه إليه بدُقّة وأشنان ، وكتب إليه: لو تمت الإرادة ـ جعلت فداءك ! ـ ببلوغ النية فيه ، وملّكتنى الجدَة بَسْط القدرة لأتعبت السابقين إلى برك ، ولبرزت أمام المجتهدين فى فضلك ، ولكن البضاعة قعدت بالهمة ، وقصرت عن مساماة أهل النعمة ، وكرهت أن تطوى صحيفة البر ، وليس لى فيها ذكر ، فوجهت إليك بالمبتدأ به ليمنه وبركته ، وبالمختتم به لطيبه ونفعه ، مقتصراً عن ألم التنصير فيه ، فأما ما سوى ذلك فالمعبر عنى فيه قول الله (٩ : ٩١ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ، ولا على الذين لايجدون ماينفقون حرج) والسلام .

حدثنا محمد بن يوسف الأرمنى ، حدثنا إبراهيم بن عبد العزيز الموصلى ، حدثنا محمد بن على بن الفضل المدينى ، حدثنا عبد الله بن شعيب الزبيرى ، حدثنا محمد بن إسحاق المسيبى عن القاسم بن المعتمر عن حميد بن معيوف عن أبيه قال « كنت ممن شهد الحكم بن حنطب بمنبج ، وهو يريد أن يموت . وقد كان لقى من الموت شدة ، فقلت ـ أو قال رجل ـ : اللهم هَوِّنْ عليه الموت ، فلقد كان ولقد كان . فأثنى عليه ، فأفاق من غشيته ، قال : من المتكلم ؟ قال المتكلم : أنا . قال : إن ملك الموت يقول : إنى بكل رجل سخى رفيق ، قال : ثم كَنَّ فتيلة أطفئت . فمات ، فبلغ ابن هَرْمَةَ الشاعر موتُه فأنشأ يقول :

سألا عن المجد والمعروف أين هما ؟ فقلت : إنهما ماتا مع الحكمِ

ماتا مع الرجل الموفى بذمته يوم الحفاظ إذا لم يوفَ بالذِّمَمِ

Marfat.com

ماذا بمُنْبِحَ لو تُنْبش مقابرها من التهدُّم بالمعروف والكرمِ

حدثنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن موسى السمرى عن حماد بن إسحاق ابن إبراهيم عن أبيه قال: قيل للمغيرة بن شعبة: مابقى من لذتك ؟ قال : الإفضال على الإخوان ، قيل : فمن أحسنُ الناس عيشاً ؟ قال : من عاش بعيشهِ غيره . قيل : فمن أسوأ الناس عيشاً ؟ قال : من لايعيش بعيشه أحد .

* * *

Marfat.com

ذكر استحباب التفريج عن الناس بقضاء الحوائج

حدثنا أبو عمرو[١] محمد بن محمود النسائى ، حدثنا حميد بن زنجويه[٢] ، حدثنا محاضر[٣] بن المورع عن الأعمش[٤] عن أبى[٥] هريرة[٦] قال: قال رسول الله ﷺ « من نَفَّس عن أخيه كُرْبَة من كُرب الدنيا نَفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة (ومن يَسَّر على معسر ، يَسَّر الله عليه فى الدنيا والآخرة) ومن ستر على مسلم ستر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على المسلمين كابة نصيحة المسلمين والقيام بالكشف عن همومهم وكربهم ؛ لأن من نَفَّس كرنة من كرب الدنيا عن مسلم

رجال السند :

(١) ابو عمرو محمد بن محمود النسائى بن عدى بن خالد المروزى وثقه الخطيب فى تاريخ بغداد ٣ / ٢٦٠ .

(٢) حميد بن زنجويه تقدم .

(٣) محاضر بن المورع تقدم .

(٤) الاعمش تقدم .

(٥) أبو صالح تقدم .

(٦) أبو هريرة تقدم .

تخريج الحديث :

وأخرجه مسلم فى كتاب الذكر ٢١ / ١٧ وأحمد فى المسند ٢٥٢ ، ٥٠٠ / ٢ وأبو داود فى كتاب الادب ٥٨٣ /٢ والترمذى فى كتاب البر ٣٢٦ / ٤ وفى كتاب الحدود ٣٤ / ٢ .

وابن ماجه فى المقدمة ٨٢ / ١ وأبو نعيم فى الحلية ١١٩ / ٨ والخطيب فى تاريخه ١٢/١١٤ **كلهم عن الاعمش عن ابى صالح عن ابى هريرة** مرفوعا .

Marfat.com

نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن تَحرَّى قضاء حاجته ولم يُقْضَ قضاؤها على يديه فكأنه لم يقصر فى قضائها ، وأيسر ما يكون فى قضاء الحوائج استحقاق الثناء ، والإخوان يعرفون عند الحوائج، كما أن الأهل تختبر عند الفقر ؛ لأنَّ كل الناس فى الرخاء أصدقاء ، وشر الإخوان الخاذل لإخوانه عند الشدة والحاجة ، كما أن شرَّ البلاد بلدة ليس فيها خِصْب ولا أمن .

وأنشدنى الكريزى :

خيرُ أيامِ الفتى يومٌ نَفَعْ واصطناع العُرف أبقى مصطَنَعْ
ما يُنالُ الخيرُ بالشر ، ولا يَحصُدُ الزارع إلا ما زَرَعْ
ليس كلُّ الدهر يوما واحدا ربما انحط الفتى ، ثم ارتَفَعْ

حدثنا محمد بن سليمان بن فارس ، حدثنا أحمد بن سعيد الدارمى ، حدثنا بشر ابن عمر ، حدثنا الربيع قال : كان الحسن يقول « قضاء حاجة أخ مسلم أحب إلىَّ من اعتكاف شهرين » .

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

سابق إلى الخير وبادرْ به فإنَّ مِن خَلفكَ ما تعلمُ
وقدِّم الخير فكل امرىء على الذى قدمه يَقْدَمُ

حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسى ، حدثنا محمد بن موسى البصرى ، حدثنا الأصمعى ، حدثنا أبو معمر شبيب بن شيبة الخطيب قال : لما حضرَت ابنَ سعيد ابن العاص الوفاةُ قال لبنيه « يا بنىّ ، أيُّكم يقبل وصيتى ؟ فقال ابنه الأكبر : أنا قال : إن فيها قضاء دينى ، قال : وما دينك يا أبت ؟ قال : ثمانون ألف دينار ، قال : يا أبت فيم أخذتها ؟ قال : يابنى فى كريم سددت خَلَّته ، ورجل جاءنى فى

حاجة وقد رأيت السوء فى وجهه من الحياء ، فبدأت بحاجته قبل أن يسألها » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : حقيق على من علم الثواب أن لايمنع ما ملك من جاه أو مال إن وجد السبيل إليه قبل حلول المنية ، فيبقى عن الخيرات كلها ، ويتأسف على ما فاته من المعروف .

والعاقل يعلم أن من صحب النعمة فى دار الزوال لم يخلُ من فقدها ، وأن من تمام الصنائع وأهناها إذا كان ابتداء من غير سؤال .

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابى ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن المهلبى قال: دخل أبو العتاهية على الرشيد ، فقال : سل يا أبا العتاهية ، فقال :

إذا كان المنال يبذل وجه ... فلا قرَّبْتُ من ذاك المنال

وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان :

يبقى الثناء وتنفَدُ الأمـــــوال ... ولكل دهر دولةٌ ورجال

ما نال مَحْمَدة الرجال وشكرَهُمْ ... إلا الصبور عليهم المفضال

حدثنى محمد بن عبدل بن المهدى الشعرانى ، حدثنا محمد بن يزيد الطرسوسى حدثنا ابن عائشة قال : قال أبى « جاء رجل إلى يحيى بن طلحة بن عبيد الله ، فقال له : هب لى شيئاً ، قال : ياغلام أعطه مامعك ، فأعطاه عشرين ألفاً ، فأخذها ليحملها فثقلت عليه ، فقعد يبكى ، فقال : مايبكيك ، لعلك استقللتها فأزيدك ، قال : لا ، والله ما استقللتها ، ولكن بكيت على ما تأكل الأرض من كرمك ، فقال له يحيى : هذا الذى قلت لنا أكثر مما أعطيناك » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لايجب الإلحاف عند السؤال فى الحوائج ؛ لأن شدة الاجتهاد ربما كانت سبباً للحرمان والمنع ، والطالب للفلاح كالضَّرَاب

Marfat.com

بالقِداح : سهم له ، وسهم عليه ، فإن أُعطى وجب عليه الحمد ، وإن مُنع لزمه الرضاء بالقضاء ، ولا يجب أن يكون السؤال إلا فى ديار القوم ومنازلهم ، لا فى المحافل والمساجد والملأ ؛ لأن محمد بن محمود النسائى حدثنا ، قال : حدثنا على ابن خشرم ، حدثنا جرير بن عبد الحميد الضبى عن حنيف المؤذن قال : قال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه : « لا تسألوا الناس فى مجالسهم ومساجدهم فتفحشوهم ولكن سلوهم فى منازلهم ، فمن أعطى أعطى ، ومن منع منع » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الذى قاله عمر بن الخطاب رحمة الله عليه ورضوانه إذا كان المسئول كريماً ، فإنه إن سئل الحاجة فى نادى قومه ولم يكن عنده تضاؤها تشور وخجل . وأما إذا كان المسئول لئيما ودُفع المرء إلى مسألته فى الحاجة تقع له فإنه إن سأله فى مجلسه ومسجده كان ذلك أقضى لحاجته ، لأن اللئيم لا يقضى الحاجة ديانة ولا مُروءة ، وإنما يقضيها إذا قضاها طلباً للذكر والمحمدة فى الناس .

على أنى أستحب للعاقل أنْ لو دفعه الوقت إلى أكل القِدِّ ومَصِّ الحصى ثم صبر عليه لكان أحرى به من أن يسأل لئيما حاجة ؛ لأن إعطاء اللئيم شَين ، ومنعه حَتْف .

ولقد أنشدنى محمد بن عبد الله البغدادى :

إذا أعطى القليل فتًى شريف ... فإن قليل ما يعطيك زينُ
وإن تكن العطية من دنىٍّ ... فإنَّ كثير ما يعطيك شينْ

أنبأنا محمد بن الفضل السجستانى بدمشق ، حدثنا على بن خشرم قال : سمعت سعيد بن مسلم بن قتيبة بن مسلم الباهلى يقول : خرجت حاجا فملّت المحمل ،

Marfat.com

فنزلت أساير القُطَرات ، فقال : أتانا أعرابى ، فقال لى : يافتى لمن الجمال بما عليها ؟ قلت : لرجل من باهلة ، قال : يالله أن يعطى الله باهليًا كل ما أرى ، قال : فأعجبنى ازدراؤه بهم ، ومعى دُرّة فيها مائة دينار ، فرميت بها إليه ، فقال : جزاك الله خيراً ! وافقت منى حاجة ، فقلت : يا أعرابى ، أيسرك أن تكون الجمال بما عليها لك ، وأنت من باهلة ؟ قال : لا ، قلت : أفيسرك أن تكون من أهل الجنة وأنت باهلى ؟ قال : بشرط أن لا يعلم أهل الجنة أنى من باهلة ، فقلت : يا أعرابى، الجمال بما عليها لى وأنا من باهلة : قال : فرمى بالصرة إلىّ فقلت : سبحان الله ! ذكرتَ أنها وافقت منك حاجة ، قال : مايسرنى أن ألقى الله ، ولباهلىّ عندى يد ، فحدثت بها المأمون ، فجعل يتعجب ويقول : ويحك ياسعيد ! ما كان أصبرك عليه .

حدثنا محمد بن الرقام بتستَرَ حدثنا أبو حاتم السجستانى حدثنا الأصمعى حدثنا هاشم بن القاسم قال : سألت سالم بن قتيبة حاجة فقضاها ، ثم سألته أخرى ، فانتهرنى وقال : حاجتين فى حاجة ، أو قال : على الريق ؛ ثم دعا بالطعام ، فلما تغدى قال : هات حاجتك ، أما سمعت قول الصبيان :

إذا تغديتُ وطابتْ نفسى فليس فى الحق غلام مثلى

* إلا غلام قد تغدى قبلى *

أنبأنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابى حدثنا مهدى بن سابق عن عطاء بن مصعب قال : قال أبو عمرو المنذرى : أتيت مسلم بن قتيبة فى حاجة ، وكان له صديق من أهل الشام فكلمته أن يكلمه فى حاجتى ، فجعل يقول : اليوم ، غداً ، فطال علىّ ، فتراءيت له ، وقد كان يعرفنى ، فدعانى فقال : أبا عمرو ، إنك لها هنا ؟

قلت : نعم ، أطالبك بحاجة منذ كذا وكذا وسيلتى فيها فلان ، فضحك وقال : قد كنت أراك قد أحكمت الآداب ، لاتستعن إلى من تطلب إليه حاجة بمن له عنده طُعْمَةٌ : فإنه لا يؤثرك على طعمته ، ولا تستعن بكذاب : فإنه يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب ، ولا تستعن بأحمق ، فإن الأحمق يجهد لك نفسه ولا يكون عنده شىء ، ولا يبلغ لك ما تريد ، فانصرفت ، فقلت : يكفينى هذا ، قال : لا ، ولكن نقضى لك حاجتك ، فقضاها .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لايجب للعاقل أن يتوسل فى قضاء حاجته بالعدو ، ولا بالأحمق ، ولا بالفاسق ، ولا بالكذّاب ، ولا بمن له عند المسئول طعمة ، ولا يجب أن يجعل حاجتين فى حاجة ، ولا أن يجمع بين سؤال وتقاض ، ولا يظهر شدة الحرص فى اقتضاء حاجته ، فإن الكريم يكفيه العلم بالحاجة دون المطالبة والاقتضاء .

وأنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

وإذا طلبتَ إلى كريم حاجة فاصبر ، ولا تكُ لِلمِطال مَلُولَا
لاتُظْهِرَنْ شَرَهَ الحرص،ولاتكن عند الأمور إذا نهضت ثقيلا

وأنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى العرزمى :

وإذا طلبت إلى كريم حاجة فحضوره يكفيك والتسليم
فإذا رآك مسلماً عرف الذى حمّلته فكأنه ملزوم

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لايتسخط ما أعطى ، وإن كان تافهاً ؛ لأن من لم يكن له شىء فكل شىء يستفيده ربح ، ولا يجب أن يسأل الحاجة كلّ إنسان : فرب مهروب منه أنفع من مستغاث إليه ، ولا يجب أن يكون

Marfat.com

السائل متشفعاً لآخر ؛ لأن من لم يقدر على أن يسبح فلا يجب أن يحمل على عنقه الآخر ، ومن سئل فليبذل ؛ لأن مال المرء نصفان ، له مافدم ، ولوارثه ما خلّف ، وأقرب الأشياء فى الدنيا زوالا المال والولاية ، والتعاهد للصنيعة بالتحفظ عليها أحسن من إبتدائها ، ومَنْ غرس غراساً فلا يَضْنَنْ بالنفقة على تربيته ، فتذهب النفقةُ الأولى ضياعاً .

حدثنى محمد بن أبى على الخلادى حدثنى محمد بن أبى يعقوب الربعى حدثنا عبد الكريم بن محمد الموصلى حدثنا أبى ، قال : سمعت أبا تمام حبيب بن أوس الطائى يقول : وقفت على باب مالك بن طَوْق الرحبى أشهراً فلم أصل إليه ، ولم يعلم بمكانى ، فلما أردت الانصراف قلت للحاجب : أتأذن لى إليه أم أنصرف ؟ قال : أما الآن فلا سبيل إليه ، قلت : فإيصال رقعة ؟ قال : لا ، ولا يمكن هذا ، ولكن هو خارج اليوم إلى بستان له فاكتب الرقعة وارْمِ بها فى موضع أرانيه الحاجب ، فكتبت :

لعمرى ، لئن حَجَبتنى العبيـ ـد عنك ، فلم تحجب القافيهْ
سأرمى بها من وراء الجـدا ر شـنعاء تأتيك بالداهيهْ
تصم السميع وتعمى البصير ومن بعـدها تسأل العافيـهْ

فكتبت بها ورميت بها من المكان الذى أرانيه الحاجب فوقعت بين يديه ، فأخرجها ، فنظر فيها ، فقال علىّ بصاحب الرقعة ، فخرج الخادم ، فقال : من صاحب الرقعة ؟ قلت : أنا ، فأدخلت عليه ، فقال لى : أنت صاحب الرقعة ؟ قلت : نعم ، فاستنشدنى فأنشدته ، فلما بلغت ـ ومن بعدها تسأل العافية ـ قال : لا ، بل نسأل العافية من قبلها : ثم قال : حاجتك ؟ فأنشأت أقول :

Marfat.com

ماذا أقول إذا انصرفت وقيل لى : ماذا أصبت من الجواد المفضل ؟
وإن قلتُ : أغنانى كذبت ، وإن أقل ضنَّ الجواد بماله ، لم يجمل
فاختر لنفسك ما أقولُ ، فإننى لابد أخبرهم ، وإن لم أسأل

فقال : إذاً والله لا أختار إلا أحسنها ، كم أقمت ببابى ؟ قلت : أربعة أشهر ، قال : يعطى بعدد أيامه ألوفاً ، فقبضت مائة وعشرين ألف درهم .

سمعت محمد بن نصر بن نوفل بقوقل يقول : سمعت أبا داود السنجى يقول : كان ببغداد رجل يقال له : ابن الهفت ، فمر يوماً على سائل واقف على الجسر ، وهو يقول : اللهم ارزق المسلمين حتى يعطونى ، فقال له : تسأل ربك الحوالة ؟ .

* * *

Marfat.com

ذكر الحث على إعطاء السؤال وطلب المعالى

حدثنا محمد بن صالح الطبرى[١] بالصيمرة حدثنا أبو كريب[٢] محمد بن العلاء الهمدانى حدثنا مصعب[٣] بن المقدام حدثنا سفيان[٤] عن محمد[٥] بن المنكدر عن جابر[٦] قال : « ما سئل النبى ﷺ شيئاً قط فقال : لا ، ولا ضرب بيده شيئاً قط » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إنى لأستحب للمرء طلب المعالى من الأخلاق ، مع ترك رد السؤال ؛ لأن عدم المال خير من عدم محاسن الأخلاق ، والندامة موكلة بترك معالجة الفرصة ، وإن الحرّ ـ حقّ الحر ـ من أعتقته الأخلاق الجميلة ، كما أن

رجال السند :

(١) محمد بن صالح الطبرى تقدم .
(٢) أبو كريب محمد بن العلاء الهمدانى تقدم .
(٣) مصعب بن المقدام الخثعمى مولاهم أبو عبد الله الكوفى صدوق له أوهام من ٩ / أ م ت س ق .
(٤) سفيان . هو الثورى تقدم .
(٥) محمد بن المنكدر تقدم .
(٦) جابر ـ تقدم .

تخريج الحديث :

وقد أخرجه البخارى فى كتاب الادب من صحيحه فى باب حسن الخلق ٤٥٥ / ١٠ ومسلم فى فضائل النبى ٧١ / ١٥ مختصرا عن جابر .

وأحمد فى المسند ٢٢٩ ، ٢٣٢ / ٦ وابن ماجه فى كتاب النكاح ٦٣٨ / ١ والدارمى فى كتاب النكاح ٧١ / ٢ كلهم عن عائشة رضى الله عنها . وفى بعض طرق الحديث تطويل ، وبعضها مختصر ..

Marfat.com

أسوأ العبيد من استعبدته الأخلاق الدنية ، ومن أفضل الزاد فى المعاد اعتقاد المحامد الباقية ، ومن لزم معالى الأخلاق أنتج له سلوكها فراخا تطير بالسرور .

ولقد حدثنى محمد بن سعيد القزاز حدثنا هارون بن صدقة القاضى حدثنا المسيب بن واضح يقول : سمعت يوسف بن أسباط يقول : ما كان المال مذ كانت الدنيا أنفع منه فى هذا الزمان .

وأنشدنى محمد بن عبد الله بن زنجى البغدادى :

بادر هواك إذا هممتَ بصالح خوف العوائق أن تجىء فتغلب
وإذا همت بسيئ فتعمده وتجنب الأمر الذى يتجنب

قال أبو حاتم رضى الله عنه : ماضاع مال ورّث صاحبه مجداً ، ولولا المتفضلون مات المتجملون ، وليس يستحق المرء اسم الكرم بالكف عن الأذى إلا أن يقرنه بالإحسان إليهم ، فمن كثر فى الخير رغبته ، وكان اصطناع المعروف همته ، قصده الراجون ، وتأمله المتأملون ، ومن كان عيشه وحده ولم يعش بعيشه غيره فهو — وإن طال عمره — قليل العمر : والبائس من طال عمره فى غير الخير ، ومن لم يتأسّ بغيره فى الخير كان عاجزاً ، كما أن من استحسن من نفسه مايستقبحه من غيره كان كالغاش لمن تجب عليه نصيحته ، ومن لم يكن له همة إلا بطنه وفرجه عُدّ من البهائم ، والهمة تُبلّغ الرتبة العالية ؛ لأن الناس بهمتهم .

ولقد حدثنا عمرو بن محمد الأنصارى حدثنا الغلابى حدثنا ابن عائشة قال : قال عبيد الله بن زياد بن ظبيان : كان لى خال من كلب ، فكان يقول لى : ياعبيد الله ، همّ ؛ فإن الهمة نصف للروءة .

Marfat.com

وأنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

قد بلونا الناس فى أحلاقهم فرأيناهم لذى المال تَبَعْ
وحبيب الناس مَن أطعمهم إنما الناس جميعاً بالطمع

حدثنا عمر بن حفص البزار ـ بجنديسابور ـ حدثنا إسحاق بن الضيف .

حدثنا الحسن بن واقع الرملى حدثنا ضمرة بن ربيعة ، قال سمعت كديرا أبا سليمان الضبى يقول « كان لقصر إبراهيم الخليل ﷺ ثمانية أبواب من حيث جاء السائل أعطى » .

حدثنا محمد بن أحمد الرقام ـ بتستر ـ حدثنا إسحاق بن الضيف حدثنا أبو مسهر حدثنا سعيد بن عبد العزيز أن الحسن بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهم : سمع رجلا إلى جنبه يسأل الله أن يرزقه عشرة آلاف درهم ، فانصرف فبعث بها إليه .

وأنشدنى الكريزى :

لا تحقرنّ صنيع الخير تفعله ولا صغير فعال الشر من صغره
فلو رأيت الذى استصغرت من حَسَنٍ عند الثواب أطلت العجب من كبره

سمعت أحمد بن محمد بن عبد الله اليمانى يقول : سمعت صالح بن آدم يقول : أنشد إنسان عند عبد الله بن جعفر هذين البيتين :

إن الصنيعة لا تكونُ صنيعةً حتى يُصابَ بها طريقُ المصنع
فإذا صنعت صنيعة فاعمد بها لله ، أو لذوى القرابة ، أو دَعِ

فقال عبد الله بن جعفر : إن هذين البيتين يبخلان الناس ؛ ينبغى لمن عمل

Marfat.com

بهذا أن يدعو لمن طلب حاجة بالبينة ، بل تُبَثُّ الصنائع ، ويُرمَى بها مواضع القَطْر حيث حَلَّت ، وفى مثله يقول المتابى :

له فى ذوى المعروف نُعمَى ، كأنه مواقعُ ماء القَطْر فى البلد القَفْرِ
إذا ما أتاه السائلون لحاجة علَته مصابيحُ الطلاقة والبِشرِ

حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسى حدثنا أحمد بن مسروق حدثنى ابن أبى سعيد عن شيخ له قال : رأيت ابن المبارك يَعَضُّ يد خادم له ، فقلت له : تعضُّ يدَ خادمك ؟ قال : كم آمره أن لايعد الدراهم على السؤال ، أقول له : أحْثُ لهم حَثْواً .

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الفلابى حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال : قال إبراهيم بن أبى البلاد : حدثنى أخى قال : رأيت الحجاج بمنى فى عمله على العراق ، وقام إليه رجال من أهل الحجاز يسألونه ، فقال : توهمتم بنا أنا بغير بلادنا وما لكم مَتْرك ، مَن هٰهنا من أهل العراق ؟ فقام إليه تجار أهل العراق ، فقال : هل من سلف ؟ فقالوا : نعم ، فحملوا إليه ألف ألف درهم ، فقسمها فلما قدم العراق ردها ، وأكثر ظنى أنها ومثلها معها .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يبدأ بالصنائع والإحسان الأفرض فالأفرضَ ، يبدأ بأهل بيته ، ثم بإخوانه وجيرانه ، ثم الأقرب فالأقرب ويتحرّى المعروف والإحسان فى أهل الدين والعلم منهم ، ويجتنب ضد ما قلنا ؛ لأن مثَلَ من لم يفعل ما أومأنا إليه كما أنشدنى الحسين بن أحمد البغدادى :

تَصُول على الأدنى ، وتجتنب العِدَا وما هكذا تبنىَ المكارمُ يا بنى
فكنتَ كفحل السوء ينزو بأمه ويترك باقى الخيل سائمة ترعى

Marfat.com

وأنشدنى البسامى :

وكنت كمهريق الذى فى سقائه لرَقْراق ماء فون رابيــة صَلد
كمرضعة أولادَ أخرى ، وضَيَّعت بنى بطنها ، هذا الضلالُ من القصد

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يبتدىء بالصنائع قبل أن يسأل ؛ لأن الابتداء بالصنيعة أحسن من المكافأة عليها ، والإمساك عن التعرض خير من البذل ، والصنائع إنما تحسن بإتمامها ، والتحافظ عليها بعدها ؛ لأن بصلاح الخواتم تزكو الأوائل ، والعطية بعد المنع أجمل من المنع بعد المعطية ، والناس فى الصنائع على ضربين : شاكر ، وكافر ، ولقد أنشدنى بعض إخواننا :

وما الناسُ فى حسن الصنيعة عندهم ولى كفرهم إلا كبعض المزارع
فمزرعة طابت وأضعف رَيْعُهَا ومزرعةٍ أكُدتْ على كل زارع

وأنشدنى محمد بن عبد الله البغدادي :

ومن يَضَع المعروف فى غــير اهــله يكن ضائعاً فى غــير حمــد ولا أجر
وحسب امرىء من كُفْر نُعْمَى جُحودُها إذا وقعت عند امرىء غير ذى شكر

وأنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

لعمرك ما المعروفُ فى غــير أهــله وفى أهله إلا كبعض الودائع
فمستودَع ضاع الذى كان عنــده ومستودَع ماعنده غــير ضائع

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الهمَج من الناس إذا أحسن إليه يرى ذلك استحقاقاً منه له ، ثم يرى الفضل لنفسه على المحسن إليه ، فلا يحمد عند الخير ، ولا يشكر عند البر ، ويتعجب ممن يشكر ، ويذُم من يحمد ، وإذا امتحن العاقل بمثل مَنْ هذا نعته استعمل معه ما أنشدنى الكريزى :

إن ذا اللؤم إذا أكرمته حَسِبَ الإكرام حقاً لزمكْ
فأهنه بهـــوان ، إنه إن تُهنه بهـــوان أكرمك

وأنشدنى الأبرش :

إذا أوْلَيْتَ معروفاً لئيما يَدُكَ قد قتلتَ له قتيـلا
فكنْ من ذاك معتذراً إليه وقلْ : إنى أتيتك مستقيلا
فإن تغفر ، فمغترمى عظيمٌ وإن عاقَبْتَ لم تَظلم فتيلا
ولستُ بعائد أبداً لهـذا وقد حَمّلتنى حِمـلا ثقيلا

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أهنأ الصنائع ، وأحسنها فى الحقائق ، وأوقعها بالقلوب ، وأكثرها استدامة للنعم ، واستدفاعاً للنقم ، ما كانت خالية من المنن فى البداءة والنهاية ، متعرية عن الامتنان ، وهو الغاية فى الصنيعة . والنهاية فى الإحسان .

ولقد أنشدنى محمد بن عبد الله البغدادى :

أحسنُ من كل حَسَنْ فى كل وقت وزمنْ
صنيعـــة مربوبة خاليـــة من المِنَنْ

حدثنا محمد بن غندار بن محمد الحارثى بالبصرة ، حدثنا سهل بن زاذويه ، حدثنا محمد بن أبى الدواهى عن أبيه قال : قال على بن أبى طالب رضى الله عنه :

ما أحسن الدنيـا وإقبالها إذا أطاعَ اللهَ من نالهـا
من لم يُوَاس الناس من فضلها عرّض للإدبار إقبالهـا
فإن ذا العرش سريع الجـزا يُخلف بالحبـة أمثالهـا

حدثنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن أحمد بن النضر المعنى ، حدثنى سعود حدثنى أبوك ـ يعنى أباه أحمد بن النضر ـ قال : كان بالكوفة قوم من العرب ، فأصابت رجلا منهم حاجة . فكان عياله يغزلون ويبيعون ، وكان يَشْرَكهم ، فقالوا : لاتعود علينا بشىء ، وما نكسب تشركنا فيه ، فأنِفَ من قولهم ، فخرج يَؤُمّ بغداد ، ولم يدخل بغداد قبل ذلك ، وليس له حميم ولا قريب بها . فدخلها ومَرّ على وجهه ، فمر على باب يعقوب بن داود كاتب المهدى ، فرأى قومًا جلوسًا عليهم بِزّة ، فقال : ما أخلق هؤلاء دُعوا إلى وليمة ، لو دخلت معهم ، لعلّى أصيب شَبْعة ، فاندسّ معهم ، فخرج الإذن، فقال: ادخلوا ، فدخلوا إلى دار قَوْراء كبيرة، وإذا بَهْوٌ فى صدر الدار ، فجلسوا فى البهو يَمْنَة ويَسرة ، وأخلوا الصدر فجاء يعقوب فسلم عليهم وقعد ، ثم قال : يا غلام ، هات ، فجاء بصوانٍ عليها مناديل مغطى بها ، وإذا فيها أكياس . فقال : أعطهم ، فوضعوا فى حِجْر كل رجل منهم كيسا ، ووضعوا فى حجرى كيسا ، حتى فرغ منهم ، ثم قال : أعد عليهم ، فوضع فى حجر كل رجل منهم كيساً، ووضعوا فى حجرى كيساً، حتى توالى بين خمسة أكياس ، ثم قال : قوموا مباركٌ لكم ، فقاموا ، وقد ارتاب فيه الخدم، وليس له عندهم اسم ولم يعرفوه . فلما بلغ الدهليز ربطوه فصاح وصاحوا ، وسمع يعقوب الصوت ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : رجل دخل مع هؤلاء القوم لا نعرفه ، فقال : علىّ به ، فقال له : يا عبد الله ، ما أدخلك هذه الدار ؟ فقص عليهم القصة والسبب الذى دخل له ، فقال له : من أين أنت ؟ قال : من أهل الكوفة، قال : من يعرفك بالكوفة ؟ قال: يعرفنى فلان وفلان . فسمى له قوماً يعرفهم، فقال: خلوا عن الرجل، إنا كاتبون إلى هؤلاء القوم ، فإن كان الأمر على ما ذكرت ، فتعال كل سنة فى هذا الوقت، ولك عندنا مثل هذا ، وكتب إلى القوم، فسألهم فكتبوا بمعرفته فكان يجىء أيام حياته فيأخذ خمسة آلاف وينصرف .

ذكر الحث على الضيافة وإطعام الطعام

حدثنا حامد[١] بن محمد بن شعيب البلخي ببغداد حدثنا منصور[٢] بن أبي مزاحم حدثنا أبو الأحوص[٣] عن أبي حصين[٤] عن أبي[٥] صالح عن أبي[٦] هريرة

رجال السند :

(١) حامد بن محمد بن شعيب البلخي البغدادي تقدم ·
(٢) منصور بن أبي مزاحم ـ تقدم ·
(٣) أبو الاحوص تقدم ·
(٤) أبو حصين تقدم ·
(٥) أبو صالح تقدم ·
(٦) أبو هريرة تقدم ·

تخريج الحديث :

وقد أخرجه البخاري في كتاب الادب من صحيحه ٤٤٥ / ١٠ وفي الرقاق ٣٠٨ / ١١ ·

ومسلم في كتاب الايمان ١٨ / ٢ ، ٢٠ / ·

وفي اللقطة ٣٠ / ١٢ والترمذي في كتاب القيامة ٦٥٩ / ٤ ·

وابن ماجه في كتاب الفتن رقم الحديث ٣٩٧١ ص ١٣١٣ / ٢ ·

وأحمد ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٤٣٣ ، ٤٦٣ / ٢ ·

وأبو نعيم في الحلية ٣٢٣ / ٨ كلهم عن أبي هريرة ·

وأخرجه أحمد عن ابن عمر ١٧٤ / ٢ وأخرجه ٢٤ ، ٤١٢ / ٥ عن رجل و ٦٩ / ٦ عن عائشة ·

وأخرجه أبو داود في كتاب الاطعمة ٣٠٨ / ٢ والترمذي في كتاب البر ٣٤٥ / ٤ ·

وابن ماجه في كتاب الادب ١٢١١ ، ١٢١٢ / رقم الاحاديث ٣٦٧٢ ، ٣٦٧٥ والدارمي في كتاب الاطعمة من سننه ٢٤ / ٢ ·

=

Marfat.com

قال : قال رسول الله ﷺ « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكْرِم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم فلا يُؤْذِ جاره » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إنى لأستحب للعاقل المداومة على إطعام الطعام والمواظبة على قِرَى الضيف ؛ لأن إطعام الطعام من أشرف أركان الندَى ، ومن أعظم مراتب ذوى الحِجَى ، ومن أحسن خصال أولى النُّهَى ، ومن عرف بإطعام الطعام شَرُفَ الشاهد والغائب ، وقصده الراضى والعاتب ، وقِرَى الضيفِ يرفع المرء وإن رَقّ نسبه إلى منتهى بغيته ، ونهاية محبته ، ويُشرِّفه برفيع الذكر وكمال الذخر .

حدثنا محمد بن زنجويه القشيرى ، حدثنا أبو مصعب ، حدثنا الدراوردى عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : كان إبراهيم الخليل أولَ من أضاف الضيف .

= ومالك فى موطئه فى باب ما جاء فى الطعام والشراب ٢٢٣ / ٢ .
وأحمد فى مسنده ٣١ / ٤ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ / ٦ والخطيب فى تاريخه ١٣٩ / ١١ .

والبخارى فى الادب المفرد ٢١٥ / ٢ رقم الاحاديث ٧٤١ / ٧٤٣ كلهم عن ابى شريح وكذلك الحاكم فى مستدركه ٤٦٤ / و ٢٨٩ / ٤ وصححه واقره الذهبى .

وأخرجه أحمد ٧٦ / ٣ وأبو نعيم فى الحلية ٣٣٠ / ٨ عن أبى سعيد الخدرى وفيه عند أحمد دراج أبو السمح منكر الحديث وقد أخرجه غيرهم .

وأخرجه ابن المبارك فى كتاب الزهد رقم ٣٦٨ باب حفظ اللسان ص ١٢٥ ورقم ٣٧٢ ، ص ١٢٦ من طريق محمد بن عجلان عن أبى هريرة ، وتكلم عليه ابن المدينى فى العلل ص ٨٤ .

Marfat.com

حدثنا الأنصارى ، حدثنا الغلابى ، حدثنا إبراهيم بن حمر بن حبيب ، حدثنا الأصمعى أخبرنى نافع بن أبى نعيم قال : قال رجل ممن قد أدرك الجاهلية « قدمت المدينة ، فإذا منادٍ ينادى : من أراد الشحم واللحم فليأت دار دُليم - وهو جد سعد ابن عبادة بن دليم سيدِ الخزرج - ثم ضرب الزمان مِنْ ضربه ، فقدمتُ . د بينا المعة منادينادى : من أراد الشحم واللحم فليأت دار عبادة ، ثم ضرب الزمان مِنْ ضربه فقدمتها ، فإذا مناد ينادى : من أراد الشحم واللحم فليأت دار سعد » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : كل من ساد فى الجاهلية والإسلام حتى عرف بالسؤدد ، وانقاد له قومه ، ورحل إليه القريب والقاصى ، لم يكن كمال سؤدده إلا بإطعام الطعام ، وإكرام الضيف .

والعرب لم تكن تعدُّ الجود إلا قرى الضيف ، وإطعام الطعام . ولا تعد السخى من لم يكن فيه ذلك ، حتى إن أحدهم ربما سار فى طلب الضيف الميلَ والميلين .

ولقد حدثنى محمد بن المنذر حدثنا على بن الحسن الفلسطينى حدثنا أبو بكر السنى حدثنا محمد بن سليمان القرشى قال: بينما أنا أسير فى طريق اليمن إذا أنا بغلام واقف على الطريق فى أذنيه قُرْطَان . وفى كل قرط جوهرة يضىء وجهه من ضوء تلك الجوهرة ، وهو يمجد رَبَّه بأبيات من شعر ، فسمعته يقول :

مليكٌ فى السماء به افتخارى عزيزٌ القدر ليس به خفـــاء

فدنوت إليه . فسلمت عليه ، فقال : ما أنا براد عليك سلامك حتى تؤدى

Marfat.com

من حق الذى يجب لى عليك ، قلت : وما حقك ؟ قال : أنا غـلام على مذهب إبراهيم الخليل ، لا أتغدى ولا أتعشى كل يوم حتى أسير الميل والميلين فى طلب الضيف ، فأجبته إلى ذلك ، قال : فرَحَّبَ بى ، وسرت معه حتى قربنا من خيمة شَعَر ، فلما قربنا من الخيمة صاح : يا أختاه ، فأجابته جارية من الخيمة يَا لَبَّيْكَاه قال : قومى إلى ضيفنا هذا ، قال : فقالت الجارية : اصبر حتى أبدأ بشكر المولى الذى سبب لنا هذا الضيف ، قال : فقامت وصلَّت ركعتين شكراً لله ، قال : فأدخلنى الخيمة، فأجلسنى، فأخذ الغلام الشَّفْرة؛ وأخذ عَنَاقاً له ليذبحها ، فلما جلست فى الخيمة نظرت إلى جارية أحسن الناس وجهاً ، فكفت أسارقها النظر ، ففطنت لبعض لحظاتى ، فقالت لى : مَه ، أما علمت أنه نقل إلينا عن صاحب يثرب — تعنى النبى ﷺ — : أن «زِنَا العينين النظر» أما إنى ما أردت بهذا أو أوبخك، ولكنى أردت أن أؤدبك ، لكيلا تعوّد لمثل هذا ، فلما كان وقت النوم بتُّ أنا والغلام خارج الخيمة ، وباتت الجارية فى الخيمة . قال : فكنت أسمع دوىَّ القرآن الليل كله أحسن صوت يكون وأرقّه ، فلما أن أصبحت قلت للغلام : صوت من كان ذلك؟ قال : فقال : تلك أختى تُحيى الليل كله إلى الصباح، قال فقلت : ياغلام، أنت أحق بهذا العمل من أختك، أنت رجل وهى امرأة ، قال : فتبسم ، ثم قال: ويحك يافتى ! أما علمت أنه موفَّق ومخذول .

وأنشدنى محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطى :

إذا ما أتاك الضيفُ فابدأ بحقه ... قبل العيال ، فإنَّ ذلك صوبُ
وعظِّم حقوق الضيف واعلم بأنه ... عليك بما توليه مُثْنٍ وذاهب

Marfat.com

أنبأنا أحمد بن قريش بن عبد العزيز حدثنا إبراهيم بن محمد الذهلى عن الحسن ابن عيسى بن ماسرجس قال : صحبت ابن المبارك من خراسان إلى بغداد فما رأيته أكل وحده .

حدثنى محمد بن عثمان العقبى حدثنا أبو أمية حدثنا عصام بن عمرو أبو حميد الطائى حدثنا عمرو بن هانىء قال : كان رافع بن عميرة بن عمرو السنبسى — فخذ من طيىء — يُغَدِّى أهل ثلاثة مساجد ويعشيهم ، يوماً بثرائد ، ويوماً برطبة — يعنى الحيس — وما له قميص إلا قميص هو لجمعته وهو للبيت .

قال أبو حاتم رضى الله عنه: يجب على العاقل ابتغاء الأضياف ، وبذل الكسر لأن نعمة الله إذا لم تُصَنْ بالقيام فى حقوقها ترجع من حيث بدأت ، ثم لا ينفع من زالت عنه التلهف عليها ، ولا الإفكار فى الظفر بها ، وإذا أدى حق الله فيها استجلب النماء والزيادة ، واستذْخر الأجر فى القيامة ، واستقصر إطعام الطعام .

وعنصر قرى الضيف هو ترك استحقار القليل ، وتقديم ما حضر للأضياف ، لأن من حَقَّر منع ، مع إكرام الضيف بما قدر عليه ، وترك الادخار عنه .

ولقد حدثنى كامل بن مكرم حدثنا محمد بن يعقوب الفرجى حدثنا الوليد ابن شجاع حدثنا عقبة بن علقمة ومبشر بن إسماعيل أنهما سألا الأوزاعى : ما إكرام الضيف ؟ قال : طَلَاقَة الوجه ، وطيب الكلام .

وأنشدنى الكريزى فى قوم لم يكونوا يضيفون :

أقاموا الدَّيدبانَ على يَفَاعٍ ... وقالوا : لا تَنَمْ للديدبان
إذا أبصرت شخصاً من بعيد ... فصعِّق بالبنان على البنان
تراهم خشية الأضياف خُرْسًا ... يُصَلُّون الصلاة بلا أذان

Marfat.com

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أبخل البخلاء من بخل بإطعام الطعام ، كما أن من أجود الجود بذله ، ومن ضَنَّ بما لابد للجثة منه ، ولا تربو النفس إلا عليه : كان بغيره أبخل ، وعليه أشح .

ومن إكرام الضيف : طيب الكلام ، وطلاقة الوجه ، والخدمة بالنفس ، فإنه لا يَذِلُّ من خدم أضيافه ، كما لا يعِزُّ من استخدمهم ، أو طلب لقراه أجراً .

وأنشدنى كامل بن مكرم أنشدنى محمد بن سهيل :

وإنى لطلق الوجه للمبتغى القِرَى ... وإنَّ فِنائى للقرى لرحيبُ
أضاحك ضيفى عند إنزال رحله ... فيخصبُ عندى ، والمحلُّ جديبُ
وما الخصب للأضياف أن يكثُرَ القِرَى ... ولكنما وجه الكريم خصيب

وأنشدنى الأبرش :

لا تبخلنَّ بدنيا ، وهى مقبلة ... فليس ينقُصها التبذير والسرفُ
وإن تَوَلَّتْ فأحرى أن تجود بها ... فالحمد منها إذا ما أدبرت خَلَفُ

أنبأنا الأنصارى، حدثنا الفلابى، حدثنا العقبى عن أبى مخنف لوط بن يحيى، حدثنى هشام بن عروة عن أبيه : أن قيس بن سعد بن عبادة خرج من مصر ، فمرَّ بأهل بيت من القَيْنِ . فنزل بهم ، فنحر لهم صاحب المنزل جَزوراً وأتاهم به،فقال: دونكم ، فلما كان من الغد نحر لهم آخر، ثم حبستهم السماء اليوم الثالث، فنحر لهم مثله، فلما أراد قيس أن يرتحل وضع عشرين ثوباً من ثياب مصر وأربعة آلاف درهم عند امرأة الرجل ، وخرج قيس ، فما سار إلا قليلا حتى أتاه صاحب البيت على

فرس كريم ورمح طويل ، وقدامه الثياب والدراهم ، فقال : يا هؤلاء ، خذوا بضاعتكم عنى ، قال قيس : انصرف أيها الرجل ، فإنا لم نكن لنأخذها ، فقال الرجل : لتأخذُنَّها ، أو لاينفذ منكم رجل ، أو تذهب نفسى ، فعجب قيس منه ، وقال : لِمَ ؟ لله أبوك . ألم تكرمنا وتحسن إلينا ؟ فكافأناك ، مافى هذا من بأس ، فقال الرجل : إنا لا نأخذ لقرى ابن السبيل وقرى الضيف ثمناً ، لا والله لا أفعل أبداً ، قال لهم قيس : أما إذا أبى فخذوها منه ، فأخذوها ، ثم قال قيس : ما فضلنى رجل غير هذا .

حدثنى أحمد بن عمرو الزنبقى بالبصرة ، حدثنا الحسن بن مدرك السدوسى ، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله القرشى ، حدثنا سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال : لأن أشبع كبداً جائعة أحب إلىّ من حجة بعد حجة .

حدثنا محمد بن سعيد القزاز حدثنى عيسى بن أبى موسى الأنصارى حدثنى أبى حدثنا أحمد بن بشير عن هشام بن عروة عن أبيه ، قال : كان من دعاء قيس بن سعد ابن عبادة « اللهم ارزقنى مالًا وفعالًا ؛ فإنه لايصلح الفعال إلا بالمال » .

* * *

ذكر الحث على المجازاة على الصنائع

حدثنا الفضل[١] بن الحباب الجمحى حدثنا عبد الرحمن[٢] بن بكر بن الربيع[٣] ابن مسلم، قال : سمعت الربيع بن مسلم يقول : سمعت محمد[٤] بن زياد يقول: سمعت أبا هريرة[٥] يقول : قال رسول الله ﷺ « من لايشكر الناس لايشكر الله » .

رجال السند :

(١) الفضل بن الحباب تقدم .
(٢) عبد الرحمن بن بكر بن الربيع بن مسلم الجمحى البصرى صدوق من ١٠ / م .
(٣) الربيع بن مسلم الجمحى أبو بكر البصرى ثقة من ٧ / نج م د س ت .
(٤) محمد بن زياد القرشى الجمحى مولاهم أبو الحارث المدنى نزيل البصرة ثقة ثبت ربما أرسل من ٣ / ع .
(٥) أبو هريرة تقدم .

تخريج الحديث :

وقد أخرجه أحمد فى مسنده ٢٥٨ ، ٢٩٥ ، ٣٠٣ ، ٣٨٨ ، ٤٨٢ ، ٢ وابو داود فى كتاب الادب ٥٥٥ / ٢ والترمذى فى كتاب البر ٣٣٩ / ٤ كلهم عن أبى هريرة .

وأخرجه أحمد فى مسنده ٣٢ / ٣ والترمذى فى كتاب البر ٣٣٩ / عن أبى سعيد الخدرى وفى سنده عطية العوفى مدلس كثير الخطأ .

وأخرجه أحمد عن النعمان بن بشير ٢٧٨ / ٤ بلفظ ، من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، التحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب ورجاله ثقات .

وأخرجه أحمد عن الاشعث بن قيس ٣٧٥ / ٤ ، ٢١١ / ٢١٢ / ٥ ـ والخطيب فى تاريخه ٤٨٨ / ٩ عن ابن عباس .

والبخارى فى الادب المفرد رقم الحديث ٢١٨ ص ٣٠٣ / ١ عن أبى هريرة . =

Marfat.com

قال أبو حاتم رضى الله عنه: الواجب على من أُسْدى إليه معروف أن يشكره بأفضل منه أو مثله ؛ لأن الإفضال على المعروف فى الشكر لايقوم مقام ابتدائه وإن قَلَّ ، فمن لم يجد فلْيُثْنِ عليه؛ فإن الثناءَ عند العدم يقوم مقام الشكر للمعروف وما استغنى أحد عن شكر أحد .

ولقد أنشدنى محمد بن زنجى البغدادى :

فلو كان يستغنى عن الشكر ماجد ... لعزَّة مُلْكٍ ، أو علوِّ مكان
لما أمر الله العباد بشكره ... فقال : اسكرونى ، أيها الثقلان

وأنشدنى الكريزى :

إذا المرء لم يشكر قليلًا أصابه ... فليس له عند الكثير شُكور
ومن يشكر المخلوق يشكر لربه ... ومن يكفر المخلوق فهو كفور

وأنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

حافظ على الشكر كَىْ تستجزل القسما ... مَنْ ضَيَّع الشكر لم يستكمل النِّعما
الشكر لله كنز لا نفاد له ... من يلزم الشكر لم يكسب به ندما

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابى، حدثنا العقبى قال : مر سعيد بن العاص بدار رجل بالمدينة ، فاستسقى فسَقَوْه ، ثم مر بعد ذلك بالدار ومناد ينادى عليها

= والطبرانى فى المعجم الكبير رقم الحديث ٤٢٥ ص ١٣٥ / ٢ عن اسامة ابن زيد وفى سنده عبد المنعم بن نعيم الاسوارى متروك كما فى التقريب رقم ٦٤٨ ص ٢٠٧ / ١ عن الاشعث بن قيس ، وفى سنده عبد الرحمن بن عدى الكندى مجهول ورقم ٥١٩ ص ١٦٢ / ١ وقال الهيثمى فى المجتمع وفيه من لم أعرفه ١٨١ / ٦ .

فيمن يزيد ، فقال لمولاه : سَلْ ، لم تباع هذه ؟ فرجع إليه فقال : على صاحبها دين قال : فارجع إلى الدار ، فوجد صاحبها جالساً وغريمه معه ، فقال : لم تبيع دارك ؟ قال : لهذا عليّ أربعة آلاف دينار ، فنزل وتحدث معهما ، وبعث غلامه فأتاه ببدرة فدفع إلى الغريم أربعة آلاف ، ودفع الباقي إلى صاحب الدار ، وركب ومضى .

وأنشدني المنتصر بن بلال :

ومن يُسدِ معروفًا إليك ، فكن له شكوراً يكن معروفُهُ غير ضائع
ولا تبخلن بالشكر ، والقَرْضَ فاجزِهِ تكن خير مصنوع إليه وصانع

وأنشدني بعض أهل العلم :

فكن شاكراً للمنعمين لفضلهم وأفْضِلْ عليهم إذ قدرت وأنعم
ومن كان ذا شكر فأهلُ زيادة وأهل لبذل العُرْف من كان يُنْعِم

وأنشدني الكربزي :

أحق الناس منك بحسن عون لمن سلفت لكم نعم عليه
وأشكَرُهُمْ أحقهم جميعاً بحسن صنيعة منكم إليه

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الحر لا يكفر النعمة ، ولا يتسخط المصيبة ، بل عند النعم يشكر ، وعند المصائب يصبر ، ومن لم يكن لقليل المعروف عنده وقع أوْشَكَ أن لا يشكر الكثير منه ، والنعم لا تستجلب زيادتها ولا تدفع الآفات عنها إلا بالشكر لله جل وعلا ، ولمن أسداها إليه .

ولقد حدثني أحمد بن محمد القيسي ، حدثني محمد بن المنذر ، حدثنا إسحاق ابن إبراهيم القرشي قال : سمعت أبا عبيدة مَعْمَر بن المثنّى يقول : ماتت لعبيد

Marfat.com

ابن معمر بذت ، فقعـد فى المأتم فى مسجده فى سكة سبانوش ، فجاء عبيد الله ابن أبى بَكْرَة معزيا ، وإذا الأشراف قد أخذوا موضعهم ، فنظر إليه رجل قد كان سبق إلى مجلسه مع الأشراف قد عرفه ، فقام قائماً ، وجعل يقول له : هاهنا ، حتى أخذ بيده فأقعده فى مجلسه ، ثم ذهب فقعد فى أخريات الناس ، فأمر عبيد الله غلاماً كان معه أن يتعاهده إلى قيامه ، فلما قام دعا الرجل ، فقال : أتعرفنى ؟ قال : نعم ، قال من أنا ؟ قال : أنت عبيد الله بن أبى بكرة صاحب رسول الله ﷺ ، فما حملك على تركك مجلسك لى ؟ قال : إجلالا لولد أصحاب رسول الله ﷺ ، وما أوجب الله على أمثالى خصوصاً من التبجيل ، فقال له عبيد الله : هل لك على أن تصحبنا إلى ضيعة نريد أن نصير إليها ؟ قال : نعم، قال فصحبه الرجل إلى تلك الضيعة فى نهر مكحول ، ضيعة فيها ثلاثمائة جريب نخل وعلى وجه الضيعة قصر بُنى بآجُرٍّ وجص وخشب ساج ، فلما دخل الضيعة أخذ عبيد الله بيد الرجل وجعل يدور به فى تلك النخيل، فقال للرجل: كيف ترى هذه الضيعة ؟ قال:تالله ما رأيت نخيلا أحسن منها ، ولا أكثر ثمرة ، ولا أسرى ضيعة منها ، قال: قد جعلناها لك بما فيها من الخدم والآلة نبعث إليك بصكها ، قال : فاستطار الرجل فرحاً وبكاء . وقال : أنعشتنى وأنعشت عيالى ، فقال عبيد الله : وكم لك من العيال ؟ قال : ثلاثة عشر نفساً ، قال : فإنى قد جعلت اسم عيالك فى اسم عيالى : أنفق عليهم ما عشت ، فقال له عبيد الله: من تكون له مثل هذه الضيعة يحتاج أن يكون منزله فى سرة البصرة ، إذا صرنا إلى منزلنا فاغد علينا نأمر لك بشراء دار تشبه هذه الضيعة ، ورأس مال وخدم تصلح لدارك تعيش بها إن شاء الله ، قال : فغدا الرجل

Marfat.com

عليه ، فأمر له بشراء دار بخمسة آلاف دينار ، وأعطاه عشرة آلاف دينار ، وأعطاه عشرة آلاف دينار ، ودفع إليه صك الضيعة ، وأمر له بدابة وبغل وسائس وكسوة وصريه .

وأنشدنى الأبرش :

الشكر يفتح أبوابًا مُغلّقة ... لله فيها على مَن رامه نِعَمُ
فبادر الشكر ، واستغلق وثائقه ... واستدفع الله ما تجرى به النِّقَمُ

حدثنا أحمد بن الحسن المدائنى بمصر قال : سمعت الربيع بن سليمان يقول : أخذ رجل بركاب الشافعى، فقال : يا ربيع أعطه أربعة دنانير ، قال : فأعطيته إياها

وأنشدنى محمد بن إسحاق بن حبيب :

ومن يشكر العرف الصغير فإنه ... سينمى ، ويجزر المزيد أصاغره
ومن يشكر المعروف يحمَد إلهُه ... ويضعف أضعافًا على الحمد شاكره

وأنشدنى ابن زنجى البغدادى :

وإذا اصطنعتَ إلى أخيـ ... ـك صنيعة ، فانْسَ الصنيعهْ
والشكر من كرم الفتى ... والكفر من لؤم الطبيعة
والصبر أكرم صاحبٍ ... فاصحبه ، إن نَزَلَتْ فجيعه

حدثنا أحمد بن قريش بن بشر بن عبد العزيز ، حدثنا إبراهيم بن محمد الذهلى ابن أدهم إذا صنع إليه أحد معروفًا حرص على أن يكافئه ، أو يتفضل عليه ، قال أبو عيسى : فلقينى وأنا على حمار ، وأنا أريد بيت المقدس ، جائيًا من الرَّمْلَة ، قال : وقد اشترى بأربعة دوانيق تُفاحا وسَفَرْجلا وخَوْخًا وفاكهة ، فقال :

Marfat.com

يا با عيسى ، أحب أن تحمل هذا ، قال : وإذا عجوز يهودية فى كُوخ لها ، فقال: أحب أن توصل هذا إليها ، فإنى مررت وأنا مُمْسٍ ، فبيتنى عندها ، فأحب أن أكافئها على ذلك .

وأنشدنى الكريزى :

يدُ المعروف غُنْمٌ حيث تُسدَى ... تحمَّلها شكورٌ ، أم كفورٌ
كفى شكر الشكور لها جزاءً ... وعند الله ماكفر الكفور

وأنشدنى بعض أهل العلم :

رهنتُ يدى لاعجز عن شُكر برِّه ... وما فوق شكرى للشكور مزيد
ولو كان شىء يستطاعُ استطعته ... ولكنَّ مالا يستطاع شديدُ

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على المرء أن يشكر النعمة ، ويحمد المعروف على حسب وُسْعِهِ وطاقته ؛ إن قدر فبالضِّعف، وإلا فبالمثل، وإلا فبالمعرفة بوقوع النعمة عنده ، مع بذل الجزاء له بالشكر ، وقوله : جزاك الله خيراً ، فمن قال ذلك عند العدم فكأنه أبلغ فى الثناء .

ومن الناس من يكفر النعم ، وكفران النعم يكون من أحد رجلين: إما رجل لامعرفة له بأسباب النعم والمجازاة عليها ، لما يُركَّبُ فيه من التفقد لمراعاة العشرة ، فإذا كان كذلك وجب الإغضاء عنه ، وترك المناقشة على فعله ، والرجل الآخر : أن يكون ذا عقل لم يشكر النعمة ، استخفافاً بالمنعم ، واستحقاراً للنعمة وتهاوناً فى نفسه لها أو لأحدهما ، فإذا كان كذلك يجب على العاقل ترك العود إلى فعل مثله ، والخروج باللائمة على نفسه إذا كان له خبرة به .

Marfat.com

وأنشدنى على بن محمد :

علامة شكر المرء إعلان حمـــده فمن كتَم المعروف منهم فما شكرْ
إذا ماصديقى نال خيراً ، فخاننى فما الذنب عندى للذى خان أو فجرْ
ولـكنْ إذا أكرمته بعد كفره فإنى مَلوم حيث أكرم مَنْ كفرْ

وأنشدنى محمد بن إسحاق بن حبيب :

إذا أنا أُعطيتُ القليـل شكرتم وإن أنا أعطيتُ الـكثير فلاشكرُ
وما لمت نفسى فى قضاء حقوقـكم وقد كان لى فيما اعتذرت به عذر

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إنى لأستحب للمرء أن يلزم الشكر للصنائع والسعى فيها من غير قضائها ، إذا كان المنعم ذوى القَدْرِ فيه ، والاهتمام بالصنائع لأن الاهتمام بما فاق المعروف ، وزاد على فعل الإحسان ، إذ المعروف يعمله المرء لنفسه ، والإحسان يصطنعه إلى الناس ، وهو غـير مهتم به ، ولا مشفق عليه ، وربما فعله الإنسان وهو كاره ، والاهتمام لا يكون إلا من فَرْط عناية وفضل وُدٍّ ، فالعاقل يشكر الاهتمام أكثر من شُـكْره للمعروف .

أنشدنى عبد العزيز بن سليمان :

لأشـكرنك معروفاً هممتَ به إنَّ اهتمامك بالمعروفِ معروفَ
ولا ألومُكَ إن لم يمضه قَدَرٌ فالشىء بالقدر المجلوب مصروف

وأنشدنى ابن زنجى البغدادى :

بَطِـرَ النعمـة مَنْ ضَيَّعها ومُضَيِّع الشكر مُستدعى الغِيَرْ
فاجعل الشكر عليها حارسا ربما ابتزَّ الفتى النعمى البطـــر

Marfat.com

حدثنى عمرو بن محمد حدثنا محمد بن زكريا حدثنا محمد بن عبد الله الجشمى حدثنا على بن محمد قال : مر عمر بن هبيرة ـ لما انصرف فى طريقه ـ فسمع امرأة من قيس تقول : لا والذى ينجى عمر بن هبيرة ، فقال : ياغلام ، أعطها ما معك ، وأعلمها أنى قد نجوت .

✡ ✡ ✡

Marfat.com

ذكر الحث على سياسة الرياسة ، ورعاية الرعية

حدثنا عبد الله[١] بن قحطبة حدثنا العباس[٢] بن عبد العظيم العنبرى حدثنا مؤمل[٣] بن إسماعيل حدثنا سفيان[٤] حدثنا عبد الله[٥] بن دينار قال : سمعت ابن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ،

رجال السند :

(١) عبد الله بن قحطبة ـ لم أجده فيما بين يدى من الكتب .

(٢) العباس بن عبد العظيم العنبرى ابن اسماعيل أبو الفضل البصرى ثقة حافظ من ١١/م عم خت .

(٣) مؤمل بن اسماعيل ـ تقدم .

(٤) سفيان لعله الثورى تقدم وان كان ابن عيينة فثقة ، وقد اتفق الشيخ والتلميذ فى الأخذ عنهما فمؤمل بن اسماعيل من تلامذتهما ، وعبد الله بن دينار من شيوخهما .

(٥) عبد الله بن دينار العدوى مولاهم أبو عبد الرحمن المدنى مولى ابن عمر ثقة من ٤/ع .

(٦) ابن عمر ـ تقدم .

تخريج الحديث :

وقد اخرجه : البخارى فى كتاب الجمعة من صحيحه ٢/٣٨٠ وفى كتاب الاستقراض ٥/٦٩ وفى كتاب العتق ٥/١٧٨ ، ٥/١٨١ وفى كتاب الوصايا ٥/٣٧٧ وفى كتاب النكاح ٩/٢٥٤ ، ٢٩٩ وفى كتاب الاحكام ١٣/١١١ ومسلم فى كتاب الامارة من صحيحه ٢١٣ ـ ١٢/٢١٤ .

وأحمد فى مسنده ٢/٥ ، ٥٤ ـ ٥٥ ، ١١١ ، ٢/١٢١ .

وأبو داود فى كتاب الامارة من سننه ٢/١١٧ .

والترمذى فى كتاب الجهاد من سننه ٤/٢٠٨ ، والخطيب فى تاريخه ٤٢٨ ، ٤ ، ١١/٤٠٢ كلهم عن ابن عمر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأخرجه أبو نعيم فى الحلية ٥/٣٦٠ والخطيب فى تاريخه ١٠/٢٤١ عن أنس .

Marfat.com

فالأمير راع على رعيته ، ومسئول عنهم . والرجل راع على أهل بيته ، وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعية على بيت زوجها ، وهى مسئولة عنه ، والعبد راع على مال سيده ، وهو مسئول عنه » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : صرحت السُّنة عن المصطفى ﷺ بأن كل راع مسئول عن رعيته ، فالواجب على كل من كان راعيًا لزوم التعاهد لرعيته ، فرُعاة الناس العلماء ، وراعى الملوك العقل ، وراعى الصالحين تقواهم وراعى المتعلم معلمه ، وراعى الولد والده ، كما أن حارس المرأة زوجُها ، وحارسَ العبد مولاهُ ، وكلٌّ راع من الناس مسئول عن رعيته .

وأكثر ما يجب تعاهد الرعية للملوك ؛ إذ هم رعاةٌ لها ، وهم أرفع الرعاة لكثرة نفاذ أمورهم ، وعقدُ الأشياء وحلها من ناحيتهم ، فإذا لم يراعوا أوقاتهم ولم يحتاطوا لرعيتهم هلكوا وأهلكوا ، وربما كان هلاك عالَم فى فساد ملك واحد ، ولا يدوم مُلْكُ ملك إلا بأعوان تطيعه ، ولا يطيعه الأعوان إلا بوزير ، ولا يتم ذلك إلا بأن يكون الوزير ودوداً نصوحًا ، ولا يوجد ذلك من الوزير إلا بالعفاف والرأى ، ولا يتم قِوَام هؤلاء إلا بالمال ، ولا يوجد المال إلا بصلاح الرعية ، ولا تصلح الرعية إلا بإقامة العدل ، فكأن ثبات الملك لا يكون إلا بلزوم العدل ، وزواله لا يكون إلا بمفارقته .

= وأخرجه أبو نعيم أيضا ٧/٣١٨ عن أبى موسى والخطيب ٤/٢٧٦ عن عائشة .

والبخارى فى الأدب المفرد رقم ٢١٢ ص ٢٩٦ ورقم ٢١٤ ص ١/٢٩٨ عن ابن عمر .

Marfat.com

فالواجب على الملك : أن يتفقد أمور عماله ، حتى لايخفى عليه إحسان محسن ، ولا إساءة مسىء ؛ لأنه إذا خفى عليه أعمال عماله لم يكن قائماً بالعدل .

ولقد أنشدنى على بن محمد البسامى :

إذا سُسْتَ قومًا فاجعل العدل بينهم وبينك : تأمن كلَّ ما تتخوفُ
وإن خِفْتَ من أهواء قوم تشتتًا فبالجود فاجمع بينهم يتألفوا

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابى ، حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب القاضى حدثنا الأصمعى قال: قال ملك طُخَارِستان لنصر بن سَيَّار: ينبغى للأمير أن يكون له ستة أشياء : وزير يثق به ويفضى إليه بسره ، وحصان يلجأ إليه إذا فزع أنجاه يعنى فرساً ، وسيف إذا نازل به الأقران لم يخف أن يخونه ، وذخيرة خفيفة المحمل إذا نابته نائبة أخذها ، وامرأة إذا دخل إليها أذهبت همّه ، وطباخ إذا لم يَشْتَهِ الطعام صنع له شيئًا يشتهيه .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لايجب للسلطان أن يفرط البشاشة والهشاشة للناس ، ولا أن يُقِلَّ منهما . فإن الإكثار منهما يؤدى إلى الخفة والسخف ، والإقلال منهما يؤدى إلى العجب والكِبْر ، ولا ينبغى له أن يغضب ؛ لأن قدرتهُ من وراء حاجته ، ولا أن يكذب ، لأنه لايقدر أحد على استكراهه ، ولا له أن يبخل ؛ لأنه لاعذر له فى منع الأموال والجاه معًا ، ولا له أن يحقد ؛ لأنه يجب أن يترفع عن المجازاة ، فأفضل للسلطان مالم يخالطهُ البَطَر ، وأعجزهم آخذهمْ بالهوَينَى ، وأقلّهمْ نظراً فى العواقب ، وخير السلطان من أشبه النَّسر حوله الجيف ؛ لا من أشبه الجيف حولها النسور .

ويجب عليه استبقاء الرياسة ، وما فيه من نعمة الله عليه ، بلزوم تقوى الله ،

Marfat.com

وتفقد أمور الرعية ، وإنصاف بعضهم بعضًا ؛ لأنه ما من قوى فى الدنيا إلا وفوقه أقوى منه ، فمتى ماعرف السلطان فضل قوته على الضعفاء فغَرَّه ذلك من قوة الأقوياء كانت قوته حَيْنًا عليه وهلاكا له ، والضعيفُ المحترسُ أقرب إلى السلامة من القوى المغتر ؛ لأن صرعة الاسترسال لا تكاد تُستقال ، ولا يجب أن يعجل فى سلطانه بعقاب من يخاف أن يندم عليه ، ولا يثقنّ بمن عاقَبه من غير جرم .

وما أشبَهُ السلطان إلا بالنار ، إن قصّرت بطلَ نفعها ، وإن جاوزت عظم ضرُّها ، فخير السلطان من أشبه الغيث فى أحيانه فى نفع من يليه ، لا من أشبه النار فى أكلها ما يليها .

والسلطان إذا كان عادلا خير من المطر إذا كان وابلا ، وسلطان غشوم شر من فتنة تدوم ، والناس إلى عدل سلطانهم أحوج منهم إلى خِصْبِ زمانهم .

ولقد حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابى ، حدثنا مرجّى بن مؤمل بن المثنى المرى عن أبيه قال : قال الأحنف بن قيس « الولى من الرعية مكانُ الروح من الجسد الذى لا حياة له إلا به ، وموضع الرأس من أركان الجسد الذى لا بقاء له إلا معه » .

وأنشدنى ابن زنجى البغدادى للأفوه الأودِى :

لا يَصْلُحُ الناس فَوْضى لا سَرَاةَ لهم ... ولا سَرَاةَ إذا جُهّالُهمْ سادوا
والبيتُ لا يُبْتَنى إلا بأعمدة ... ولا عماد إذا لم تُرْسَ أوتادُ
فإن تجمَّعَ أوتادٌ وأعمدة ... وساكنٌ أدركوا الأمر الذى كادوا
تُهْدَى الأمور بأهل الرأى ما صلحت ... فإن تولَّت فبالأشرار تنقادُ

Marfat.com

قال أبو حاتم رضى الله عنه: الواجب على السلطان قبل ـ كل شىء ـ أن يبدأ بتقوى الله ، وإصلاح سريرته بينه وبين خالقه . ثم يتفكر فيما قلده الله من أمر إخوانه ، ورفعه عليهم ، ليعلم أنه مسئول عنهم فى دِق الأمور وجِلها ، ومحاسبٌ على قليلها وكثيرها ، ثم يتخذ وزيراً صالحاً عاقلا عفيفًا نصوحًا ، وعمالا صالحين بَرَرَة راشدين ، وأعواناً مستورين ، وخدمًا معلومين ، ثم يقلد عماله مالا غنى له عنهم ، ويشترط عليهم تقوى الله وطاعته ، وأخذَ المالِ من حله ، ويفرقه فى أهله ، ثم يتفقد أمرَ بيت المال بأن لايُدْخِلَهُ حبةً فما فوقها من قَهْر أو جور ، أو سلب أو نهب أو رشوة ؛ فإنه مسئول عن كل ذَرّة منه ، ومحاسب على كل حبة فيه ، ثم لايخرجه إلا فى المواضع التى أمر الله جل وعلا فى سورة الأنفال .

ثم يتفقد أمور الحرمين وطريق الحاج ، ومجاورى بيت الله ، وقبر رسول الله ﷺ ، ثم يتفقد ثُغور المسلمين ، ولا يولى على الثغور من عماله إلا من يعلم أن القتال فى سبيل الله يكون آثر عنده من البقاء فى الدنيا ، ليغزى الناس ولا ولا يعطل الثغر .

ثم يتفقد ثغور المسلمين ومَراقبهم والأبراج التى بين المسلمين وبين عدوهم ، بأن يعمرها ، ويقيم فيها أعيناً من المسلمين تتجسس أخبار العدو ، ويُجْرى عليهم من بيت مالهم .

ثم يتفقد أولاد المهاجرين والأنصار بعطاياهم ، ويعرف فضيلتهم ، وسابقة آبائهم وأنه إنما نال ما نال بهم .

ثم يتفقد أمور الحكام بأن لايولى أحداً على قضاء المسلمين إلا من يعلم منه العفاف والعلم ، وترك الميل إلى الهوى ، والحكم بغير ما يوجبه العلم .

Marfat.com

ثم يتفقد أهل العلم والقراء والمؤذنين والصالحين وضعفاء المسلمين ، وليكن لمن هو أصغرُ سِنًّا منه أبا ، ولمن هو أكبر منه ابناً ، ولأترابه أخاً ، فيكون فى تفقد أمورهم ولصلاح أسبابهم أكثر من تفقدهم بأنفسهم .

ثم يختار من الرعية أقواماً أمناء ، يبعث بهم فى كل سنة إلى للدن؛ ليشرفوا على العمال والحكام ، ويتفقد أسبابهم وسيرهم ، ويخبروه بها ، فيعزل من استحق منهم العزل ، ويقر من اتبع الحق .

ثم يجعل لنفسه موضعًا لايمنع منه لطارح القصص ، ويبرز للرعية فى كل يوم مرة ، أو فى كل ثلاثة أيام ، أو فى كل أسبوع ، ليرفعوا إليه حوائجهم . وليجتنب الحِدَّة ، وليلزم الحلم الدائم فيما يرد عليه من أسبابهم .

ولقد حدثنا عبد الله بن قحطبة ، حدثنا محمد بن زنبور ، حدثنا أبو بكر ابن عياش : أن أهل الجاهلية لم يكونوا يسوّدون عليهم أحداً لشجاعة ولا لسخاء إنما كانوا يسودون من إذا شُتِمَ حَلُمَ ، وإذا سئل حاجة قضاها، أو قام معهم فيها.

وأنشدنى الأبرش :

وقد يُبْغِضُ الحياتِ أولادُ آدم ... وأبغضُ ما فيها إليهم رءوسها
وما ابتليتْ يومًا بِشر قَبيلةٌ ... أضرَّ عليها من سَفيه يسوسُها

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لايستحق أحد اسم الرياسة حتى يكون فيه ثلاثة أشياء : العقل ، والعلم ، والمنطق .

ثم يتعرى عن ستة أشياء: عن الحدة: والعجلة، والحسد ، والهوى والكذب ، وترك المشاورة .

ثم ليلزم فى سياسته على دائم الأوقات ثلاثة أشياء : الرفق فى الأمور، والصبر على الأشياء ، وطول الصمت .

فمن تعرّى من هذه الأشياء ـ وهو ذو سلطان ـ عمى عليه قلبه، وتشتتت عليه أموره ، ومن لم يكن فيه خصلة من هذه الخصال نقص من ضوء بصر قلبه مثلها ، ودخل الخلل فى أموره نحوها .

وإنما مثل الرئيس والرعية، كمثل جماعة ليس فيهم إلا قائد واحد. فإن لم يكن ذلك القائد أحدّ الناس بصراً ، وألطفهم نظراً ، كان خليقاً أن يوقعهم وإياه فى وَهْدة تَنْدَقّ أعناقهم وعنقه معهم .

والواجب على السلطان ألا يغفل عن الأشياء الأربعة ، التى صلاحه فى دينه ودنياه فيها، وهى ما حدثنا به عمرو بن محمد، حدثنا الغلابى، حدثنا محمد بن عبيد الله الجشمى ، حدثنا المدائنى قال : « خرج الزهرى يوماً من عند هشام بن عبد الملك ، فقال : ما رأيت كاليوم ، ولا سمعت به ، كأربع كلمات تكلم بهنّ رجل آنفاً عند هشام بن عبد الملك ، فقيل له : وما هنّ ؟ قال : قال له رجل : يا أمير المؤمنين ، احفظ عنى أربع كلمات ، فيهن صلاحُ ملكك ، واستقامة رعيتك ، قال : هاتهن ، قال: لا تَعِدَنّ عِدَة لا تثق من نفسك بإنجازها ، ولا يغرنك المرتقَى ، وإن كان سهلا إذا كان المنحدَرُ وَعْراً ، واعلم أن للأعمال جزاءً ، فاتق العواقب، وأن للأمور بغتات ، فكن على حذر » .

وأنشدنى المنتصر بن بلال :

بلاءُ الناس مذ كانوا إلى أن تأتىَ الساعَهْ

حب الأمر والنهى وحب السمع والطاعة

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لايجب للعاقل طلب الإمارة ؛ لأن من أوتيها عن مسألة وُكِلَ إليها ، ومن أعطيها من غير مسألة أعين عليها ، ومن اشتهر بالرياسة فليحترز ؛ لأن الريح الشديدة لاتحطم الكلأ ، وهى تحطم دَوْح الشجر ومَشيد البنيان .

وليلزم المشورة . فإن فى المشورة صلاح الرعية ، ومادة الرأى ، وليصنع إلى الناس كافة فى الوقت الذى يقدر على الصنائع والمعروف، قبل أن يجيئه الوقت الذى يفقد فيه القدرة عليها ، وليعتبر بمن كان قبله من الملوك والأمراء والسادة والوزراء لأن من ظفر بأمر جسيم فأضاعه فاته، ومن أمكنته الفرصة فأخَّر العمل فيها لاتكاد تعود إليه .

والسلطة إنما هى قول الحق والعمل بالعدل،لا التفاخر فى الدنيا واستعمال البذل.

ولقد حدثنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندى ، حدثنا عبد الله بن سليمان قال:قال أبو عمرو بن العلاء « كانوا لايسوِّدُونَ إلا من تكاملت فيه ست خصال : السخاء ، والنجدة ، والصبر ، والحلم ، والبيان ، والتواضع ، وتمامهن فى الإسلام السابعة : الحياء » .

وأنشدنى الكريزى :

إذا نلتَ الإمارة فاسْمُ فيها ... إلى العلياء بالعمل الوثيق
بمحض خليقةٍ لا عيبَ فيها ... وليس المحضُ كاللبن المذيق
ولا تكُ عندها حلواً فتُحسَى ... ولا مرًّا فتَنْشَبَ فى الحلوق

Marfat.com

وكل إمارة إلا قليلا مُغَيِّرة الصديق عن الصديق

قال أبو حاتم رضى الله عنه: من صحب السلطان فلا يجب أن يكتمه نصيحته؛ لأن من كتم السلطان نصيحته، والأطباء مرضه، والإخوان بَثَّه، فقد خان نفسه ومن يصحب السلطان لاينجو من الآثام، كما أن راكب العجل لا يأمن العثار، ولا يجب أن يأمن غضب السلطان إن صدقه، ولا عقوبته إن كذبه، ولا يجترىء عليه، وإن أدناه؛ لأن الحازم العاقل لايشرب السُّم اتكالا على ماعنده من الترياق والأدوية.

وإنى أستحب لمن امتحن بصحبة السلطان أن يعلمه لزوم تقوى الله، والعمل الصالح، كأنه يتعلم منه، ويؤدبه كأنه يتأدب به، ويتقى سخطاته، والسخط إذا كان من علة كان الرضا عنه موجوداً، وإذا كان من غيرعلة ينقطع حينئذ الرجاء ولا يجب أن يعلم كلّ ما تأتى الملوك من أمورها؛ لأن فى معرفتهم إياها بعض الفتنة وهيهات! من ذا صحب السلطان فلم يفتتن، ومن اتبع الهوى فلم يعطب؟ إن الشجرة الحسنة ربما كان سبب هلاكها طيب ثمرتها، وربما كان ذَنَبُ الطاووس الذى فيه جماله ـ سببَ حتفه؛ لأنه يثقله حتى يمنعه من الهرب، ومن صحب السلطان لم يأمن التغير على نفسه؛ لأن الأنهار إنما تكون عذبة ما لم تنصب إلى البحور، فإذا وقعت فى البحور ملحت، على أن قعود العلماء عن أبواب الملوك زيادة فى نور علمهم وكثرة غشيانهم إياهم غشاوة على قلوبهم، ومن صحب الملوك لم يأمن تغيرهم ومن زايلهم لم يأمن تفقدهم، وإن قطع الأمور دونهم لم يأمن فيها مخالفتهم، وإن عزم على شىء لم يجد بُدًّا من مؤامرتهم، وأسمج شىء بالملوك: الحدة.

Marfat.com

ولقد حدثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفى ، حدثنا يحيى بن معين ، حدثنا المبارك بن سعيد الثورى قال : كان يقال : خمس خلال هنّ أقبح شىء بمن كنّ فيه : الحدة فى السلطان، والكبر فى ذى الحسَبِ، والبخل فى الغنى، والحرص فى العالم ، والفتوة فى الشيخ .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : رؤساء القوم أعظمهم هموماً ، وأدومهم غموماً ، وأشغلهم قلوباً ، وأشهرهم عيوباً ، وأكثرهم عدوًّا ، وأشدهم أحزاناً ، وأنكاهم أشجاناً ، وأكثرهم فى القيامة حساباً، وأشدهم — إن لم يَعْفُ الله عنهم — عذاباً .

ومن أحسن ما يستعين به السلطان على أسبابه : اتخاذ وزير عفيف ناصح ، على ما تقدم ذكرنا له ، فإن الوزير إذا غفل الأمير ذكَّرَهُ وإن ذكر أعانه ، وإن سوّلت له نفسه سيئة صده ، وإن أراد طاعة نشّطه ، فهو المجيب له إلى الناس ، والمستجلب له دعاءهم .

ولقد أنشدنى على بن محمد البسامى :

إذا نسىَ الأمير قضاءَ حق فإنَّ الذنب فيه للوزير
لأن على الوزير ، إذا تولى أمورَ الناس ، تذكيرَ الأمير

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على كل من يغشى السلطان وامتحن بصحبته ألا يعد شتمه شتما ، ولا إغلاظه إغلاظاً ، ولا التقصير فى حقه ذنباً ؛ لأن ريح العزة بسطت لسانه ويده بالغلظة ، فإن أنزله الوالى منزلة رفيعة من نفسه فلا يثقنّ بها ، وليجانب معه كلام المَلَقِ ، والإكثار من الدعاء فى كل وقت ، وكثرة الانبساط ، فربَّ كلمة أثارت الوحشة ، بل يجتهد فى توقيره وتعظيمه عند

Marfat.com

الناس ، فإن غضب فليَحْتَلْ فى تسكين غضبه باللين والمداراة ، ولا يكون سبباً لتهييجه .

ولقد حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابى ، حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال : بعث أبو جعفر إلى جعفر بن محمد قال : إنى أستشيرك فى أمر ، إنى قد تأنيت أهل المدينة مرة بعد أخرى فلا أراهم يرجعون ، ولا يُعتبون . وقد رأيت أن أبعث فأحرق نخلها ، وأُغَوِّر عيونها : فما ترى ؟ فسكت جعفر . فقال : مالك لاتتكلم ؟ قال: إن أذنت لى تكلمت . قال : قل ، قال : يا أمير المؤمنين ، إن سليمان أُعطى فشكر ، وإن أيوب ابتُلى فصبر ، وإن يوسف قَدَر فغفر . وقد جعلك الله من النسل الذين يعفون ويصفحون . قال: فطفىء غضبه وسكن .

حدثنى محمد بن أبى على الحلادى ، حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد عن محمد ابن حميد بن فروة عن أبيه قال : لما استقرت للمأمون الخلافة ، دعا إبراهيم ابن مهدى ، المعروف بابن شَكلة ، فوقف بين يديه ، فقال : أنت المتوثب علينا تدعى الخلافة ؟ فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين ، أنت ولىُّ الثأر ، مُحَكَّم فى القصاص ، والعفو أقرب للتقوى، وقد جعلك الله فوق كل ذى ذنب، كما جعل كل ذى ذنب دونك ، فإن أخذت أخذت بحق ، وإن عفوت عفوت بفضل ، ولقد حضرت أبى ـ وهو جدك ـ أتى برجل كان جرمه أعظم من جرمى ، فأمر الخليفة بقتله وعنده المبارك بن فضالة ، فقال المبارك بن فضلة : إن رأى أمير المؤمنين أن يستأنى فى أمر هذا الرجل حتى أحدثه بحديث سمعته من الحسن يحدث به عن رسول الله ﷺ ؟ قال : إيه يامبارك ، قال : حدثنى الحسن أن رسول الله ﷺ

Marfat.com

قال « إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بُطْنان العرش : ألا لِيَقُمْ العافُونَ من الخلفاء ، فلا يقوم إلا من عفا » فقال الخليفة له : يا مبارك ، قد قبلت الحديث ، وعفوت عنه ، اخرج أيها الرجل ، فلا سبيل لأحد عليك . فقال المأمون : ياعم ها هنا . ياعم ها هنا .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على مَنْ ملك أمور المسلمين الرجوع إلى الله جل وعلا فى كل لحظةوطرفة ؛ لئلا يطغيه ماهو فيه من تسلطه ، بل يذكر عظمة الله وقدرته وسلطانه ، وأنه هو المنتقم ممن ظلم ، والمجازى لمن أحسن ، فليلزم فى إمرته السلوك الذى يؤديه إلى اكتساب الخير فى الدارين ، وليعتبر بمن كان قبله من أشكاله ؛ فإنه لامحالة مسئول عن شكر ماهو فيه ، كما هو لامحالة مسئول عن حسابه ، إذ المصطفى ﷺ قال « يقول تبارك وتعالى ، يوم القيامة : ألم أحملك على الخير ، ورزقتك النساء ، وجعلتك ترأس وتربع ؟ فيقول : بلى ، فيقول : فأين شكر ذلك ؟ » .

وأنشدنى ابن زنجى البغدادى :

يدبّرُ أسبابَ الرجال مؤمّر ... إذا صلحت فى الصدر أشفى وأبينُ
من العقل أن تحتاط فيما وَلِيته ... وتحسم ماتخشاه ، والأمر ممكن

* * *

ذكر الدنيا وتقلبها بأهلها

حدثنا محمد[١] بن عبد الله بن عبد السلام ، حدثنا عبد الله[٢] بن هانىء[٣] بن عبد الرحمن بن أبى عبلة ، حدثنا أبى عن عمه إبراهيم[٤] بن أبى عبلة عن أم الدرداء[٥] عن أبى الدرداء[٦] قال : قال رسول الله ﷺ « من أصبح معافى فى

رجال السند :

(١) محمد بن عبد الله بن عبد السلام تقدم ٠

(٢) عبد الله بن هانىء بن عبد الرحمن بن أبى عبلة قال الذهبى فى الميزان : متهم بالكذب كما فى اللسان لابن حجر ٠

(٣) هانىء بن عبد الرحمن بن أبى عبلة قال الذهبى فى الميزان ٠ قال ابن حبان فى الثقات ربما أغرب ـ الميزان ٠

(٤) ابراهيم بن أبى عبلة بن يقظان الشامى يكنى أبا اسماعيل ثقة من/خ م د س ق ٠

(٥) أم الدرداء تقدمت ٠

(٦) أبو الدرداء تقدم ٠

تخريج الحديث :

وقد أخرجه : البخارى فى الأدب المفرد رقم الحديث ٣٠٠ ص ١/٣٩٤ والترمذى فى الزهد من سننه ٤/٥٧٤ وابن ماجه فى الزهد ٣/١٣٨٧ والخطيب فى تاريخه ٣/٣٦٤ كلهم عن سلمة بن عبد الله بن محصن عن أبيه وسلمة مجهول ، ووالده مختلف فى صحبته ٠

وأخرجه أيضا أبو نعيم فى الحلية ٥/٢٤٩ عن أبى الدرداء وفى سنده ، ابن هانىء السابق متهم ٠

وقد حسنه شيخنا فى صحيح الجامع رقم ٥٩١٨ ص ٥/٢٤٥ وقال أخرجه أيضا ابن عساكر وابن أبى حبان والعقيلى والحميدى فى مسنده ١/٢٠٩ ٠

كلهم مختصرا ، وليس فيه ـ يا ابن جعشم ٠٠ الخ ٠

Marfat.com

بدنه ، آمناً فى سربه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا يا ابن جُعْشُم ، يكفيك منها ماسد جَوْعتك ، ووارى عورتك ، فإن يكن ثوباً تلبسه فذاك ، وإن كانت دابة تركبها فبخ بخ ، فإن فلِقَ الخبز ، وماء الحب ، وما فوق الإزار حساب عليك » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل : أن لا يغتر بالدنيا وزهرتها ، وحسنها وبهجتها ، فيشتغل بها عن الآخرة الباقية ، والنعم الدائمة ، بل ينزلها حيث أنزلها الله ، لأن عاقبتها لامحالة تصير إلى فناء ، يخرب عمرانها ، ويموت سكانها ، وتذهب بهجتها ، وتبعد خُضْرتها ، فلا يبقى رئيس متكبر مؤمَّر ، ولا فقير مسكين محتقر ، إلا ويجرى عليهم كأسُ المنايا ، ثم يصيرون إلى التراب ، فيبلون حتى يرجعون إلى ما كانوا عليه فى البداية إلى الفناء ، ثم يرث الأرض ومن عليها علام الغيوب . فالعاقل لا يركن إلى دار هذا نعتها ، ولا يطمئن إلى دنيا هذه صفتها ، وقد ادخر الله له مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فيضن بترك هذا القليل ، ويرضى بفوت ذلك الكثير .

حدثنا محمد بن المسيب بن إسحاق ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقى قال : سمعت بشر بن الحارث يقول :

لا تأس فى الدنيا على فائتٍ ... وعندك الإسلام والعافيهْ
إن فاتَ أمر كنت تسعى له ... ففيهما من فائت كافيهْ

وأنشدنى الكرمزى ، أنشدنى شعيب بن أحمد لسليمان بن يزيد العدوى :

ألم تر أنَّ المرء يودِى شبابه ... وأنَّ المنايا بالرجال تشعَّبُ

Marfat.com

فمن ذائق كأساً من المـوت مُرّةً وآخرَ أخرى مثلها يترقبُ
لها منهم زاد حثيث وسائق وكل بكأس الموت يوما سيشربُ
وما وارث إلا سيورث ماله ولا سالبٌ إلا وشيكا سيُسْلَبُ
ولا آلفٌ إلا سيتبع إلفه ولا نِعمة إلا تبيد وتذهب
وما مُعَان والمصائب جَمـــة يعاورها العصران إلا سيعطبُ
أرى الناسَ أصنافا أقاموا بغربة تقلبهم أيامُهـــا وتَقَلَّبُوا
بدارِ غـرور حـلوة يعمرونهـا وقد عاينوا فيها زوالا وجربوا
يذمون دنيا لايريحون دَرَّها فلم أر كالدنيا تذم وتحلب
تَسرهم طوراً ، وطَوْراً تُذيقهم مَضِيضَ مكاوٍ حرُّها يتلهب

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابى ، حدثنا محمد بن عبيدالله قال : عاد رجل مريضا ، فسمع قائلا يقول من ناحية البيت :

ناد ربَّ الدار ذا المـال الذى جمع الدنيا بحرص : ما فَعَـلْ ؟

فأجابه مجيب :

كان فى دار ســـواها دارُه عللته بالمنَى ، ثم انتقـل
لم يُمتَّع بالذى كان حَوَى من حُطام المال ، إذ حلَّ الأجل
إنمـا الدنيا كظـلٍّ زائـل طَلَعَتْ شمسٌ عليه فاضمحل

قال أبو حاتم رضى الله عنه : رأيت على حجر بطبرستان مكتوب :

العيش لونان : فحلو : ومرّ والدهر نصفان : فريف وضر
والنطق جـزآن : فبعر ، ودُرّ والناس إثنان : فنذل ، وحـر

يومك يومان : فخير ، وشر نهار يزول ، وليل يَكِرُّ
وكذاك الزمان على من مضى وكل السنين على ذا تمرُّ

وأنشدنى الأبرش :

إنما الدنيا نهارٌ ضوؤها ضوءٌ معارُ
بينما غُصْنُك غضٌّ ناعمٌ فيه اخضرار
إذ رماه زمنه فإذا فيه اصفرار
وكذلك الليل يأتى ثم يمحوه النهار

وأنشدنى ابن زنجى البغدادى :

يالأثمَ الدهر إذا ما نبا لاتلم الدهر على غَدْرِه
الدهرُ مأمور ، له آمر ينصرف الدهر إلى أمره
كم كافرٍ بالله أمواله تزداد أضعافاً على كفره
ومؤمن ليس له درهم يزداد إيماناً على فقره
لاخير فيمن لم يكن عاقلا يبسط رجليه على قدره

وأنشدنى الكريزى :

ما الدهر إلا ليلةٌ ويومُ والعيش إلا يقظة ونومُ
يعيش قوم ، ويموت قوم والدهر قاضٍ ، ماعليه لوم

أنبأنا عبد الله بن محمد بن سلم ، حدثنا أحمد بن أبى الحوارى ، حدثنا إسحاق الموصلى قال : قال أبو حازم : بضاعة الآخرة كاسدة ، فاستكثر منها فى أوان كسادها ؛ فإنه لو جاء أوان نفاذها لم تصل منها لا إلى قليل ولا إلى كثير .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الدنيا بحر طفّاح ، والناس فى أمواجها يعومون ،

Marfat.com

وفى أمثال تضربها الأيام للأنام ـ وما أكثر أشباهَها ـ منها ـ لأن كل مايصير إلى فناء عنها يشبهها ، فمن أوتىَ من الدنيا أشياء ثلاثة فقد أوتى الدنيا بحذافيرها : الأمن ، والقوت ، والصحة ، لايغتر بشىء منها إلا كل خداع ، ولا يركَن إليها إلا كل متّاع .

فالعاقل يعلم أن مالم يبق لغيره عليه غير باق ، وأن ماسلب عن غيره لايترك عليه ، فالقصد إلى مايعود بالنفع فى الآخرة للعاقل من الدنيا أحرى من السلوك فى قصد الضّنِّ بها والجمع لها ، من غير تقديم مايقدم عليه فى الآخرة من الأعمال الصالحة ، وترك الاغترار بها ، والاعتبار بتقلبها بأهلها ، ولا شىء أعظم خطراً من الحياة ، ولا غبن أعظم من إفنائها لغير حياة الأبد ، ومن اشتهى أن يكون حراً فليجتنب الشهوات ، وإن كانت لذيذة ، وليعلم أن كل لذيذ ليس بنافع ، ولكن كل نافع هو اللذيذ ، وكل الشهوات مملولة إلا الأرباحَ فإنها لاتمل ، وأعظم الأرباح الجنة ، والاستغناء بالله عن الناس .

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

فأعظم بصبر لزمان ، فإنه ... على حالة المكروه ليس بدائم
تدورُ لنا أفلاكه بعجائب ... إذا ما انقضت كانت كأحلام نائم
سُرُورٌ وَهَمٌّ وانتعاش ، وسقطة ... إلى أجل دان لذلك هادم
وبالله ـ دون الناس ـ فاستغن واستعنْ ... إذا نزلت إحدى الأمور العظائم

وأنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

والناس فى هذه الدنيا على رتب ... هذا يحُطُّ ، وذا يعلو فيرتَفِعُ

Marfat.com

فأخلص الشكر فيما قد حُبيتَ به وآثِرِ الصبر ، كلٌّ سوف ينقطع

وأنشدنى المنتصر بن بلال :

فيوم علينا ويوم لنا ويوماً نُسَاءُ ، ويوماً نُسَرْ

كذاك التقارُض بين الأنا م فخير بخير ، وشرٌّ بشرْ

أنبأنا محمد بن عبد الله بن الجنيد ، حدثنا عبد الوارث بن عبد الله عن عبد الله عن مسعر عن معن بن عون قال : كم من مستقبِل يوماً لايستكمله ، ومنتظرٍ غداً لايدْركه ، لو تنظرون إلى الأجل ومسيره ، لأبغضتم الأمل وغروره .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : السبب المؤدى للعاقل إلى إنزاله الدنيا منزلتها ، ترك الركون إليها مع تقديم ما قَدرَ منها للعيش الدائم ، والنعيم المقيمُ هو تركُ طول الأمل ، ومراقبة ورود الموت عليه فى كل لحظة وطرفة ؛ لأن طول الآمال قطع أعناق الرجال ، كالسراب أخلف من رجاه ، وخاب من رآه .

فالعاقل يلزم تركها ، مع الاعتبار الدائم بمن مضى من الأمم السابقة ، والقرون الماضية ، كيف عَفَتْ آثارهم ، واضمحلت أنباؤهم ، فما بقى منهم إلا الذكر ، ولا من ديارهم إلا الرسم ، فسبحان من هو قادر على بعثهم ، وجمعهم للجزاء والعقاب ،

ولقد أنشدنا عمرو بن محمد ، قال : أنشدنا الغلابى قال : أنشدنى مهدى ابن سابق :

كنا على ظهرها ، والعيش ذو مَهَلٍ والدهرُ يجمعنا ، والدارُ والوطنُ

ففرق الدهر ذو التصريف ألفتنا فاليوم يجمعنا فى بطنها الكفن

كذلك الدهر لايبقى على أحد تأتى بأقداره الأيامُ والزمنُ

وأنشدنى محمد بن عبد الله البغدادى :

حتى متى يبقى حليفَ الأسى مستشعراً للدهر أحزانا ؟

Marfat.com

فلا يرد الحزنُ شيئاً ، ولا يُعْتِبُ هـذا الدهر إنسانا
قـد يقبل الدهـر بسرّائه طَوْرًا ، وقد يدبر أحيانا
فاصبر على ما جرّ من حادث ما زال غـدّاراً وخـوانا
وأحسن الظنّ بمنْ لم يزل عليك مفضـلا ومنـايا

وأنشدنى عمرو بن محمد قال : أنشدنا الغلابى ، لابن أبى عيينة المهلبى :

ما راحَ يوم على حى ، ولا ابتكرا إلا رأى عبرة فيهـا إن اعتبرا
وإن أتت ساعة الدهر فانصرفت حتى يؤثّر فى قوم لها غبرا
إن الليالىَ والأيامَ أنفسها عن غيب أنفسها لم تكتب الخبرا

أنبأنا على بن سعيد العسكرى ، حدثنا إبراهيم بن الجنيد ، حدثنا الحسن بن سعيد الجرجانى ، قال : سمعت أبا مريم الصلت بن كلثم يقول : كانت امرأة من بنى إسرائيل متعبدةً ، وكانت تفطر كل سبت ، فبينا هى ذات يوم قد وضعت إفطارها بين يديها ، جعلت تقول : محبٌ يُحب حبيبه يتشاغل بالأكل عن خدمة محبه ، فيوشك أن يقدم عليه رسول حبيبه وهو متشاغل بأكله عن خدمته ، فلا تَقَرُّ عينه فى لقائه ، فمكثت كذلك مدة لاتفطر . قال : ثم وضعت إفطارها بين يديها وجعلت تقول مثل ما كانت تقول ، وإذا شابٌ من ناحية البيت جميل الوجه طيب الريح ، فقال : سلام عليك ورحمة الله ياحبيبة الله ، أو ياولية الله ، قالت : وعليك السلام ، من أنت ؟ قال : أنا ملك الموت ، قالت : ياملك الموت ، أتأذن لى أن أسجد سجدة أناجى فيها ربى ، فإذا رأيتنى قد فعلت ذلك قبضت روحى ؟ قال : لك ذلك ، قال : فنحّت إفطارها ، ثم وثبت فسجدت ، فقبض روحها فى اجتهادها رضى الله عنها .

ذكر الحث على لزوم ذكر الموت ، وتقديم الطاعات

حدثنا عبد الله[١] بن محمد بن سليمان السعدى ، حدثنا يحيى[٢] بن أكثم ومحمود[٣] بن غيلان قالا : حدثنا الفضل[٤] بن موسى عن محمد[٥] بن عمرو عن أبى[٦] سلمة عن أبى هريرة[٧] قال : قال رسول الله ﷺ « أكثروا ذكر هاذم اللذات : الموت » .

رجال السند :

(١) عبد الله بن محمد بن سليمان السعدى تقدم .

(٢) يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمى المروزى أبو محمد القاضى المشهور فقيه صدوق من ١٠/ت .

(٣) محمود بن غيلان العدوى مولاهم أبو أحمد المروزى نزيل بغداد ثقة من ١٠/خ م ت س ق .

(٤) الفضل بن موسى السينانى أبو عبد الله المروزى ثقة ثبت وربما أغرب من كبار ٩/ع .

(٥) محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثى المدنى صدوق له أوهام ص ٦/ع .

(٦) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى المدنى قيل اسمه عبد الله وقيل اسماعيل ثقة مكثر من ٣/ع .

(٧) أبو هريرة تقدم .

تخريج الحديث :

وقد أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد من سننه ص ٤/٥٥٣ والنسائى فى كتاب الجنائز ٤/٤ وابن ماجه فى الز هـ ٢/١٣٢٢ والخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ١/٣٨٤ ، ٩/٤٧٠ كلهم عن أبى هريرة وأخرجه ايضا الترمذى عن أبى سعيد الخدرى فى كتاب القيامه ٤/٦٣٩ وفى سنده عبد الله الوصافى ضعيف وعطية العوفى مدلس .

وأبو نعيم فى الحلية ٦/٣٥٥ عن عمر ، ٩/٢٥٢ والخطيب ١٢/٧٣ عن أنس وفى سنده مؤمل بن اسماعيل ضعيف .

وذكر السيوطى فى الجامع أن الحاكم والبيهقى فى الشعب وابن حبان فى صحيحه قد أخرجوه عن أبى هريرة ، والطبرانى فى الأوسط والبزار عن أنس وصحح الأول وحسن الثانى شيخنا الألبانى فى صحيح الجامع الصغير رقم ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ص ١/٣٨٧

Marfat.com

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يضم إلى رعاية ماذكرنا من شُعَب العقل فى كتابنا هذا لزومَ ذكر الموت على الأوقات كلها ، وترك الاغترار بالدنيا فى الأسباب كلها ، إذ الموت رَحًى دوارة بين الخلق ، وكأس يدارُ بها عليهم ، لابد لكل ذى روح أن يشربها ويذوق طعمها ، وهو هاذم اللذات ، ومنغص الشهوات ، ومكدر الأوقات ، ومزيل العاهات .

ولقد أنشدنى عبد العزيز بن سليمان :

أياهاذم اللذات ، مامنك مهربٌ تحاذر نفسى منك ما سيصيبها
رأيتُ المنايا قُسِّمت بين أنفس ونفسى سيأتى بعدهنّ نصيبها

وأنشدنى الكريزى :

إنَّ من عاش آمناً فى سرورٍ قاعدٌ من سروره فى غرور
ما له يذكرُ المقابر والمو تَ إذا كان عاقلا من سرور

حدثنا عمرو بن محمد الغلابى ، حدثنا مهدى بن سابق قال : قرىء على قصر هذه الأبيات :

هذى منازل أقوام عهدتهُم فى ظل عيش عجيب ، ماله خطرُ
صاحتْ بهم حادثات الدهر ، فانقلبوا إلى القبور ، فلا عينٌ ، ولا أثرَ

حدثنا محمد بن إبراهيم الخالدى ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنى إبراهيم ابن عبد الملك ، حدثنى على بن سلمة الحلبى قال : سمعت أبى يقول : كان معاوية يقول « أنا والله من زرع قد استَحْصَد » ونُعى له عبد الله بن عامر بن كريز ، والوليد بن عقبة ، وكان أحدهما أكبرَ منه ، والآخر دونه ، فقال :

Marfat.com

إذا سار مَنْ خلفَ امرىء وأمامه وأفرد من إخوانه فهْوَ سائرُ

حدثنا أحمد بن محمد بن مصعب الشافعى ، حدثنا عبد الله بن محمد قال: سمعت عبيد الله بن مسلم بن زياد الهمدانى قال : سمعت عمر بن ذر يقول :

ورث فتى من الحى داراً عن آبائه وأجداده ، فهدمها ، ثم ابتناها وشيدها ، فأتىَ فى منامه فقيل له :

إن كنت تطمعُ فى الحياة، فقد ترى أرباب دارِك ساكَنُوا الأموات
أنّى تُحِسُّ من الأركام ذكرهم ؟ خلت الديار وبادت الأصواتُ

قال : فأصبح الفتى مغتاظاً قد أمسك عن كثير مما كان يصنع ، وأقبل على نفسه .

حدثنا عمر بن حفص البزار . حدثنا إسحاق بن الضيف ، حدثنا جعفر بن عون ، قال سمعت مسعراً يقول :

ومُشَيِّدٍ داراً ليسكن داره سكن القبور ، ودارَه لم يسكن

وأنشدنى ابن زنجى البغدادى :

لو أننى أعطيت سؤلى لما سألت إلا العفو والعافيـة
فكم فتى قد بات فى نعمة فسُلَّ منها الليلةَ الثانية ؟

حدثنا حمزة بن داود بن سليمان ، بالأُبُلَّة ، حدثنا ذهل بن أبى شراعة القيسى قال : حدثتنى سُكَيْنة ـ وكانت علامة ـ قالت : قال لى أبو العتاهية : دخلت على هارون أمير المؤمنين ، فلما بَصُرَ بى قال : أبو العتاهية ؟ قلت : أبو العتاهية قال : الذى يقول الشعر . قلت : الذى يقول الشعر . قال : عظنى بأبيات شعر . وأوجز . فأنشدته :

Marfat.com

لاتأمن الموت فى طرف ولا نَفَسٍ ولو تمنعت بالحجّاب والحرس
واعلم بأن سهام الموت قاصدة لكل مُدَّرِعٍ منا ومتَّرس
ترجو النجاة ، ولم تسلك مسالكها؟ إن السفينة لاتجرى على اليبس

قال : فخر مغشيًا عليه . أو كما قال .

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابى . حدثنا أبو جعفر البغدادى قال : قرأت على باب قصر بالسند :

نزل الموت منزلا سلب القوم وارتحل

فقلت : ماهذا ! فقالوا : مات أهل القصر كلهمْ ، فأصبحوا وهذا الكتاب على الباب لايدرى من كتبه ، وأنشدنى البسامى :

قد يصح المريض بعد إياس كان منه ويهلكُ العوّاد
يُصَاد القطا فينجو سليما بعد هُلْك ، ويهلِكُ الصَّياد

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لاينسى ذكر شىء هو مترقب له ، ومنتظر وقوعه ، من قدم إلى قدم ، ومن لحظة إلى شزرة ، فكم من مكرّم فى أهله ، معظم فى قومه ، يختال فى حبرته ، لايخاف الضيق فى المعيشة ، ولا الضّنك فى المصيبة ، إذ ورد عليه مذلل الملوك ، وقاهر الجبابرة ، وقاصم الطغاة ، فألفاه صريعاً بين أحبته وجيرانه ، مفارقاً لأهل بيته وإخوانه ، لايملكون له نفعاً ، ولايستطيعون عنه دفعاً ، فكم من أمة قد أبادها الموت ، وبلدة قد عطلها ، وذات بعل قد أرملها وذى أب قد أيتمه ، وذى إخوة أفرده .

فالعاقل لايغتر بحالة نهايتها يؤدى إلى مافلنا ، ولا يركن إلى عيش مغبته

Marfat.com

ما ذكرنا ، ولا ينسى حالةً لامحالةهو مُوَاقعها : وما لاشك يأتيه ، إذ الموت طالب لايعجزه المقيم ، ولا ينفات منه الهارب .

ولقد حدثنا محمد بن إبراهيم الخالدى ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنى سلمة ابن حبيب حدثنا سهل بن عاصم قال : سمعت الوضاح بن حسان يقول : سمعت ابن السماك يحدث قال : بينما صياد ـ فى الدهر الأول ـ يصطاد السمك ، إذ رمى بشبكة فى البحر ، فخرج فيها جمجمة إنسان ، فجعل الصياد ينظر إليها ويبكى ، ويقول : عزيز ، فلم تُترك لعزك ، غنى ، فلم تُترك لغناك ، فقير فلم تترك لفقرك ، جواد ، فلم تترك لجودك ، شديد ، فلم تترك لشدتك ، عالم ، فلم تترك لعلمك ؟ يردد هذا الكلام ويبكى :

وأنشدنى الكريزى :

أموالنا لذوى الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها
والنفس تكلف بالدنيا ، وقدعلمت أن السلامة فيها : ترك مافيها
فلا الإقامة تنجى النفس من تلف ولا الفرارُ من الأحداث ينجيها
وكل نفس لها زَوْرٌ يصبِّحُها من المنية يوماً أو يمسيها

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابى ، قال : سمعت ابن واقد المدينى قال : حدثنا عبد المنعم الرياحى قال : فُقد مالكُ بن دينار يوماً ، فقالوا : أين كنت يا أبا يحيى ؟ قال : خرجت إلى الأبلة ، قالوا : ما أحسنُ ما رأيت ؟ قال : مارأيت شيئاً أعجبت به ، إلا أنى رأيت امرأة تصلى ، فقالوا له : يا أبا يحيى ، فما أعجبُ شىء رأيت ؟ قال : رأيت بالبحرين قصراً مشيداً ، وإذا على بابه مكتوب :

Marfat.com

طلبتُ العيش أسعد ناحيه وعشتُ من المعايش والنعيم
فلم ألبَثْ وَرَبِّ الناس طَوْراً سلبت من الأقارب والحميم

وأنشدنى الأبرش :

والنفوس وإن كانت على وجل من المنية آمال تقويها
والمرءُ يَبْسطها ، والدهر يقبضها والنفس تنشرها ، والموت يطويها

أنبأنا حمزة بن داود بن سليمان بالأبلة ، حدثنا الهادى ، حدثنا جليس الكلبى عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة قال : لقينى عمران بن حطان فقال لى : يا أعمى إننى عالم بخلاقك ، ولكنك رجل تحفظ ، فاحفظ عنى هذه الأبيات :

حتى متى تسقى النفوس بكأسها ريب المنون ، وأنت لاهٍ ترتعُ ؟
أفقد رضيت بأن تعلِّلَ بالمنى وإلى المنية كلَّ يوم تدفع ؟
أحلام نوم ، أو كظل زائل إنَّ اللبيب بمثلها لايخدع
فتزودنَّ ليوم فقرك دائباً واجْمع لنفسك لا لغيرك تجمع

حدثنا محمد بن نصر بن نوفل المروزى ، قال: سمعت أبا داود السجزى يقول : خرج أبو معاذ النحوى يوماً مع أصحابه ، فقال : إنى قد نُعيت إلىّ نفسى البارحة أتانى آت ، فقال :

يا أيها الإنسان ، إنك ميتٌ عما قليل ، قمْ لنفسك واقعدِ
فكأنْ ماقد كان لم يك إذ مضى وكأن ماهو كائن فكأن قدِ

حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا حرملة بن يحيى قال : سمعت الشافعى كثيراً ما ينشد :

تمنّى رجال أن أموتَ ، وإن أمتْ فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأوحَدِ

فقل للذى يبقى خلافَ الذى مضى تهيأ لأخرى مثلها فكأن قـدِ

حدثنا أحمد بن محمد الشافعى ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنى إسماعيل بن عبد الله العجلى قال : أنشدنا رجل ، ونحن فى المقابر :

ألا يا عسكرَ الأحيا ء هذا عسكر الموتى
أجابوا الدعوة الصغرى وهم منتظـرو الـكبرى
يحثـون على الزاد وما زاد سـوى التقوى
يقولون لـكم : جـدوا فهـذا آخر الدنيـا

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن الله جل وعلا خلق آدم وذريته من الأرض وأمشاهم على ظهرها ، فأكلوا من ثمارها ، وشربوا من أنهارها ، ثم لامحالة تنزل المنية بهم ، وتغنيهم عن السعى والحركات ، مع تعطيل الجثث والآلات ، ثم تعيدهم إلى الأرض التى منها خلقهم ، حتى تأكل لحومهم ، كما أكلوا ثمارها ، وتشرب دماءهم كما شربوا من أنهارها ، وتقطع أوصالهم كما مشوا على ظهرها ، فالقبر أول منزل من منازل الآخرة ، وآخر منزل من منازل الدنيا ، فطوبى لمن مهد فى دنياه لقبره ، وقدم منها لآخرته ، فكم عَفَرت الأرض من عزيز ، وأفقدت من أنيس .

حدثنى محمد بن إبراهيم الخالدى ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنى محمد بن عباس ، حدثنا إبراهيم بن يزيد قال : رأيت أعرابياً وقف على مقبرة وهو يقول :

لِـكُلِّ أناسٍ مَقْبَرٌ بفنائهم فهم ينقصون ، والقُبورُ تزيد
وما إن ترَى داراً لحىٍّ قد أقفرت وقبراً لميْتٍ بالفناء جـديدُ
فهم جيرةُ الأحياء ، أما محلهم فدانٍ ، وأما الملتقى فبعيد

Marfat.com

وأنشدنى أحمد بن عبد الله الكرجى لعمر بن شبة فى نفسه :

يا ابن سَبعين وعشرٍ وثمان كاملات
غرضاً للموت مشغو لا يُخدْ منّى وهات
ويكَ لا تعلم ما تلقى به بعد الممات
من صغار موبقات وكبار مهلكات
يا ابن من قد مات من آبائه والأمهات
هل ترى من خالد من ذى طغاةٍ وعُتاةِ ؟
إن من يبتاع بالدين خسيسات الحياةِ
لغبى الرأى محفوف بطول الحسرات

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابى ، حدثنا شعيب بن واقد المرى عن عبد المنعم الرياحى قال : سمعت صالح المرى يقول : دخلت المقابر يوما فى شدة الحر، فنظرت إلى القبور خامدة ، كأنهم قوم صموتٌ ، فقلت : ياسبحان الله ! من يجمع بين أرواحكم وأجسامكم بعد افتراقها ، ثم يحييكم وينشئكم من طول البلى ؟ قال : فنادانى مناد من بين تلك الحفر : ياصالح (٣٠ : ٢٥ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ، ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) قال : فسقطت والله مغشيًا علىّ .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرنا اليسير من الكثير من الآثار ، والقليل من الجسيم من الأخبار ، فى كتابنا هذا ، بما نرجو أن القاصد إلى سلوك سبيل ذوى الحجى ، والسالك مقصد سبيل أولى النهى ، يكون له فيها غُنْية إن تدبرها واستعملها ، وإن كنا تنكبْنَا طرق المسانيد ، وتخريج الحكايات ، وأناشيد

Marfat.com

الأشعار ، إلا مالم نجد من إخراجها ، كالإيماء إلى الشيء ، والإشارة إلى القصد .

جعلنا الله ممن دعته تباشير التوفيق إلى القيام بحقائق التحقيق . إنه منتهى الغاية عند رجاء المؤمنين ، والمانّ على أوليائه بمنازل المقربين .

وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، وعلى آله الطاهرين الطيبين ، والحمد لله رب العالمين .

وجد فى النسخة الأصلية ما صورته :

فرغ من نسْخه بعون الله ورحمته العبد الفقير إلى عفو ربه أحمد بن محمد بن سالم بن جناب المنبجى ، بالرها المحروسة ، يوم الثلاثاء حادى عشر المحرم سنة ثمان وعشرين وستمائة . ختم الله له بخير ولوالديه ولجميع المسلمين !!

وتم طبعه ـ للمرة الثالثة ـ بمطبعة السنة المحمدية فى غرة جمادى الأولى سنة ١٣٧٤ من هجرة عبد الله ورسوله الكريم محمد خاتم المرسلين ﷺ وعلى آله أجمعين .

تنبيه واعتذار

سوف يجد القارىء الكريم عند ذكر كثير من الاعلام فى الهامش احالات دون ذكر رقم الصفحة • وقد وضعت أرقام تلك الاحالات فى المخطوطة عندى ، وعند طبع الكتاب كنت بعيدا عن مراجعة الكتاب ولم يتنبه المراجع لهذه الاحالات فحصل هذا الخطأ الغير مقصود ولما أطلعت على الكتاب فى نهايته تداركت عمل فهرسة للاعلام المترجم لهم وأشرت الى الصفحة التى ترجم الراوى منهم فيها فقط على أمل تدارك ذلك فى طبعة قادمة ان شاء الله •

Marfat.com

Marfat.com

« الفهـــــارس »

١ ـ فهرس الاعـــلام

٢ ـ فهرس الاحاديث على الحروف المعجمة

٣ ـ فهرس المراجع ـ البحث

٤ ـ فهرس الابواب

Marfat.com

Marfat.com

فهرس الاعلام

الرقم	الاسم	الصفحة
١	ابن أبى حازم	١٤٧
٢	ابن أبي مليكة	٢٨٦
٣	ابن جريج	١٨٣
٤	ابن حبان	٣ـ٤٣
٥	ابن خزيمة	١٠و٥٩
٦	ابن العاص ـ عمرو	٢٩٧
٧	ابن عباس	٢١٦
٨	ابن عمر	٢٠٤
٩	ابن المبارك	١٩
١٠	ابن مسعود	٨١ـ٨٨
١١	ابن مسلمة القعنبى	٨٨
١٢	ابن معين	٩٩
١٣	ابن وضاح	١٠٧
١٤	ابن وهب	٢٧٨
١٥	ابن يزيد المقرىء	٢١٠
١٦	ابن يونس	٣٩
١٧	أبو الأحوص	٦٩
١٨	أبو اسحاق الجوزجانى	
١٩	أبو بكر الرازى	٢١
٢٠	أبو حازم	٣٩
٢١	أبو الحصين	٦٩
٢٢	أبو الخطاب	١٧٣
٢٣	أبو خليفة الفضل بن الحباب	٩
٢٤	أبو داود السنجى	١٦٥
٢٥	أبو داود الطيالى	١٧٣
٢٦	أبو الدرداء	١٣٥
٢٧	أبو رافع	١٦١
٢٨	أبو الربيع الزهرانى	٢١٠
٢٩	أبو سعيد الخدرى	١٢١
٣٠	أبو سفيان طليحة بن نافع	٨١
٣١	أبو سلمه	٣٧٥
٣٢	أبو صالح ـ ذكوان	١٥٣
٣٣	أبو عاصم ـ الضحاك	١٦٥
٣٤	أبو عبد الرحمن النسائى	٣
٣٥	أبو عبد الرحمن الجبلى	٢١٠
٣٦	أبو عمر النسائى	٣٢٦
٣٧	أبو عوانة	٣٣ـ١٧٨
٣٨	أبو قيس	٢٩٧
٣٩	أبو كريب	٢٣٣
٤٠	أبو موسى الاشعرى	١٤٢
٤١	أبو هانى	٢١٠
٤٢	أبو هريرة	٦٩
٤٣	أبو الهيثم	٢٧٨
٤٤	أبو وائل	٢٣٨
٤٥	أبو يزيد خالد	١٩٩
٤٦	ابراهيم بن عبدالعزيز	١٤٧
٤٧	ابراهيم بن أبى عبلة	٣٦٨
٤٨	أحمد بن أبى بكر	٢٩١
٤٩	أحمد بن جميل	٢١٦
٥٠	أحمد بن الحسن الصوفى	١٠
٥١	أحمد بن حنبل	١٩
٥٢	أحمد بن على بن المثنى	١٠
٥٣	أحمد بن محمد بن الجنيد	٨١
٥٤	أحمد بن محمد بن الحسين	٢٩٧
٥٥	أحمد بن محمد بن يحيى	٥١
٥٦	أحمد بن يونس	٣٩
٥٧	اسامة بن شريك	٥١
٥٨	اسحاق بن ابراهيم	٣٠٤
٥٩	اسماعيل بن عبيدالله	١٣٥
٦٠	اشعث بن سوار	١٢
٦١	الاعرج	٣١٠
٦٢	الأعمش	٨١
٦٣	ام الدرداء	١٣٥
٦٤	أنس بن مالك	١١٦
٦٥	الأوزاعى	١٢١
٦٦	بشر بن معاذ	١٧٨
٦٧	البغدادى	٢١
٦٨	بكار بن شعيب	١٤٧
٦٩	تميم الدارى	٢٦١
٧٠	ثابت بن أسلم البنانى	١٢٦
٧١	ثور بن زيد	١٣
٧٢	ثور بن يزيد	١٣
٧٣	الثورى	١٩و١٠٧
٧٤	جابر	١٠٧

Marfat.com

الرقم	الاسم	الصفحة
٧٥	جعفر بن سليمان	١٢٦
٧٦	جنادة	١٤
٧٧	جودان	٢٤٦
٧٨	الجوينى	٢١
٧٩	الحاكم	٣
٨٠	حامد بن محمد	٦٩
٨١	حذيفة	٢٣٨
٨٢	الحسن بن سفيان	١٠
٨٣	الحسن بن عرفه	٣١١
٨٤	الحسين بن أدريس	٢٩١
٨٥	الحسين بن محمد	٢٦١
٨٦	حماد بن سلمة	١٥٣
٨٧	حميد بن زنجوية	٨١
٨٨	حيان بن بسطام	١٧٣
٨٩	خالد بن عبد الله	٢٧٣
٩٠	خالد بن عمرو	١٩٤
٩١	دراج أبو السمح	٢٧٨
٩٢	ربعى بن خراش	٨٨
٩٣	الربيع بن مسلم	٣٤٨
٩٤	الزبير بن العوام	١٩٩
٩٥	زر بن حبيش	٥٩
٩٦	زكريا بن يحيى	٢١٠
٩٧	زهير بن معاوية	٢٦١
٩٨	الزهرى	١٢و٢٧٣
٩٩	زياد بن علاقة	٥١
١٠٠	زيد بن أسلم	٢٩١
١٠١	زيد بن وهب	١١٢
١٠٢	سعيد بن جبير	٢١٦
١٠٣	سعيد المقبرى	٢٣٣
١٠٤	سعيد الوراق	٣١٠
١٠٥	سفيان الثورى	١٩و١٠٧
١٠٦	سفيان بن عيينة	١٩
١٠٧	سلمة بن دينار	١٤٧
١٠٨	سليمان بن الاشعث	٢٣
١٠٩	سليمان بن طرخان	١٩٠
١١٠	سليم بن حيان	١٧٣
١١١	سويد بن سعيد	٢٣
١١٢	سهل بن سعد الساعدى	٣٩و١٤٧
١١٣	سهيل بن أبى صالح	١٥٣و٢٦١
١١٤	سهيل بن عبدالرحمن	٢٥٢
١١٥	السيوطى	٢١
١١٦	شبل بن عزرة	١٦٥
١١٧	شعبة	١٩و٨٨
١١٨	عاصم بن على	٢٣
١١٩	عاصم بن أبى النجود	٥٩
١٢٠	العباس بن عبدالرحمن	٢٤٦
١٢١	العباس بن عبد العظيم	٣٥٦
١٢٢	عبد الأعلى بن حماد	١٥٣
١٢٣	عبد الله بن دينار	٣٥٥
١٢٤	عبد الله بن شيرويه	٣٩
١٢٥	عبد الله بن عمر الأودى	٢٢٩
١٢٦	عبد الله بن عمرو	٢١٠
١٢٧	عبد الله بن عمرو الاصبهانى	٣٢٠
١٢٨	عبد الله بن عمران	٣٢٠
١٢٩	عبد الله بن لهيعة	٢١٠
١٣٠	عبد الله بن المبارك	١٩
١٣١	عبد الله بن محمد بن أسلم	١٢١
١٣٢	عبد الله بن محمد بن أسماء	٢٣٨
١٣٣	عبد الله بن محمود	٣٠٤
١٣٤	عبد الله بن مسلمة القعنبى	٨٨
١٣٥	عبد الله بن هانى	٣٦٧
١٣٦	عبد الله بن يزيد المقرىء	٢١٠
١٣٧	عبد الجبار بن العلاء	٢٨٦
١٣٨	عبد الرحمن بن ابراهيم	١٢١
١٣٩	عبد الرحمن بن اسحاق	٢٧٣
١٤٠	عبد الرحمن بن بكر	٣٤٨
١٤١	عبد الرحمن البجلى	٢٦١
١٤٢	عبد الرزاق	٥٩
١٤٣	عبد العزيز بن محمد	٢٢٦
١٤٤	عبد الواحد بن غياث	١٩٩
١٤٥	عبد الوارث العنكى	٣٠٤

الرقم	الاسم	الصفحة
١٤٦ـ	عبدة بن سليمان	٩٩و٢٣٣
١٤٧ـ	عبيد الله بن عمر	٢٣٣
١٤٨ـ	عبيد الله بن معاذ	١٤٢
١٤٩ـ	العراقى	٢١
١٥٠ـ	عروة بن الزبير	١٩٩
١٥١ـ	عطا بن رباح	١٨٣
١٥٢ـ	عطا بن يزيد	١٢١و٢٦١
١٥٣ـ	عكرمة	٢٣
١٥٤ـ	على بن حرب	٢٤٦
١٥٥ـ	على بن رباح	٢٩٧
١٥٦ـ	عمر بن حبيب	٢١٦
١٥٧ـ	عمر بن حفص	١٩٠
١٥٨ـ	عمر بن شبة	٥١
١٥٩ـ	عمرو بن الحارث	٢٧٨
١٦٠ـ	عمرو بن دينار	٢٨٦
١٦١ـ	عمرو بن سعيد	١٠٧
١٦٢ـ	عمرو بن العاص	٢٩٧
١٦٣ـ	عمرو الفلاس	١٨٣
١٦٤ـ	عمرو بن مرزوق	٢٣
١٦٥ـ	عمرو بن واقد	١٣٥
١٦٦ـ	عمران بن موسى	١٠
١٦٧ـ	الغزالى	٢١
١٦٨ـ	الفضل بن الحباب	٩
١٦٩ـ	الفضل بن سهل	١١٢
١٧٠ـ	فضيل بن عياض	٣٩و١٩٠
١٧١ـ	الفضل بن قوس	٣٧٥
١٧٢ـ	القاسم بن أبى بزة	٢١٦
١٧٣ـ	قتادة	١١٦
١٧٤ـ	قطن بن يسير	١٢٦
١٧٥ـ	القعنبى	٨٨
١٧٦ـ	الليث بن سعد	١٩
١٧٧ـ	مالك	١٩و٢٩١
١٧٨ـ	مجاهد	٢٠٤
١٧٩ـ	محمد بن أبى بكر المغربى	٢٠٤
١٨٠ـ	محمد بن ابراهيم	٢٥٢
١٨١ـ	محمد بن أحمد الرقام	١٧٣
١٨٢ـ	محمد بن أحمد المصيصى	١٩٤

الرقم	الاسم	الصفحة
١٨٣ـ	محمد بن ثور	٣٩
١٨٤ـ	محمد بن جعفر	١١٢
١٨٥ـ	محمد بن الحسن بن الخليل	٢٣٣
١٨٦ـ	محمد بن الحسن بن قتيبة	١٠٧
١٨٧ـ	محمد بن الحسين	١٨٣
١٨٨ـ	محمد بن رافع	٥٩
١٨٩ـ	محمد بن زياد الزيادى	١٩٠
١٩٠ـ	محمد بن زياد القرشى	٣٤٨
١٩١ـ	محمد بن سليمان	٢٥٢
١٩٢ـ	محمد بن صالح الطبرى	٢٨و١١٢
١٩٣ـ	محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن	٢٠٤
١٩٤ـ	محمد بن عبد الله بن عبد السلام	١٣٥
١٩٥ـ	محمد بن عمرو	٣٧٨
١٩٦ـ	محمد بن محمد الغزالى	٢١
١٩٧ـ	محمد بن مصعب	١٣٥
١٩٨ـ	محمد بن مطر	٢٥٢
١٩٩ـ	محمد بن المنكدر	١٠٧
٢٠٠ـ	محمد بن نصر	١٦٥
٢٠١ـ	محمد بن يحيى	٥٩
٢٠٢ـ	محمد بن يوسف	٣٩
٢٠٣	محمد بن غيلان	٣٧٥
٢٠٤ـ	مسلم بن ابراهيم	٣٢٠
٢٠٥ـ	مسلم بن خالد الزنجى	٣٠٤
٢٠٦ـ	مصعب بن المقدام	٣٣٤
٢٠٧ـ	معاذ العنبرى	١٤٢
٢٠٨ـ	معمر بن راشد	٣٩و٥٩
٢٠٩ـ	مكحول الأزدى	١٣
٢١٠ـ	مكحول الشامى	١٣
٢١١ـ	منصور بن زاذان	١٣
٢١٢ـ	منصور بن عبد الله	١٠
٢١٣ـ	منصور بن مزاحم	٦٩
٢١٤ـ	منصور بن المعتمر	١٣و٨٨
٢١٥ـ	مهدى بن ميمون	٢٣٨
٢١٦ـ	مؤمل بن اسماعيل	٥١

Marfat.com

الرقم	الاسم	الصفحة
٢١٧ـ	موسى بن عقبة	٩٩
٢١٧ـ	موسى بن على	٢٩٧
٢١٩ـ	النسائى	٣
٢٢٠ـ	النضر الحرانى	١٢
٢٢١ـ	النضر الخزاز	١٢
٢٢٢ـ	هارون بن قزعة	
٢٢٣ـ	هانى بن عبد الرحمن	٣٦٧
٢٢٤ـ	هدبة بن خالد	١١٦
٢٢٥ـ	هشام بن عروة	٩٩
٢٢٦ـ	همام بن يحيى	١١٦
٢٢٧ـ	واصل الاحدب	٢٣٨
٢٢٨ـ	ورقاء	١١٢
٢٢٩ـ	وكيع بن الجراح	١٩و٢٤٦
٢٣٠ـ	الوليد بن مسلم	١٢١
٢٣١ـ	وهب بن بقية	٢٧٣
٢٣٢ـ	يحيى بن اكثم	٣٧٥
٢٣٣ـ	يحيى بن سعيد الانصارى	٣١١
٢٣٤ـ	يحيى بن سعيد القطان	٢١
٢٣٥ـ	يحيى بن خريس	٣٢٠
٢٣٦ـ	يحيى بن معين	٩٩
٢٣٧ـ	يزيد بن خالد	٢٧٨
٢٣٨ـ	يزيد بن صالح	١٦١
٢٣٩ـ	يعلى بن مملك	٢٨٦
٢٤٠ـ	يوسف بن اسباط	١٠٧
٢٤١ـ	يوسف بن سعيد	١٩٤

Marfat.com

(فهرس الحديث على الحروف المعجمة)

رقم مسلسل		الصفحة
١	ـ آخى ، رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سلمان	١٢٦
٢	ـ أجيبوا الداعى	٣٢٠
٣	ـ الأرواح جنود	١٥٣
٤	ـ ازهد فى الدنيا	١٩٤
٥	ـ استعينوا على الحوائج	٢٥٢
٦	ـ أكثروا ذكر هاذم اللذات	٣٧٥
٧	ـ ان رجلا زار أخا له	١٦١
٨	ـ ان السلام اسم	١١٢
٩	ـ ان الله يحب مكارم	٣٩
١٠	ـ ان معا أدرك الناس	٨٨
١١	ـ ان من البيان لسحرا	٢٩١
١٢	ـ أول شىء نهانى عنه ربى	١٣٥
١٣	ـ أول ما خلق الله القلم	٢١٦
١٤	ـ اياكم والظن	١٧٣
١٥	ـ الجهاد افضل	١٢١
١٦	ـ خياركم فى الجاهلية	٢٣٣
١٧	ـ الدين النصيحة	٢٦١
١٨	ـ السخى قريب من الله	٣١١
١٩	ـ عليكم بالصدق	٨١
٢٠	ـ قدر الله المقادير	٢١٠
٢١	ـ كرم الرجل دينه	٣٠٤
٢٢	ـ كفى بالمرء كذبا ان يحدث	٢٠
٢٣	ـ كلكم راع	٣٥٦
٢٤	ـ كن فى الدنيا	٢٠٤
٢٥	ـ لأن يأخذ أحكم حبلا	١٩٩
٢٦	ـ لئن كان كما تقول	٢٢٦
٢٧	ـ ما سئل شيئا قط	٣٣٤
٢٨	ـ ما كره الله منك	٥١
٢٩	ـ ما من خارج يخرج	٦٠
٣٠	ـ ما نقصت صدقه	٩٣
٣١	ـ مثل الجليس الصالح	١٤٢
٣٢	ـ مثل الجليس الصالح	١٦٥
٣٣	ـ مداراة الناس	١٠٧
٣٤	ـ من اصبح معافى	٣٦٨

Marfat.com

رقم مسلسل		الصفحة
٣٥	ـ من اعتـــــذر الى أخيـــه	٢٤٦
٣٦	ـ من أعطـــى حظـــه من	٢٨٦
٣٧	ـ من حـدث عنى بحـديث	٢٠
٣٨	ـ من كان يؤمـــن ٠٠ فليقل خـــيرا	٦٩
٣٩	ـ من كان يؤمـن ٠ فـلا يؤذى	١٢٣
٤٠	ـ من نفس عن أخيـــه	٣٢٦
٤١	ـ من لا يشـكر النـــاس	٣٤٨
٤٢	ـ نعمـــا المـال الصـــالح	٢٩٧
٤٣	ـ لا تباغضـــوا	٢٧٣
٤٤	ـ لا تباغضـــوا	١٨٤
٤٥	ـ لا تغضـــب	١٩٠
٤٦	ـ لا حليـــم الا ذو عثـــرة	٢٧٨
٤٧	ـ لا خـــير فى صحبـــة	١٤٧
٤٨	ـ لا يدخـــل الجنـــة نمـــام	٢٣٨
٤٩	ـ يا أنجشـــة لا تكســـر	١١٦
٥٠	ـ يا عمـــرو نعمـــا المـــال الصـــالح	٢٩٧
٥١	ـ يحـــرم على النـــار	٩٩
٥٢	ـ يهـــزم ابن آدم	١٧٨

Marfat.com

(مراجـــع البحث)

١ ـ مالك بن أنس متوفى سنة ١٧٩هـ الموطأ ، مطبعة مصطفى الحلبى عام ١٣٧٠هـ ٠

٢ ـ عبد الله بن المبارك متوفى سنة ١٨١هـ ، الزهد ، مؤسسة الرسـالة حمص ٠

٣ ـ الحميدى توفى سـنة ٢١٩هـ ، المسـند ، مكتبة المتنبى القاهرة عن منشورات المجمع العلمى بتحقيق الاعظمى ٠

٤ ـ البخارى توفى عام ٢٢٦هـ ٠

(أ) الصحيح ، مع الفتح ، المطبعة السلفية مصر ٠

(ب) الأدب المفرد ـ مع فضل الله الصمد ـ نشر المكتب الاسلامية حمص عام ١٣٨٨هـ ٠

٥ ـ أحمد بن حنبل توفى عام ٢٤١هـ ، المسند ، المكتب الاسلامى ودار صـادر ٠

٦ ـ المروزى توفى عام ٢٤٥هـ مسند أبى بكر ، طبع المكتب الاسلامى ٠

٧ ـ الدارمى توفى عام ٢٥٥هـ ، السنن ، شركة الطباعة العربية المتحـدة عام ١٣٨٦هـ ٠

٨ ـ مسلم بن الحجاج توفى عام ٢٦١هـ ، الصحيح ـ مع شرح النووى ـ ط ٠ المصرية ٠

٩ ـ أبو داود ـ توفى عام ٢٧٥هـ ، السـنن ، ط مصطفى الحلبى الأولى ١٣٧١ هـ ٠

١٠ ـ ابن ماجه ، توفى عام ٢٧٥ هـ ، السنن ـ ط عيسى الحلبى ٠

١١ ـ الترمذى توفى عام ٢٧٩هـ ، السنن ، ط مصطفى الحلبى الأولى ١٣٨٢هـ ٠

١٢ ـ النسائى توفى عام ٣٠٣هـ ، السنن ـ ط الشركة العامة ، ودار أحياء التراث العربى ببيروت ٠

١٣ ـ ابن أبى حاتم توفى ٣٢٧هـ ٠

(أ) الجرح والتعديل ٠ ط الأولى حيدر أباد الهند ١٢٧١هـ ٠

(ب) المراسيل ـ طبعة مكتبة المتنبى بغداد ١٣٨٦هـ ٠

١٤ ـ الخرائطى توفى ٣٢٧ ، مكارم الأخلاق ، الطبعة السلفية عام ١٣٥٠هـ ٠

١٥ ـ ابن حبان البستى توفى ٣٤٠هـ ٠

(أ) الصحيح ، ط الاولى ـ المكتبة السلفية بالمدينة ٠
(الاحسان فى تقريب صحيح ابن حبان)

١٦ ـ الاجرى متوفى عام ٣٦٠هـ ، الشريعة ، ط السنة المحمدية الاولى سنة ١٣٦٩هـ .

١٧ ـ الطبرانى المتوفىعام ٣٦٠هـ ، المعجم الكبير . ط الأولى ، الدار العربية بالعراق ، وأحياء التراث الاسلامى .

١٨ ـ الحاكم، توفى ٤٠٥هـ ، المستدرك ، ط مطابع النصر الحديثة الرياض .

١٩ ـ أبو نعيم المتوفى عام ٤٣٠هـ ، حلية الأولياء ، ط ـ الثانية ١٣٨٧ هـ الكتاب العربى ، بيروت .

٢٠ ـ ابن عبد البر المتوفى عام ٤٦٣هـ ، جامع البيان العلم وفضله ، ط . الناصر المكتبة العلمية بالمدينة .

٢١ ـ الخطيب البغدادى المتوفى عام ٤٦٣هـ .

(أ) تاريخ بغداد ، ط دار الكتاب العربى بيروت .

(ب) الفقه والمتفقه ، ط مطابع التعميم عام ١٣٨٩هـ .

٢٢ ـ ياقوت الحموى المتوفى عام ٦٢٦ ، معجم البلدان ، ط دار صادر ببيروت الأولى ١٣٧٦هـ .

٢٣ ـ ابن الأثير عام ٦٣٠هـ اللباب ط مكتبة المتنبى بغداد .

٢٤ ـ النووى المتوفى سنة ٦٧٦هـ .

(أ) شرح النووى على مسلم .

(ب) التقريب .

٢٥ ـ ابن خلكان ،توفى ٦٨١هـ ، وفيات الأعيان ، بدون .

٢٦ ـ ابن عبد الهادى توفى ٧٤٤هـ ، الصارم المنكى فى الرد على لبكى مطبعة الامام بمصـــر .

٢٧ ـ الذهبى ـ المتوفى ٧٤٨هـ .

(أ) تذكرة الحفاظ ، الميزان ـ احياء التراث العربى ببيروت .

(ب)الميزان ـ عيسى الحلبى الأولى ١٣٨٢هـ .

(جـ) المغنى فى الضعفاء ط ـ الناشر دار المعارف بمصر ، الأولى عـام ١٣٩١هـ .

٢٨ ـ السبكى ـ توفى ٧٧١هـ ، طبقات الشافعية ـ ط عيسى الحلبى ١٣٨٣ هـ.

٢٩ ـ ابن كثير ـ المتوفى ٧٧٤هـ ، البداية .

٣٠ ـ الهيثمى ـ المتوفى عام ٨٠٧هـ .

٣٠ ـ (أ) موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان ، ط السلفية الاولى ٠
(ب) مجمع الزوائد ، ط مكتبة القدس ٣٥٣هـ ٠

٣١ ـ ابن حجر العسقلانى المتوفى عام ٨٥٢هـ ٠

(أ) الاصابة فى اسماء الصحابة ط المكتبة التجارية ١٣٥٨هـ ٠

(ب) التهذيب ط دار المعارف الهند حيدر آباد ١٣٢٥هـ ٠

(جـ) اللسان ط مؤسسة الاعلمى الثانية ٠ تبوك ٠

(د) التقريب ، الناشر ـ المكتبة العلمية بالمدينة ٠

٣٢ ـ السيوطى ـ المتوفى ٩١١هـ تدريب الراوى ٠

٣٣ ـ المناوى ـ فيض القـــدير ٠

٣٤ ـ النابلسى ـ المتوفى ١١٤٣هـ ، ذخائر المواريث ، ط ٠ جمعية النشر والتأليف الأزهرية الاولى ١٣٥٣هـ ٠

٣٥ ـ الصنعانى ، المتوفى عام ١١٨٢هـ ، توضيح الأفكار ط٠ الخانجى الاولى٠

٣٦ ـ عبد الحى اللكنوى ـ ١٣٠٤هـ ، الرفع والتكميل ، ط الناشر مكتبـــة المطبوعات الاسلامية بحلب ٠

٣٧ ـ المعلى ـ المتوفى ١٣٨٦هـ ، التنكيل ، ط الناشر نصيف معه تحقيق الالبانى ٠

٣٨ ـ الساعاتى ـ منحة المعبود فى ترتيب مسند الطيالسى أبى داود ، ط المنيرية الاولى ١٣٧٢هـ ٠

٣٩ ـ الغمارى :
(أ)البغية فى ترتيب الحلية ٠

(ب) مفتاح الترتيب لاحاديث تاريخ الخطيب ٠
الناشر مكتبة الخانجى ٠

٤٠ ـ الالبـــانى :

(أ) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٠
(ب) سلسلة الأحاديث الضعيفة ط ٠ المكتب الاسلامى ، الاولى ٠
(جـ) صحيح الجامع ٠
(د) ضعيف الجامع ٠

٤١ ـ المستشرق ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ، ط بريل فى مدينة ليدن سنة ١٩٦٧م ٠

٤٢ ـ عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ط ٠ مكتبة المتنى بغداد وأحياء التراث بيروت ٠

٤٣ ـ الزركلى ـ الاعلام ط الثالثة ٠

٤٤ ـ البغدادى ـ هداية العارفين ط استنبول الثالثة ١٣٨٧هـ ٠

Marfat.com

محمد وبلال ذخيرة

(فهـــرس الأبواب)

الصفحة

مقـــــــدمة . . . . . .

ترجمـــة ابن حبـــان . . . . . ٣ ـ ١٥
تمهيد فى قاعدة الجرح والتعديل ١٦ـ٢٤
منزلة ابن حبان فى الجرح والتعـــديل ٢٥ـ٣٤

١ ـ ذكر الحث على لزوم العقل وصفة العاقل اللبيب . . . ٣٩
٢ ـ ذكر اصلاح السرائر بلزوم تقوى الله تعالى . . . ٥١
٣ ـ ذكر الحث على لزوم العلم والمداومة على طلبه . . . ٥٩
٤ ـ ذكر الحث على لزوم الصمت وحفظ اللسان ٦٩
٥ ـ ذكر الحث على لزوم الصدق مجانبة الكذب ٨١
٦ ـ ذكر الحث على لزوم الحياء وترك القحة ٨٨
٧ ـ ذكر الحث على لزوم التواضع ومجانبة الكبر . . . ٩٣
٨ ـ ذكر استحباب التحبب الى الناس من غير مقارفة المآثم . ٩٩
٩ ـ ذكر استعمال لزوم المداراة وترك المداهنة مع الناس . ١٠٧
١٠ ـ ذكر استحباب افشاء السلام واظهار البشر والتبسم . ١١٢
١١ ـ ذكر ما ابيح من المزاح للمرء وما كره له منه . . . ١١٦
١٢ ـ ذكر استحباب الاعتزال من الناس عاما . . . ١٢١
١٣ ـ ذكر استحباب المؤاخاة للمرء مع الخاصة . . . ١٢٦
١٤ ـ ذكر كراهيـــة المعـــاداة للناس ١٣٥
١٥ ـ ذكر الحث على صحبة الاخيار والزجر عن عشرة الاشرار . ١٤٢
١٦ ـ ذكر كراهية التلون فى الوداد بين المؤاخيين . . . ١٤٧
١٧ ـ ذكر ائتلاف الناس واختـــلافهم ١٥٣
١٨ ـ ذكر الحث على زيارة الاخـوان واكرامهـــم . . . ١٦١
١٩ ـ ذكر صفة الأحمـــق والجاهـــل ١٦٥
٢٠ ـ ذكر الزجر عن التجسس وسوء الظن ١٧٣
٢١ ـ ذكر الحث على مجانبة الحرص للعاقل ١٧٨
٢٢ ـ ذكر الزجر عن التحاســـد والبغضاء ١٨٣
٢٣ ـ ذكر الحث على مجانبة الغضب وذكر العجلة . . . ١٩٠
٢٤ ـ ذكر الزجر عن الطمـــع الى الناس ١٩٤
٢٥ ـ ذكر الحث على مجانبة المسألة وكراهيتها ١٩٩
٢٦ ـ ذكر الحث على لزوم القنـــاعة ٢٠٤
٢٧ ـ ذكر الحث على لزوم التوكل على من ضمن الارزاق . . ٢١٠
٢٨ ـ ذكر الحث على لزوم الرضا بالشدائد والصبر عليها . . ٢١٦
٢٩ ـ ذكر الحث على العفو عن الجـانى ٢٢٦
٣٠ ـ ذكر صفة الكريم واللئيـــم ٢٣٣
٣١ ـ ذكر الزجر عن قبول قول الوشاة ٢٣٨

Marfat.com

صفحة

٣٢ ـ ذكر استحباب قبول الاعتذار من المعتذر ٢٤٦
٣٣ ـ ذكر الحث على لزوم كتمان السر ٢٥٢
٣٤ ـ ذكر الحث على لزوم النصيحة للمسلمين كافة ٢٦١
٣٥ ـ وصية الخطاب بن المعلى المخزومى لابنه ٢٦٦
٣٦ ـ ذكر الزجر عن تهاجر المسلمين كافة ٢٧٣
٣٧ ـ ذكر الحث على لزوم الحلم عند الأذى ٢٧٨
٣٨ ـ ذكر الحث على لزوم الرفق فى أمور وكراهية العجلة فيها ٢٨٦
٣٩ ـ ذكر الحث على تعلم الأدب ولزوم الفصاحة ٢٩١
٤٠ ـ ذكر اباحة جمع المال للقائم بحقوقه ٢٩٧
٤١ ـ ذكر الحث على اقامة المروءات ٣٠٤
٤٢ ـ ذكر الحث على لزوم السخاء ومجانبة البخل ٣١١
٤٣ ـ ذكر الزجر عن ترك قبول الهدايا من الاخوان ٣٢٠
٤٤ ـ ذكر استحباب التفريج عن الناس بقضاء الحوائج . . . ٣٢٦
٤٥ ـ ذكر الحث على اعطاء السؤال وطلب المعالى ٣٣٤
٤٦ ـ ذكر الحث على الضيافة واطعام الطعام ٣٤١
٤٧ ـ ذكر الحث على المجازاة على الصنائع ٣٤٨
٤٨ ـ ذكر الحث على سياسة الرياسة ورعاية الرعية . . . ٣٥٦
٤٩ ـ ذكر الدنيا وتقبلها بأهلها ٣٦٨
٥٠ ـ ذكر الحث على لزوم ذكر الموت وتقديم الطاعات . . . ٣٧٥

Marfat.com

روضة العقلاء ونزهة الفضلاء

للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي

المتوفى سنة ٣٥٤ من الهجرة وهو في عشر الثمانين

رحمه الله

قدم لها وخرج أحاديثها

علي بن مشرف العمري

١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م

يطلب من

مكتبة الكليات الأزهرية

حسين محمد إسبابي وأخوه محمد

ش الصنادقية - الأزهر - القاهرة